حجر الزاوية

مجلة تعنى بالمواقع الأثرية

العدد الثامن • كانون الأول 2021

الكلية الأكاديمية تل-حاي
Tel-Hai College

سلطة الآثار
ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY

Tel-Hai College
الكلية الأكاديمية تل-حاي

سلطة الآثار
ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY

حجر الزاوية

العدد الثامن

كانون الأول 2021

حجر الزاوية
مجلة تعنى بالمواقع الأثرية

محررمحرر علمي: د. وليد أطرش

محرر اللغة العربية: د. شكري عراف

محررة اللغة الإنجليزية: د. راحيل كوديش-وشدي

مركزة الجهاز: هناء عبود

الجهاز الإداري: د. حمودي خلايلة
د. كميل ساري
رافع أبو ريا
د. أماني أبو حميد
عمر زيدان

صورة الغلاف الأمامي: صورة جوية لموقع التنقيبات في تل الشيخ العيراني (تصوير: سكاي فيو)

صورة الغلاف الخلفي: الرملة، مئذنة المسجد الأبيض (تصوير: د. كاتيا تسيترين)

طباعة وتدقيق: رنين فران

تصميم الطباعة: د. وليد أطرش

طباعة: أبو رحمون عكا
© حقوق الطبع محفوظة لسلطة الآثار
ص.ب 586، القدس 91004
ISSN 2790-7155

www.antiquities.org.il
hanaa@israntique.org.il

الفهرس

تل الشيخ العيراني: تحصينات وبداية التمدن في بلاد جنوب الشام خلال العصر البرونزي القديم 4

دكتور يانير مليبسكي - سلطة الآثار، مارتسين تشرنوفبتش - جامعة جاغيلونيان في كراكوف،

دمتري يغوروب – سلطة الآثار، إيلي كوهن-ساسون ويوفال يكوتيئيلي – جامعة بن غوريون في النقب

معبد فينيقي / هيليني في خربة طنطور 8

دكتور وليد أطرش، دكتور جبرائيل مازور وهناء عبود – سلطة الآثار

ثلاثة معابد طرق نبطية من النقب - معابد طرق نبطية في مرتفعات النقب – التنقيبات الأثرية في خربة حصصة 13

دكتورة تالي أريكسون-جيني - سلطة الآثار

أحواض طهارة "ميكفاؤوت" 22

بروفيسور روني رايخ – معهد زينمان للأثار، جامعة حيفا

معابد بعلبك - استعراض معماري وتاريخي 29

بروفيسور أرتور سيغال - جامعة حيفا

كنيسة من الفترة البيزنطية في كفر كما 47

نوريت فاييج - سلطة الآثار وبروفيسور مُردخاي أڤيعام - كلية كينيرت الأكاديمية

منطقة صناعية، حمامات وأحواض من الفترتين البيزنطية والإسلامية المبكرة عند سفح تل قطرة 51

دكتورة إيلا ناجورسكي ودكتور إيتمار تكسل - سلطة الآثار

"الجميلة بين المدن" الرملة في الفترة الإسلامية المبكرة: مسح أثري 58

بروفيسور جدعون أفني – سلطة الآثار

المآذن الثلاث في الرملة 71

دكتورة كاتيا تسيترين، معهد الآثار وقسم الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية، الجامعة العبرية في القدس

اثنا عشر موسم تنقيب أثري في وسط مدينة طبرية القديمة 78

دكتورة كاتيا تسيترين، معهد الآثار وقسم الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية، الجامعة العبرية في القدس

مدينة طبرية كمركز متعدد الثقافات في القرن التاسع الميلادي - كنيسة المرساة كحالة اختبار 90

دكتورة ياعيل أرنون – الكلية الأكاديمية صفد، كلية التربية أورانيم

رموز الحج من الفترات الصليبية والعثمانية 98

الدكتورة عنبر قطلب - سلطة الآثار

تل الشيخ العيراني: تحصينات وبداية التمدن في بلاد جنوب الشام
خلال العصر البرونزي القديم

الدكتور يانير مليبسكي - سلطة الآثار، مارتسين تشرنوفبتش - جامعة جاغيلونيان في كراكوف، دمتري يغوروب - سلطة الآثار، إيلي كوهن-ساسون ويوفال يكوتيئيلي – جامعة بن غوريون في النقب
ترجمة الدكتور حمودي خلايلة

المقدمة

نتائج التنقيبات المتجددة في تل الشيخ العيراني (تل عراني) أحدثت تجديدًا بمعرفتنا عن بداية التمدن وإقامة المدن المحصنة في جنوب بلاد الشام. يقع تل الشيخ العيراني على الحدود بين منطقة السهل الساحلي للبحر الأبيض المتوسط وبين السفوح الغربية لجبال الخليل (الشكلان 1-2).

خضع التل في أواخر سنوات الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن الماضي لعدة مواسم تنقيبات من قبل دائرة الآثار. وبعد توقف دام عقدين من الزمن تم استئناف التنقيبات الأثرية في الموقع لعدة مواسم قصيرة تمت خلال سنوات الثمانينيات من قبل جامعة بن غوريون في النقب. بدأ مشروع الحفريات المتجدد في تل الشيخ العيراني عام 2013 من قبل بعثة مشتركة لجامعة جاغيلونيان في كراكوف - بولندا وسلطة الآثار. وقامت البعثة الأولى (بعثة ييفين) باكتشاف بقايا من التحصينات المبنية من الطوب المجفف في الجزء الشمالي الغربي من التل (منطقته N؛ الشكل 3). تمت إعادة التنقيب وتوسيع منطقة N من قبل بعثة جامعة بن غوريون في النقب، وكشف عن أقسام إضافية من التحصينات وأسوار التي تحيط بالتل من الشمال والجنوب. إستمرت البعثة بالتنقيب والكشف عن أجزاء إضافية جديدة من أسوار التحصينات في المناطق P-Q الواقعة في الجهة الجنوبية والشرقية من التل وكذلك بمواقع مختلفة من التل.

بالإضافة قامت البعثة الجديدة بأخذ عينات من الفحم لأجل تأريخ كلا من أجزاء التحصينات في

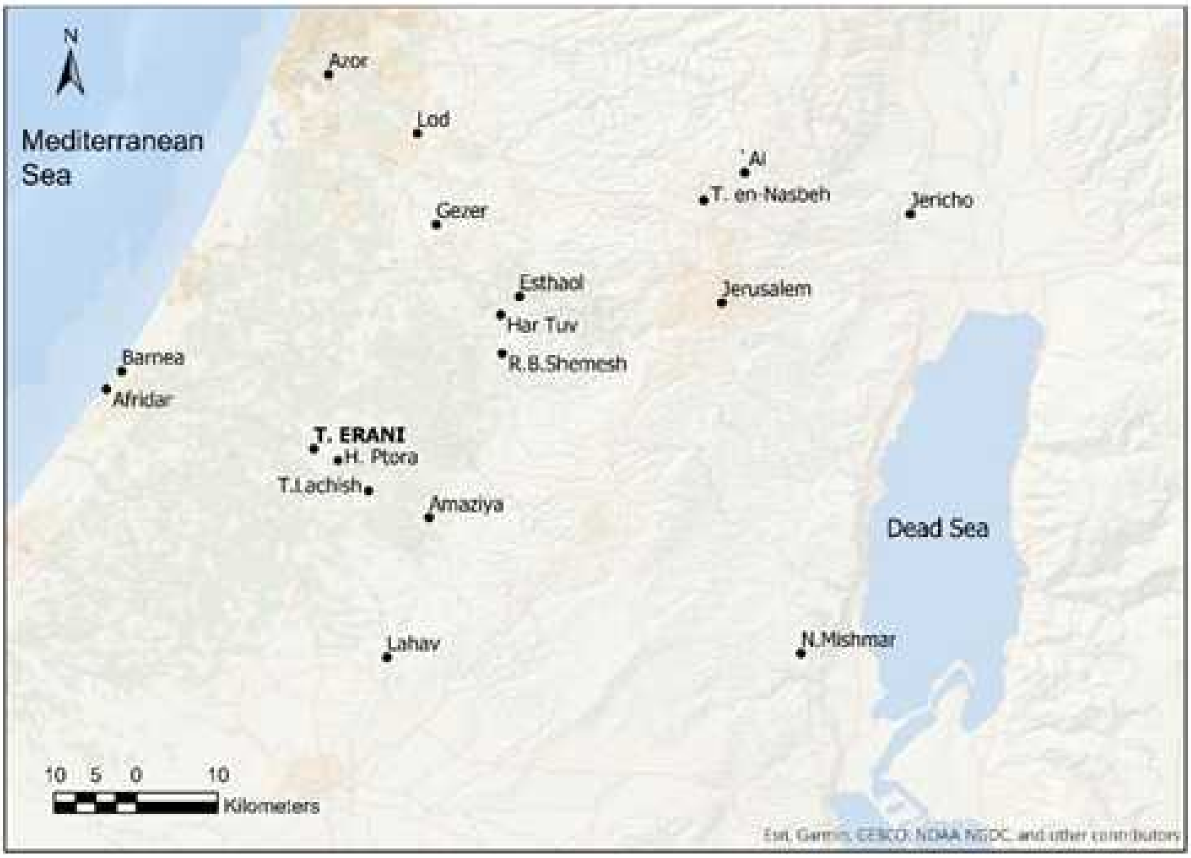

الشكل 1. خريطة منطقة الساحل وموقع تل الشيخ العيراني.

الشكل 2. صورة جوية لموقع التنقيبات في تل الشيخ العيراني.

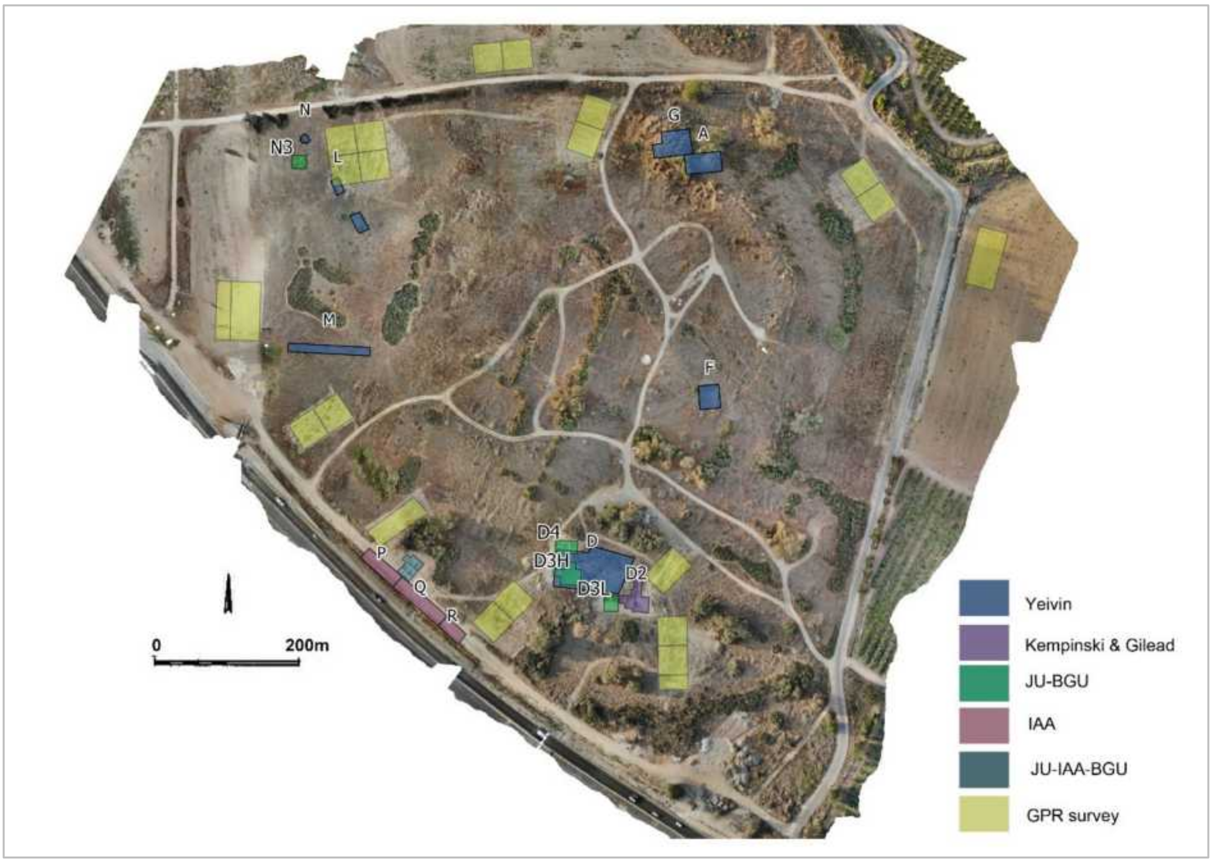

الشكل 3. صورة جوية لتل الشيخ العيراني عليها مواقع تنقيبات البعثات المختلفة.

المناطق N، P، Q والمجمع السكني المعاصر لأسوار التحصينات الذي أكتشف في منطقة D. أعطت عينات الفحم عدة تواريخ جديدة تعود الى العصر البرونزي المبكر، والمعروف أيضًا "بأفق عيراني".

الأحياء السكنية ومجمع المباني العامة أو "القصور الأولية" في منطقة D، المتزامن مع أسوار التحصينات،

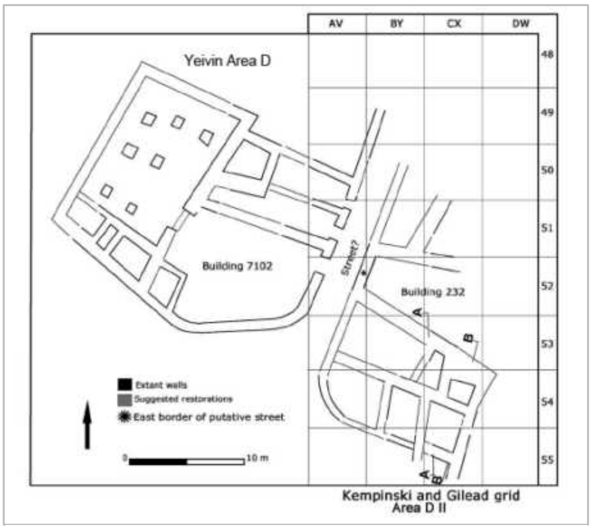

الشكل 4. مخطط المباني العامة في منطقة D.

الشكل 5. أسوار التحصينات في المنطقة المجاورة للأحياء السكنية.

زودتنا بأدلة إضافية للبيئة المبنية التي تعود الى "أفق عيراني" (الشكل 4). عثر داخل المباني العامة على أواني فخارية مطلية باللون الأحمر وعلى بعض منها رموز هيروغليفية تشير إلى أنها كانت خاضعة آنذاك لسيطرة أنظمة مصرية.

أشارت نتائج التنقيبات الأثرية عن وجود مرحلتين بناء في أسوار التحصينات الدفاعية، واحدة فوق الأخرى (W200 وW204; الشكلان 5، 6). بالإضافة الى ذلك فقد كشفت التنقيبات تحت أساس الأسوار عن مبانٍ بنيت جدرانها من الطوب المجفف وتعود إلى مرحلة مبكرة من "أفق عيراني".

خلال موسم التنقيبات عام 2018 تم فحص الجزء الداخلي لأسوار التحصينات من أجل الحصول على أدلة إضافية تساعدنا بتأريخ بنائها. تم العثور على طبقتين بناء في منطقة سكنية: القديمة، أقيمت بالتزامن مع أسوار التحصينات الدفاعية أما الطبقة المتأخرة فقد تم بناؤها على ما يبدو بعد انهيار جدران الطبقة القديمة. يعود تاريخ بنائها وفقًا للأواني الفخارية وتاريخ كربون C14 الى 3300 - 3200 ق.م. أما التحليلات الفخارية فقد زودتنا بمعلومة مفادها أنه لا يوجد اختلاف واضح بشيوع أصناف الأواني الفخارية بين الطبقتين (الشكل 7).

أجري مسح مغناطيسي بعد نهاية موسم التنقيبات الذي أشار الى وجود أسوار تحصينات في المناطق التي لم تخضع للتنقيب بعد. هذا يشير بأن المستوطنة في تل الشيخ العيراني وأحيائها محصنة ومحاطة بأسوار منيعة. وقد لوحظ بأن إقامة الأسوار الدفاعية كانت تناسب التضاريس الفعلية للموقع، أي أنها عالية وسميكة في المناطق المستوية ومنخفضة في الأطراف الحادة.

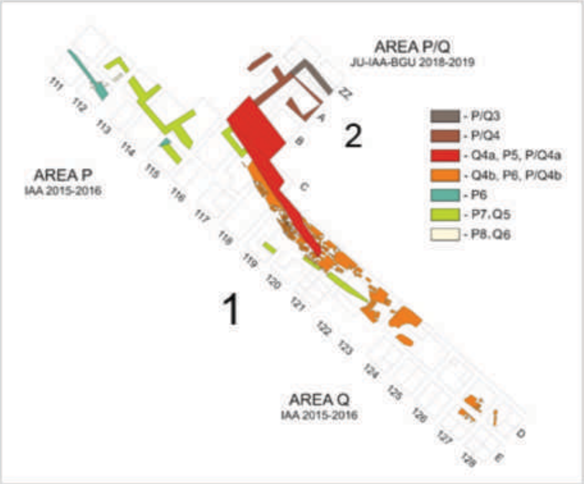

الشكل 6. خارطة بقايا الأسوار، التحصينات والمنطقة السكنية.

ويمثل وجود أواني فخارية مصرية في عدة مواقع من العصر البرونزي، إحدى أقدم المراحل التي أقيم بها علاقات تجارية بين بلاد الشام ووادي النيل خلال منتصف الألفية الرابعة قبل الميلاد، ربما هي نتيجة حتمية للاجتياح الفرعوني لبلاد الشام وتكثيف النشاط الاقتصادي بين الإقليمين. وجود أسوار وتحصينات دفاعية حول المستوطنة تشير الى أن تل الشيخ العيراني هو أقدم موقع لوحظت به إشارات لبداية التمدن والتي تطورت وامتدت الى مناطق إضافية داخل بلاد جنوب الشام. وتمثل أيضا شكلاً مبكرًا للتقسيم الطبقي الاجتماعي، حيث قامت نخبة

الشكل 7. أوا ني فخارية من العصر البرونزي عثر عليها خلال التنقيبات بتل الشيخ العيراني.

من حكام المستوطنة بتنفيذ مشاريع عمومية، كان أحدها إقامة تحصينات وأسوار حولها. أما مرحلة الاستيطان المتأخرة في تل الشيخ العيراني فقد زودتنا بأدلة تشير الى تواجد كيان مصري، ربما حكام فرعونيين للموقع لكن بحثها ما زال في بدايته وهذا هو أحد مواضيع البحث المستقبلية التي سيتم دراستها في هذا الموقع.

الخلاصة

كشفت التنقيبات الأثرية بتل الشيخ العيراني عن مستوطنة محصنة يعود تاريخها الى مرحلة مبكرة من العصر البرونزي القديم (EB - IB). وتشير الأواني الفخارية التي عثر عليها في التنقيبات أن سكان الشيخ العيراني تبادلوا السلع مع مواقع معاصرة في السهل الساحلي (أزور، اللد وعسقلان)، وادي الأردن (أريحا) والنقب الشمالي (لاهاف). أما الأواني الفخارية المصرية فقد تواجدت بمواقع معاصرة مثل أزور، واللد،

معبد فينيقي / هيليني في خربة طنطور

دكتور وليد أطرش، دكتور جبرائيل مازور وهناء عبود – سلطة الآثار

مقدمة

تقع خربة طنطور على بعد حوالي 4 كم شرق عكا، على تل ارتفاعه 88 متر فوق سطح البحر، يطل على خليج عكا في الغرب ورأس الناقورة في الشمال. خلال التنقيبات الأثرية في خربة طنطور عام 2011 تم الكشف عن بقايا معبد بقي منه جدران التيمينوس ومنصة مرتفعة ضخمة (بوديوم) فوقها انتصب المعبد والذي يعود تاريخه الى نهاية الفترة الفارسيّة وبداية الفترة الهيلينية (الشكلين 1 - 2).

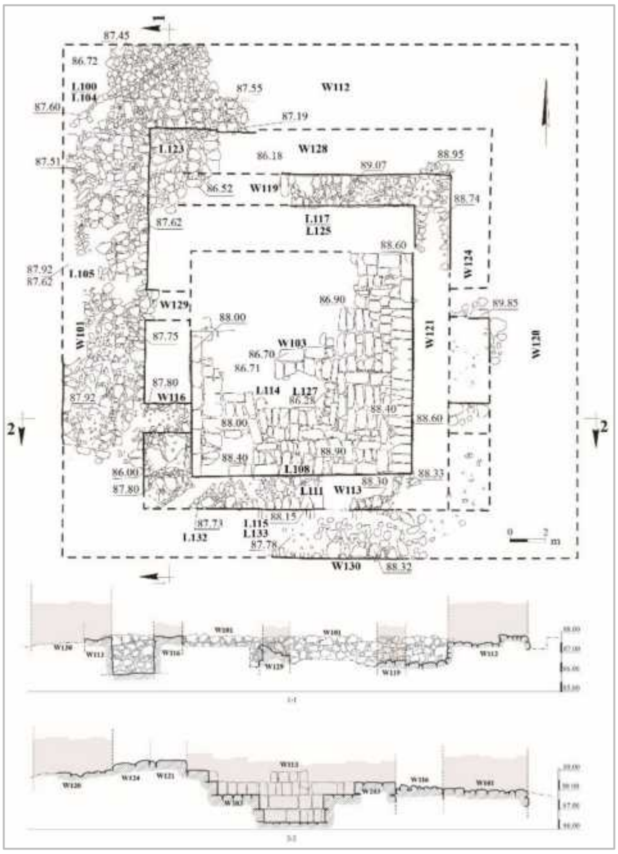

الشكل 1. خرطة المعبد وقاطع.

في الماضي خلال المسح الأثري تم تحديد الموقع كقلعة صلاح الدين "تورون دي صلاح الدين - "Turon de Saladin" كما هو مذكور تاريخيا فيما يتعلق بحصار عكا (1189-1191). اعتمادا على الوثائق التاريخية وتحددا وثيقة من عام 1254 تشير الى حدود الحقل الذي أهداه يوهان ماريان إلى فرسان الإسبتارية: "من الشرق أرض قرية هادية التي يملكها السيد رولاند أنثلموس، ومن الجنوب أرض المعبد، ومن الغرب أرض يوهان كوستا، ومن الشمال الطريق العام السريع الذي يقع عند سفح تورون المسمى صلاح الدين". بما أن هادية هي خربة العياضية يجب أن يكون تورون دي صلاح الدين هو التل شمال طريق عكا - صفد الذي يقع في خربة طنطور.

كان سلاح الفرسان التابع لنابليون بونابرت متمركزًا في خربة طنطور وقت حصار عكا ومحاولته احتلالها في عام 1799. عثر في الموقع على موجودات ذات صلة عسكرية تتماشى مع تاريخ حصار نابليون لعكا. خلال الحرب العالمية الأولى احتل الموقع من قبل وحدة حراسة التابعة للجيش العثماني التي قامت بحفر الخنادق وقنوات اتصالات في خربة طنطور. جزء من هذه الخنادق والقنوات عثر عليها حول المعبد. نرى أن استغلال الموقع كثكنة عسكرية في العصور الوسطى والفترة العثمانية، أدى الى هدم أجزاء كثيرة من الموقع وخصيصا من المعبد.

التنقيب

كشفت التنقيبات الأثرية على قمة التل بخربة طنطور عن بقايا مبنى مربع الشكل (24 × 24 م) على محور شمال - جنوب (الشكل 3). احتوى الجزء المركزي للمبنى، المحفوظ جيدًا نسبيًا على بوديوم (منصة 10.40 × 10.40 متر) تم بنائه من الحجارة الجيرية الكبيرة والمصقولة بشكل جيد (تصل أبعاد كل حجر الى 1.2 متر طول، 0.5 متر سمك و0.6 متر ارتفاع)، التي أسست فوق الصخر الطبيعي الذي تم تشذيبه وتسويته (الشكل 4).

حُفظ البوديوم لارتفاع 3.5 متر، سبع مستويات (مداميك) مبنية على الطراز الفينيقي الهيليني، حيث

الشكل 2. منظر عام للموقع الأثري.

يكون بناء المداميك على التوالي، مدماك من حجارة طولية وفوقه مدماك من حجارة عرضية. من المرجح أن حجارة المبنى تم قلعها واستخراجها من المنحدر السفلي لتل طنطور، حيث وثقنا محاجر خلال المسح الأثري للمنطقة الذي تم إجراؤه قبل الحفريات.

كان البوديوم محاط من أربع جهات بجدران متينة (أنظر الشكل 1، القاطع 1-1، 2-2). تعرض المبنى في أيامنا للهدم، وسرقت بعض العناصر المعمارية وحجارة جدار البوديوم بجهته الشمالية وبمركزه، أما أجزاءه الشرقية والجنوبية فبقيت سالمة. جميع جدران المبنى أسست

الشكل 3. بقايا مبنى المعبد.

الشكل 4. منصة المعبد (البوديوم).

فوق الصخر الطبيعي ولها أساس مبني من حجارة الحقل الصغيرة وفوقها جدار مبني من الحجارة الضخمة المصقولة. تم بناء عدة غرف صغيرة في الجهة الغربية، الشمالية والشرقية غير مستوية الارتفاع مفصولة عن بعضها بجدران مبنية من الأحجار الصغيرة، عرض هذه الغرف 1.40 مترًا ويبدو أنها خدمت جدران المعبد العلوي (الشكل 5).

الشكل 5. جدران وقسم من الممر المحيط بالمنصة.

جدير بالذكر أن طريقة البناء هذه حافظت على البوديوم المركزي، الذي كان محاط فوق جوانبه: الجنوبي، الشرقي والشمالية بممر عرضه 1.6-1.8 متر. هذا الممر وكذلك جهة المبنى الغربية أغلق عليهم بجدار خارجي ضخم ما أدى إلى تكوين تيمينوس (أي المنطقة المقدسة). تم العثور فوق بقايا المعبد على خمسة عشر عنصرًا معماريًا، اثنان مكتملان، والآخرون أجزاء مختلفة بأحجامها.

المجموعة الرئيسية للعناصر المعمارية مكونة من الأعمدة (العمود مركب من قاعدة وفقرات العمود والتاج)، والإنتبلتورا (مركبة من عارضة، أفريز وكورنيش). فوق البوديوم عثر على قواعد أعمدة مربعة، ونصف دائرية مكسوة بالجص (الشكل 6). كما وعثر على أجزاء من فقرات أعمدة المعبد مكسوة بالجص مزخرفة على شكل أخاديد (الشكل 7). عثر من الأجزاء المعمارية التابعة لأعمدة واجهة المعبد على تاج دوري واخر كورنثي نصف دائري مكسو بالجص، ومن الإنتبلتورا على عارضة وأفاريز وأجزاء من الكورنيش جميعها من الحجر الجيري الرملي الناعم نسبيًا (كوركار) ومكسوة بالجص ومزخرفة على شكل أخاديد (الشكل 8).

مجموعة العناصر المعمارية تبدو متجانسة من حيث الترتيب والأسلوب والمواد، وتم تأريخ جميع هذه العناصر المعمارية إلى القرن الثاني قبل الميلاد أي الفترة الهيلينية اعتمادا على أسلوب نحت الاخاديد بالجص والنظام الدوري للأعمدة، وكذلك اعتمدا على الأفاريز البسيطة المكسوة بالجص الأبيض. خلال الفترة الهيلينية تميز أسلوب المباني العامة وواجهاتها بالنظام الدوري،

الذي شاع استخدامه في بلادنا من قبل الفينيقيين واليونانيين أو الأدوميين. كان الديكور المعماري في الفترة الهيلينية بسيطًا إلى حد ما ويبدو أنه تأثر بشكل رئيسي بفن العمارة بالإسكندرية من جهة وآسيا الصغرى من جهة أخرى.

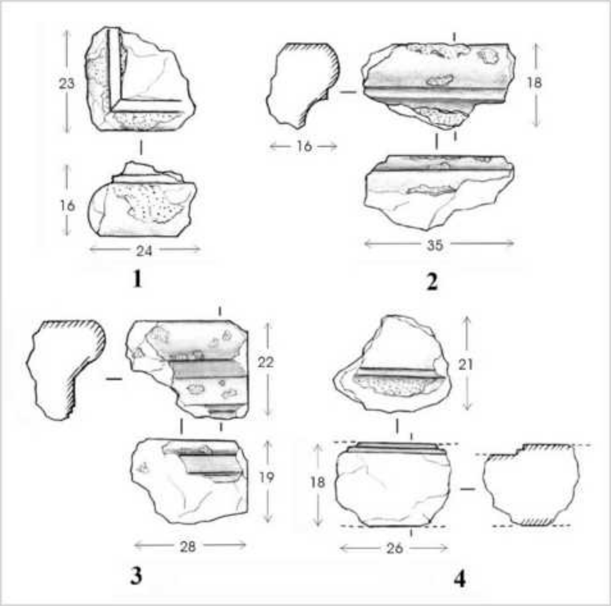

الشكل 6. عناصر معمارية: قواعد أعمدة مربعة.

خلال التنقيبات داخل المعبد عثر على شظايا أواني فخاريه تعود لفترتين: الاولى من القرن الخامس إلى الرابع قبل الميلاد (الفارسية) والثانية إلى القرن الثاني قبل الميلاد (الهيلينية). كذلك يوجد أيضًا القليل من الفخار التابع الى العصر الحديدي وأدوات صوان من العصر الحجري الحديث قبل العصر الفخاري. تم العثور فوق هدم المعبد على يد أمفورا وعليها ختم باللغة اليونانية منسوب إلى بامفيليا (جنوب تركيا، إقليم في جنوب غربي أسيا الصغرى يحده شرقا كيليكيا ومن الغرب ليكيا وشمالا ليكاونيا وبيسيديا وهو شريط ساحلي ضيق تحده الجبال، تأثر سكانه بالثقافة الإغريقية; شكل 9). يحمل الختم اسمين غير معروفين حتى الآن في مثل هذه الأختام، لذلك هذا هو قالب جديد. يعد استخدام الديجاما (Ͱ) في الفترة الهيلينية سمة من سمات النقوش البامفيلية التي ختمت على أيدي الجرار المعروفة بالأمفورا.

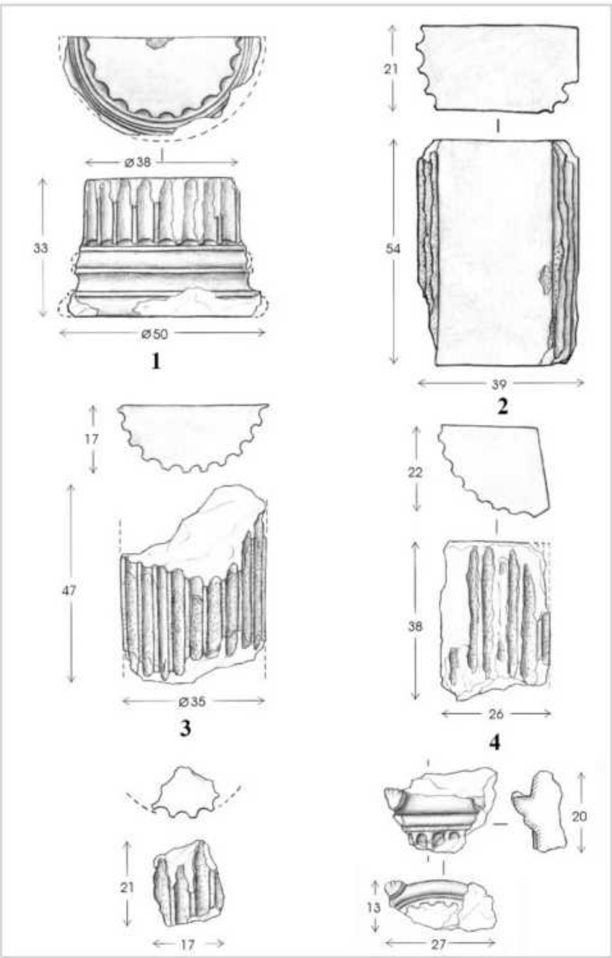

الشكل 7. عناصر معمارية: قاعدة العمود، فقرات عمود وجزء من تاج.

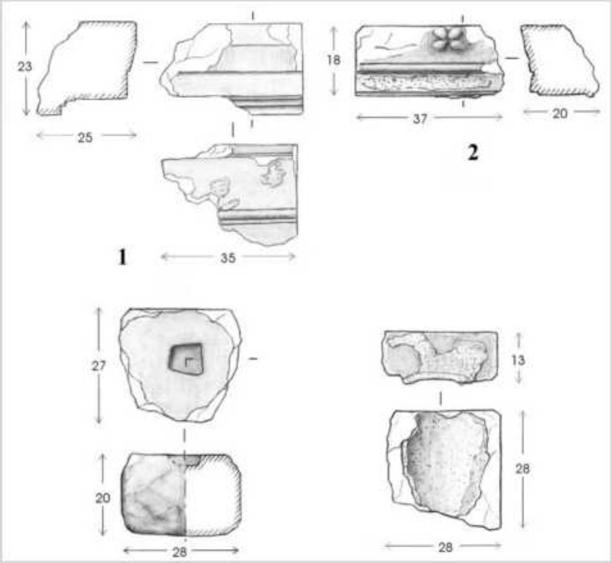

الشكل 8. عناصر معمارية: أجزاء من الكورنيش وحجارة بناء.

الشكل 9. ختم على يد أمفورا.

تم العثور في الزاوية الشمالية الغربية من البوديوم على تمثال صغير لرأس امرأة من الطين الأحمر الفاتح المحروق (تيراكوتا)، وهو مصنوع في قالب. وجه التمثال وجوانبه بالية، لا تسمح بوصف تفاصيل الوجه، ولكن الأنف المستقيم والذقن البارز لا يزالان ظاهرين. يتوج الرأس غطاء، ربما إكليلاً (ستيفان يوناني)، تسريحة الشعر فيها بعض الأخاديد وهي تسريحة شعر نسائية نموذجية في الفترة الهيلينية (الشكل 10). وفقًا للتقنية وأسلوب عمل التمثال، يمكننا تاريخ رأس التمثال إلى الفترة الهيلينية والجدير بالذكر أن تمثال تيراكوتا رأس المرأة كان شائعا في مواقع فينيقيا الهيلينية وكذلك في منطقة خربة طنطور.

تم العثور على القليل من العناصر المعدنية التي تضمنت رأس سهم، خاتم، جرس صغير، جزء من قراط (حلق) يبدو أنهم جميعها مرتبطة على الأرجح بالمعبد الهيليني (الشكل 11).

الشكل 10. منظر أمامي وجانبي لتمثال من التيركوتا.

الشكل11. رأس سهم من البرونز; خاتم من البرونز; جرس من البرونز وقراط (حلق) من البرونز.

تلخيص

التيمينوس والمنصة المرتفعة (البوديوم)، الذي أقيم على قمة التل المطل على خليج عكا والسهل الذي يمتد إلى الشرق، يحمل هيكلًا ضخمًا على الأرجح معبد فينيقي هيليني. يتكون الهيكل من منصة مربعة (بوديوم) يزيد ارتفاعها عن 4.2 متر، مبنية من الحجر الجيري وتحمل فوقها معبداً مرتفعًا ذا تخطيط غير واضح لم يحفظ منه سوى العناصر المعمارية. كانت المنصة محاطة بجدار سميك عرضه 2 متر والذي يُفترض أنه الجدار الخارجي للمعبد والمنطقة المقدسة (التيمينوس 24 × 24 متر) اي بمساحة 576 متراً مربعاً. يوجد حول المنصة ممر بعرض 1.6–1.8 متر على ثلاث جهات (الجنوب والشرق والشمال)، بينما المذبح من الغرب. على الأرجح كان المذبح مزين خلال القرن الثاني قبل الميلاد بأعمدة نصف دائرية مزينة بجص مخدد، وتوجت بتيجان من الطراز الدوري والكورنثي.

قد يشير العثور على بعض شظايا الفخار من الفترة الرومانية المبكرة إلى أن المعبد توقف عن الاستخدام في نهاية الفترة الهلنستية وعلى الأرجح تدهور وضعه المعماري مما أدى الى تفكيكه جزئيًا في وقت لاحق.

ثلاثة معابد من النقب

معابد طرق نبطية في مرتفعات النقب – التنقيبات الأثرية في خربة حصصة

دكتورة تالي أريكسون-جيني - سلطة الآثار

ترجمة الدكتور حمودي خلايلة

مقدمة

إن وجود الأنباط في النقب في الفترات الهيلينية والرومانية موثق جيداً تاريخياً وأثرياً. عبر طريق البخور النبطي ومرتفعات النقب في هذه الفترات وفي الفترة الرومانية المبكرة، بدأ الاستيطان النبطي في عبدة، حيث تم بناء مجمع مقدس وفيه معبد للملك الحارث/أوبوداس (يُسمى أيضًا المعبد الغربي)، ومعبد ثان أصغر مزين بلوحات جدارية من الجص (فريسكو وستوكو)، والذي ريماكان مخصصًا للعزى/أفروديت. على الطريق ين عبدة ومدينة ممبسيس (كورنوب) النبطية، تم إنشاء معبد طريق في خربة حصصة خلال النصف الأول من القرن الأول ميلادي. يعتبر كل من معبد الحارث ومعبد الطريق في خربة حصصة من النوع "البيت العريض" مثل ذلك الموجود في المواقع النبطية في جنوب الأردن.

تعرض معبد الطريق في خربة حصصة لأضرار جسيمة بسبب الزلزال الذي وقع في أوائل القرن الثاني الميلادي وتم إعادة بنائه جزئيًا فقط. وكذلك تم تجديد معبد الحارث في القرن الثالث الميلادي وتم تزيين واجهته الشرقية بأعمدة مزينة بتماثيل حجرية، مثل تلك الموجودة في تدمر وأفاميا في سوريا. احتوى المعبد على "غرفة ذخائر" بها موجودات برونزية، بما في ذلك تمثال أبو الهول البرونزي، على غرار تلك التي تم اكتشافها في معبد الأسود المجنحة في البتراء.

التنقيبات الأثرية في خربة حصصة

تقع خربة حصصة على طريق ثانوي من الفترات الرومانية والبيزنطية يربط ين مدينتين نبطيتان عبدة وممبسيس. تم اكتشاف خربة حصصة عام 1953 خلال مسح أثري للمنطقة، وتم توثيق مبنى كبير بداخله حوضاً حجرياً ضخما (أبعاده 1 × 1 متر)، واقترح بأن هذا المبنى هو معبدًا نبطيًا. قبل أعمال التنقيب، تم اكتشاف أجزاء من تماثيل فخارية صغيرة في الموقع، والذي كان يُعرف محليًا باسم "تل التماثيل".

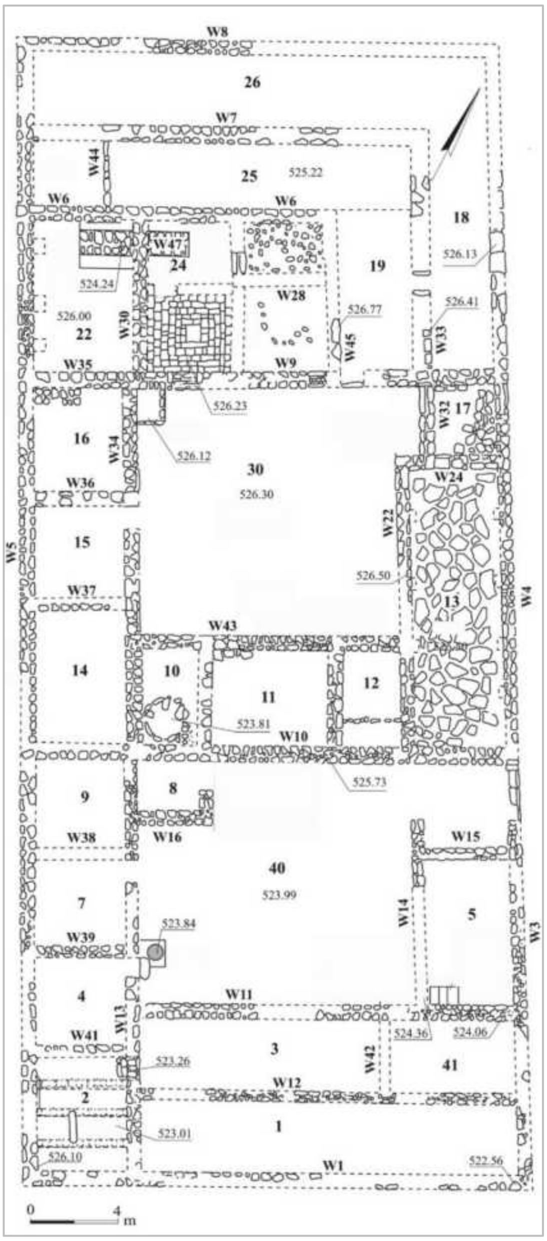

الشكل 1 . مخطط معبد حصصة.

أول التنقيبات الأثرية في خربة حصصة كانت في عام 1971 من قبل بعثة من دائرة الآثار والمتاحف ترأسها

الاثري رودلف كوهن. اشتمل الموقع على مبنى كبير مستطيل الشكل (22 × 51 متر) تم تشيده على محور شمال غربي - جنوبي شرقي ويحتوي على جناحين منفصلين، يحتوي كل منهما على مجموعة من الغرف بنيت حول فناء داخلي كبير (الشكل 1). كان لكل جناح مدخل منفصل يقع على الجانب الشرقي من المعبد.

الشكل 2 . معبد حصصة، غرفة 22، الجدار الخارجي، منظر للجنوب.

الشكل 3 . معبد حصصة، غرفة 22، الجدار الخارجي، منظر للشمال.

الشكل 4 . معبد حصصة، غرفة 22، الجدار الخارجي، منظر لشمال شرق.

أبعاد الجناح الشمالي 22 × 33 متر والجناح الجنوبي 18 × 22 متر. تم تشييد الجدار الخارجي للمعبد من الحجر الجيري الصلب صقلت أطرافه بدقة (الأشكال 2-4). يظهر من انكشاف الزاوية الشمالية الغربية أن الجدار الغربي الذي يحيط بالجناحين قد حظي بطريقة زخرفية غير عادية إلى حد ما لم تكن شائعة عادة في العمارة النبطية في المنطقة خلال هذه الفترة.

وقد أرّخ كوهين هذا المبنى إلى القرون الثاني حتى الرابع الميلادي واقترح أنه كان نُزل "محطة طريق مهمة" على الطريق التجاري القديم الموصل بين عبدة ويروحام. وعثر كوهين في خربة حصصة بغرفة 10 على عملة برونزية واحده تعود الى عهد القيصر هادريان (117-138 ميلادي) تم سكها في عسقلان.

تأريخ ووظيفة المعبد النبطي في خربة حصصة

أشارت نتائج التنقيبات الجديدة في خربة حصصة عام 2001 أن المستوطنة أقيمت خلال الحكم النبطي للمنطقة في منتصف القرن الأول الميلادي. تشير الموجودات المكتشفة في الجناح الجنوبي، بالإضافة الى أدلة أخرى على سقوط القناطر في الغرفة 2، وإلى أن هذا الجناح هدم وخرج عن الاستعمال خلال أوائل القرن الثاني الميلادي وسرقت حجارة جدرانه. أما الجناح الشمالي، أعيد بناءه واستمر استخدامه حتى نهاية الفترة الرومانية المتأخرة، وفي السنوات الاولى من القرن الثاني ميلادي، ضرب المنطقة زلزال وأدى الى انهيار المعبد. قد يكون الحدث الذي ألحق الضرر بالمبنى هو نفس الزلزال الذي نرى نتائجه في عدة مواقع أخرى في وسط النقب ووادي عربة، بما في ذلك معبد شبيه بمعبد حصصة، تم كتشافه بالقرب من عين يوطفتا عام 2004. ويحتمل بأن هذا الزلزال هو الذي سبب أيضا في دمار خربة التنور، آيلة (العقبة) والبتراء جنوب الأردن. اما الجناح الشمالي المرمم، فقد استمر استخدامه خلال القرنيين الثاني والثالث ميلادي. وفي وقت ما بعد سيطرت الرومان على المملكة النبطية عام 106 ميلادي، فترة القياصرة من عائلة سيفريوس، بنوا الرومان بخربة حصصة وحصن يروحم حصون وابراج وعلى طول الطريق المؤدي إلى ممبسيس. تُرك هذا الجناح خلال الفترة الرومانية الوسطى، واستخدمت عدة غرف منه كحظيرة للأغنام وغرفه سكنية واحدة بجانبًها وانتهى استخدامه نهائيا في الفترة البيزنطية حيث تم تجريد المبنى من حجارة البناء واقاموا درجات زراعية في الوادي القريب.

لقد أشرنا بأن كوهين قد اقترح بأن هذا المبنى هو نُزل "محطة طريق"، لكن هذا الاقتراح يفتقر إلى الدعم الأثري. على العكس من ذلك، تخطيط المبنى، فضلاً عن عدم وجود عملات معدنية أو موجودات التي تشير الى مراحل تاريخ بناءه. تشير طبقة الهدم داخل المبنى، حجارة بنائه والموجودات المتنقلة، بأن المبنى كان ذات طبيعة مختلفة تمامًا من محطات القوافل التي حفرها كوهين على طول طريق البتراء - غزة مثل مويات عوض والخالصه (حالوتسا).

على ضوء الأدلة الجديدة، يبدو أن الاقتراح الأصلي الذي اقترحه عناتي سابقاً بأن المبنى هو بمثابة معبد نبطي هو الاقتراح الأكثر منطقيا. يمكننا اليوم العثور بمساعدة تحليل السامات المعمارية للمبنى دعم لهذا الاقتراح. واجهة المبنى، جدرانه المدرجة، غرف الجناح الشمالي الداخلية صغيرة والمرصوفة بإتقان بألواح حجرية، كذلك محيطه البناء الخارجي، يحتوي على عدد من الغرف الطويلة (غرف تخزين أو جلوس - تريكلينيا)، وفناء مركزي كان يستخدم على الأرجح للاحتفالات. هذا بالإضافة الى وجود أحواض حجرية مستطيلة، عثر حولها على العديد من الأواني الفخارية النبطية ذات الجدران الدقيقة. هذه الأحواض الحجرية المستطيلة التي تم اكتشافها خلال أعمال التنقيب التي قام بها كوهين، تميز معابد الطرق الصحراوية، وعثر على مثلها بجانب مدخل الكثير من المعابد في المناطق الشبه صحراوية. وقد ذكر الأثري بيتري وجود أحواض حجرية عند مدخل معبد سرابيد الخادم في سيناء من العصر البرونزي واقترح أنها استخدمت للطهارة على غرار تلك الموجودة في باحات المساجد. هذا بالإضافة الى بعض الأحواض الحجرية المستطيلة التي تم اكتشافها في المعابد النبطية بعبدة والمنطقة المحيطة بها، وعليها نقوشًا نبطية وتم تعريفها كأحواض لمذابح القرابين. وإدعى الأثري نيجب أن النقش النبطي على أحد الأحواض يعني "سد"، مشيراً إلى الدرجات الزراعية المتواجدة بمنحدر مدينة عبدة. أما الباحث أسفلد فقد اقترح ترجمة هذه الكلمة على أنها "أداء قياس"،كان يستخدم لقياس كمية النبيذ في الاحتفالات الدينية. هذه الأحواض الحجرية، سواء كانت تستخدم للطهارة أو للقرابين أو لأي غرض آخر، فإن وجود هذه الأحواض المستطيلة بمحاذات مداخل المباني يشير إلى وظيفتها التي كانت في الأساس معابد دينية.

هنالك عدة اوجه تشابه بين معبد حصصة ومعابد أخرى في أرجاء مختلفة من المملكة النبطية. فقد تم بناء المعبد على محور شمال – جنوب، والمدخل الرئيسي بالجدار الشرقي على غرار مخطط المعبد الغربي في عبدة، ومعبد محي في جنوب الأردن (الشكل 5). لكل من هذين المعبدين جناحين: شمالي وجنوبي على غرار معبد خربة حصصة. وتشير الجدران الخارجية المدرجة إلى استخدامها الديني، فالجدران من هذا النوع نادرة ولا توجد عادة في مباني ذات طابع علماني. هذا بالإضافة الى المنصة العالية التي اكتشفت عام 2012 شمال البتراء وعليها بقايا لمعبد نبطي بني من الحجر الجيري ذات الجودة العالية وله جدران مدرجة مماثل.

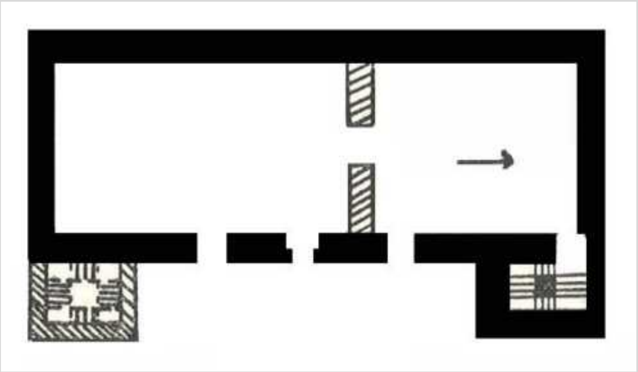

الشكل 2 . مخطط معبد محي في جنوب الأردن

لقد بذل جهد كبير من أجل تسوية السطح الصخري غير المستوي لقمة التل، كي يقام عليها المعبد، ففي الطرف الجنوبي تم نحت الصخر، وفي الطرف الشمالي بنيت جدران داعمة لارتفاع سطح الصخر المصقول، وملئت المساحات الفارغة بينهم بالحجارة والطمي، وهكذا أصبح السطح مستوي وفوقه تم بناء المعبد، كما لاحظ الأثري جلوك هذا النمط ايضا في معبد خربة التنور في جنوب الأردن.

هنالك تشابه آخر بين معبد خربة حصصة والمعبد النبطي في خربة التنور، في كلاهما لا وجود أي بوادر استيطانية بالقرب منهما أو بجوارها، والسمة الأخرى البارزة هي مجموعة الغرف في الجناح الشمالي، التي

تشبه "المربع داخل المربع"، وكذلك الفناء الأمامي، كل هذه السمات شائعة في المعابد النبطية. نظرًا للضرر الذي لحق بالموقع بسبب الزلزال في أوائل القرن الثاني الميلادي، يبدو أن هذه المنطقة قد أعيد بناؤها، وهناك حاجة إلى مزيد من التنقيبات كي يحدد تصميم الغرف في مرحلة إقامتها الأولى. ومع ذلك، فإن مسطبة الغرفة 21 المرصوفة بدقة وإحكام، والنمط الذي وضعت فيه الألواح الحجرية، تشير على أن هذه الغرفة كانت تستخدم لأغراضٍ خاصّة. لهذا، فأن هذا المخطط يختلف عن معظم مخططات المعابد النبطية. أن كلا فناءين المعبد محاطان بسلسلة من الغرف الصغيرة (باستثناء الغرف الطويلة الواقعة على طول الجانبين الشمالي والشرقي للمبنى).

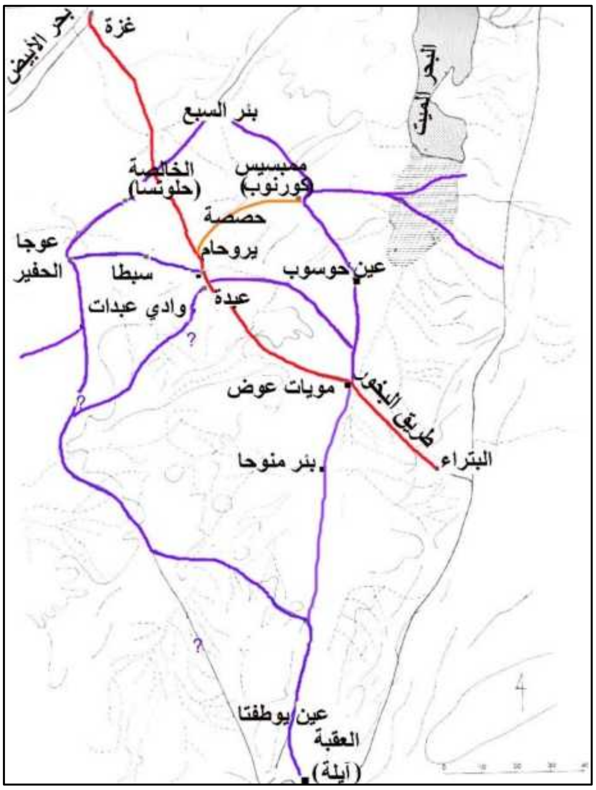

الشكل 6 . خارطة منطقة النقب عليها طريق البخور بالخط الأحمر.

من المعروف أن المعابد النبطية كانت موجودة في بلدتين رئيسيتين عبدة والخالصة، الواقعات على طول طريق التجاري (طريق البخور) الذي يربط بين البتراء وغزة (الشكل 6). تتناسب المعابد المعزولة على جانب الطريق التجاري الأكثر استخدامًا في مرتفعات النقب في الفترة الرومانية المبكرة مع النمط الذي وضعه الأنباط على الجانب الشرقي من وادي عربة. وعلق الباحث بيتري مطولاً أثناء رحلته بين شبه الجزيرة العربية ومصر على عادة النوم في المعابد لأغراض دينية أو الإقامة من أجل العلاج. ومن الواضح أن المعابد مثل معبد خربة حصصة، قامت بتوفير مكاناً أمنًا للمسافرين والتجار على طول الطرق الصحراوية الخطرة، مقابل بعض المال رسوم تأمين الخدمة والحراسة، أو بعض المواد التجارية، مثل العطور والبخور.

معابد عبدة النبطية

تقع المدينة النبطية عبدة في مرتفعات النقب الوسطى، في موقع استراتيجي على تقاطع طرق تجارية قديمة مرت بالمنطقة أشهرها هي طريق البتراء - غزة، والمعروف أيضًا باسم "طريق البخور". أقيمت مدينة عبدة على هضبة عالية تطل على الاودية المحيطة بها. شيد الأكروبوليس (مركز الحكم) في عبدة خلال العقود الأخيرة من القرن الأول قبل الميلاد (الشكل 7). ضم الأكروبوليس بداخلة مجمع عبادة مقدس (تيمينوس)، وفيه معبدين نبطيين على الأقل، أبرزهما المعبد المخصص لعبادة الملك النبطي عبدة (Obodas)، والذي تحول لاحقاً الى كنيسة (الشكل 8). ويشمل الموقع أيضاً على معسكرا للجيش الروماني من عهد دقلديانوس، وأبراج مراقبة رومانية، ونُزل للقوافل، واحياء سكنية من القرن الأول واستمرت الحياة فيه حتى القرن السابع ميلادي. عثر في الموقع على خمس معاصر عنب، وحمام وبجانبه بئر يصل عمقه نحو 70 مترًا. علاوة على ذلك، في المنحدر الغربي، أسفل الأكروبوليس، عثر على مئات الكهوف المنحوتة في الصخر الجيري. على عكس موقع الخالصة، عاصمة النقب، فإن عبدة والأراضي المحيطة بها غنية بالنقوش النبطية، واليونانية، والثمودية والعربية. ولهذا تعد مدينة عبدة أفضل مصدرا تاريخياً وأثريا للأنباط في النقب.

قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة، لأول مرة، تم إجراء عدد من التنقيبات الاثرية الصغيرة في عبدة تحت إشراف الأمريكي دي إتش كولت (1937). على الرغم من عدم توثيقها الدقيق، وصف كولت اللوحات الجدرانية والزخرفة الجصية التابعة للمعبد النبطي الصغير الواقع في الركن الجنوبي الشرقي من التيمينوس.

بعد عشرين عامًا في عام 1958، بدأ مخائيل آفي-يونا من الجامعة العبرية بتنقيبات واسعة النطاق، كجزء من مشروع لفتح الموقع للجمهور تحت رعاية سلطة الحدائق الوطنية. استمرت الحفريات في أوائل الستينيات تحت إشراف تلميذه أبراهم نيجب الذي ركز عمليات التنقيب بشكل رئيسي على منطقة الأكروبوليس وبقايا المعابد، وكنيستين وقلعة بيزنطية.

أجرى نيجب عام 1989 تنقيبات في المعبد الصغير، الذي وصفه الباحث كولت لأول مرة، بأنه معبد الملك عبدة الثاني، مشيرًا الى احتمال أن الآلهة الأخرى، مثل دوشارا والعزة كانت تعبد هنا أيضا. نشر نيجب أبحاثه عن مدينة عبدة، وتعتبر هذه الأبحاث المادة الأساسية لدراسة حضارة الأنباط في مرتفعات النقب. أكبر مساهمة قدمها نيجب في هذا المجال، نشره النقوش

الشكل 7. مدينة عبدة، مركز الحكم (الأكروبوليس).

الشكل 8. مدينة عبدة، معبدين في مجمع العبادة المقدس (التيمينوس).

التي اكتشفت في عبدة والمناطق القريبة منها. من بينها العديد من تلك التي اكتشفت في الأكروبوليس، بما في ذلك نقش نبطي مهم. هذا النقش من عهد أريتاس الرابع ومؤرخ الى السنة الثانية من حكمه (عام 7 قبل الميلاد). يدل هذا إلى أن الأكروبوليس ومعبد عبدة كانا قائمين من عهد أوغسطس وتم تجديدها في وقت متأخر وبقيت قائمة حتى منتصف القرن الثالث.

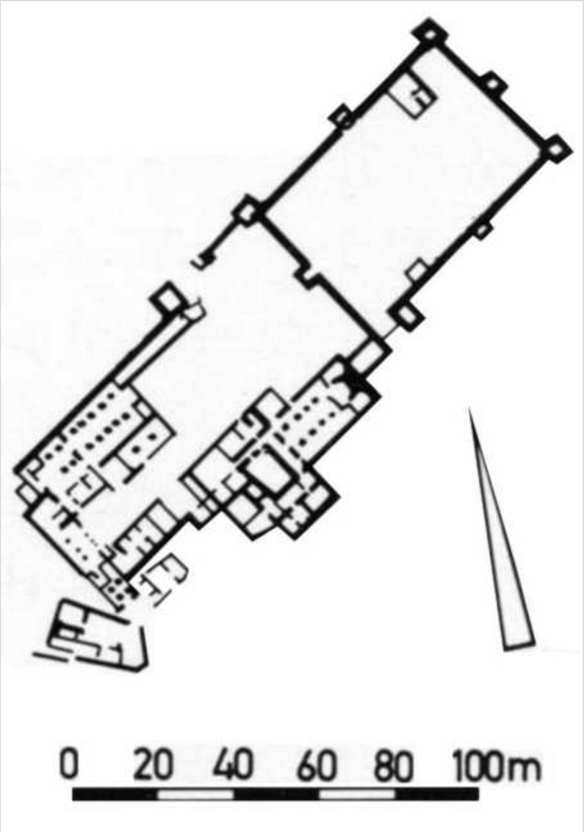

الشكل 3. عبدة، مخطط المعبدين في التيمينوس المقدس.

المعابد

تم اكتشاف معبدين في تيمينوس الأكروبوليس: معبد عبدة (أو المعبد الغربي) والمعبد الصغير. معبد عبدة أقيم في أقصى الطرف الغربي للتيمينوس، والمعبد الصغير في الشرق (الشكل 7). تم اكتشاف العديد من النقوش النبطية واليونانية في الموقع، بالأخص بالقرب من المعبد الغربي، بعضها خصص لزيوس أوبوداس (من آلهة عبدة). ومع ذلك لم يتم العثور على نقوش بالقرب من المعبد الصغير.

مشروع بناء المعبد كان مركب بسبب تضاريس موقع بناءه. بنيت منظومة أقبية، لكي يصل ارتفاع القسم الغربي من المعبد الى مستوى المنصة. هذه المنظومة مماثلة في شكلها وطرازها للأقبية التي بناها هيرودوس الكبير في القدس.

اكتشف نيجب ثمانية نقوش يونانية على إطار المدخل الرئيسي للرواق، توضح أن المعبد تم تجديد بناءه في منتصف القرن الثالث للميلادي بالتقريب، والنقش المتأخر من هذه المجموعة مؤرخ لعام 267/8 ميلادي. شملت التجديدات بناء سقف للمعبد، وتقليص عرض المدخل الرئيسي الأصلي (1.20-1.40 متر). تم حفر بركة ضحلة مساحتها 2 متر مربع في الصخر، على بعد 12 مترا شرقي رواق التيمينوس. تغذي هذه البركة قناة ضحلة منحوتة في الصخر. تم الكشف شرق المدخل عن جزء علوي من مذبح بخور يحمل نقش نبطي، من نمط مذابح القرون، كذلك اكتشف أمام البوابة الشمالية مذبح ثان، لتقديم القرابين.

تبين من البحث الشامل الذي اجراه عالم الآثار نيجب أن هناك نوعين من المعابد النبطية في الأردن وسوريا: نوع "شمالي" وفيه رواق مركزي، ونوع "جنوبي" له تقسيم ثلاثي. يمكننا إضافة نوع ثالث إلى هذين النوعين وهو معبد "البيت العريض" ذات الاروقة العرضية الواسعة، ويشيع هذا النوع في موآب والجنوب. بالإمكان تصنيف المعبد الغربي في عبدة للنوع الثالث، بالرغم من أن كلا النوعين شيدا على محور ثابت شمالي – جنوبي، والدخول إليهما عبر عدة مداخل في الجدار الشرقي، بينما الجدار الغربي مغلق وخال من المداخل، وذلك لأنه مبني على طرف المنحدر (الشكل 8). ويوجد برجي درج على كلا طرفين المعبد. تم بناء أبراج الدرج في معبد محي (جنوب الأردن) على طول جانبه الشرقي، بالقرب من الزاويتين الشمالية والجنوبية (أنظر الشكل 5). يختلف هذا الترتيب قليلاً فقط في معبد عبدة، حيث تقع أبراج الدرج في الأطراف الجنوبية والشمالية. يحتوي معبد محي على جدار فاصل يقسم داخله الى قسمين: جنوبي وشمالي مع كون القسم الشمالي هو الأصغر بين الاثنين. يبدو أن نفس التقسيم كان موجودًا في معبد عبدة، وذلك نظرا لوجود بقايا جدار فاصل يقع شمال المدخل الرئيسي. أثناء التنقيب بالرواق، عثر نيجب على فقرة عمود حجري عليها نقشًا

يونانيًا داخل مستطيل له أذنيين (تابولا انساتا)، وتنص إلى أن رايسوس (ابن) عبد الغوص قد بنى السقف له الشكر (الشكل 9). تُظهر الصور التي تم التقاطها نيجب أثناء التنقيب وجود جدران بين الأعمدة على جانب "المدخل" الشرقي للمعبد. وبالتالي ليس هناك شك في أن "الرواق" لم يكن رواقًا مفتوحا، بل كان فناءا مغلقًا ومسقوفًا.

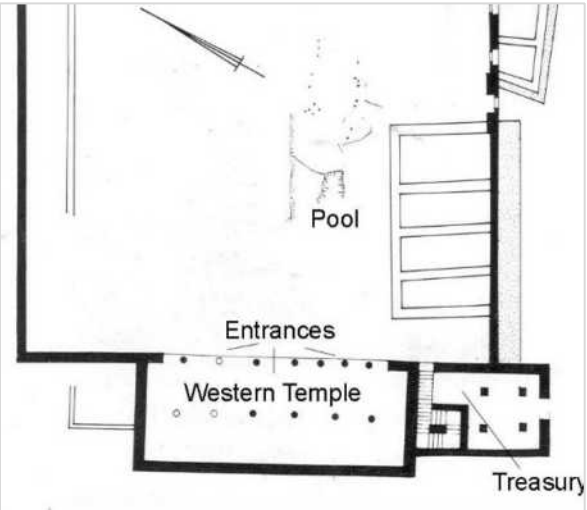

الشكل 4. عبدة، مخطط المعبد الغربي.

الشكل 5. فقرة عمود حجري عليها نقشًا يونانيًا.

يشير تخطيط معبد عبدة الغربي إلى كونه النمط المبكر للمعبد النبطي. لم يتم العثور حتى الآن في النقب على معابد مماثلة. وقد أظهر الباحث ثولبك أن هذا النوع من المعابد يبدو متأثرًا بشدة بالتقاليد الدينية المصرية. بنائهم بالقرب من طريق الرئيسي فيا ترايانا نوفا، يشير الى التأثير المصري القوي، ربما تم تعزيزهم بجنود من فيلق أوغسطس الثالث الذين تم نقلهم من مصر الى مقاطعة عرابيا في أوائل القرن الثاني ميلادي بالتقريب. في معبد قصرويت بشمال سيناء، كان التأثير المصري ملحوظًا في بناء الرواق ومحيط المنصة.

الأعمدة التي زينت المعبد الغربي

حدثت في المدة الاخيرة عدة أعمال تخريب كان هدفها تشويه ومحي زخارف الاعمدة التي زينت الواجهة الشرقية والشمالية في معبد عبدة، مما دفع سلطة الاثار بأجراء بحث علمي، لإعادة بناء وترميم ما شوه. ألقى البحث العلمي ضوءا آخر على العديد من القضايا الهندسة المعمارية للمعبد الغربي والتي كانت متعلقة بتفسير الباحث الأثري نيجب. وتضمنت إحدى القضايا إعادة بناء ثلاثة أعمدة مزخرفة على طول الرواق الجنوبي للكنيسة الشمالية. وحسب تحليل نيجب، لم يتم اكتشاف حجارة أقواس داخل القاعة الرئيسية نفسها، ولكن تم العثور على صهريج مياه في أتريوم الكنيسة، وحجارة اقتلعت من المعبد النبطي كي تستخدم لاحقا لبناء وتزيين رواق الكنيسة المركزي. على الرغم من التنقيب عن العديد من الكنائس في مرتفعات النقب، لم يتم اكتشاف حجارة أقواس مماثلة في أي مكان آخر. بالإضافة الى ذلك، فقد إدعى الأثري نيجب بأن الحجارة المنقوشة بدقة قد اخذت من المعبد الغربي واستخدمت لبناء الكنيسة الشمالية، وإن جدران الكنيسة والأرضية كلها شيدت من حجارة المعبد النبطي المجاور لها، وذلك اعتمادا على سمات حجارة المعبد، والتي كانت ذات نقوش بجودة عالية، كتلك التي وجدت بجدران الكنيسة البيزنطية لاحقا. لكن البحث الاخير أُظهر بأن العديد من الألواح الحجرية في أرضية الكنيسة تضمن هوامش ناعمة ملائمة لنقش حجارة البناء في الفترة الرومانية المبكرة (عهد هيرودس)، أواخر القرن الأول قبل الميلاد، تنتمي هذه الميزة إلى الفترة التي تم فيها إنشاء المعبد لأول مرة. اقترح نيجب أن كورنيش جدران الكنيسة أخذ من جدار المعبد الخارجي الذي تم تجديده في القرن الثالث ميلادي بالتقريب. في الواقع، اكتشف الأثري نيجب نقشًا يونانيًا مخصصًا للإله المصري أبيس، محفورًا في حجر أعيد استخدامه في الركن الجنوبي الشرقي من الكنيسة.

افترض الأثري نيجب بأن الأعمدة المزخرفة استخدمت لدعم العوارض الخشبية التي تحمل سقف الرواق الشمالي والجنوبي في الكنيسة البيزنطية. ومع ذلك، كشف الفحص الدقيق لفقرات الأعمدة الذي أجرته المهندسة ليلي سوخانوف من سلطة الحدائق والمهندس رام شويف من سلطة الآثار، أن لهذه الفقرات نفس الحجم والقطر وعليها زخارف ونقوش من النمط النبطي الموجود في المعبد. ومن وجهة نظر هندسية، لا يمكن لهذه الأعمدة أن تدعم سقف الرواق الشمالي والجنوبي في الكنيسة البيزنطية بالطريقة التي اقترحها الأثري نيجب. كان المعبد الغربي مصدر هذه الأعمدة، وقد تم وضعها على الأرجح على طول واجهة المعبد وملاصقة لجدار المدخل الشرقي. تشير زخرفتهم إلى تاريخ تجديد بناء المعبد الذي كان في القرن الثالث ميلادي بالتقريب. هناك مربعات بارزة ومدموج بمركز الأعمدة، تشير إلى أنهم كانوا في الأصل يحملون تمثالًا. أعمدة مماثلة وجدت في معابد رومانية متأخرة وعلى طول الشوارع في تدمر، أفاميا ومواقع أخرى في سوريا وكيليكيا. واحدة من أكثر الأمثلة المشهورة، أعمدة تحمل في مركزها تماثيل، موجودة في أعمدة الفناء الأمامي في معبد بل في تدمر.

ذخائر المعبد

كانت غرفة الذخائر الواقعة في الطرف الجنوبي من المعبد من أهم الغرف. فقد كانت مدعومة بأربعة دعامات (أعمدة مربعة) شاهقة، انهارت أثر الزلزال الذي ضرب المنطقة على ما يبدو في أوائل القرن الخامس ميلادي. في هذه الغرفة، عثر الأثري نيجب على العديد من النقوش النبطية من عهد أريتاس الرابع، أقدمها من سنة حكمه الثانية عام 7 قبل الميلاد. وعثر بالإضافة إلى ذلك، عدد من الأواني النبطية، وموجودات برونزية من الفترة الرومانية المبكرة. تضمنت هذه المجموعة أكوابً كاملًة من الأواني النبطية المزين بالرسومات، وجزءًا من وعاء فخاري ملون وشظايا فخارية أخرى مزينة بالرسومات وكذلك تماثيل فخارية من أواخر القرن الثاني إلى منتصف القرن الثالث الميلادي (الشكل 10). وثلاثة أباريق كاملة من الفترة الرومانية المتأخرة. تمثل الأواني وشظايا الفخار في المجموعة المرحلة الأخيرة من استخدامها في الفترة الرومانية المتأخرة، بينما تمثّل فقط ثلاثة شظايا فخارية الفترة المبكرة.

قامت روزنتال بدراسة كنز الأواني البرونزية الذي تضمن العديد من التماثيل البشرية والحيوانية، وعدد من الأسرجة البرونزية، اسود مجنحة، قلادة وخرز، ودبابيس من عظم. وقد زين أحد الأسرجة بنقش نبطي "ذاكرة جيدة وسلام ..."، وهي نفس الصيغة التي وجدت على نقش نبطي اخر في الموقع من القرن الخامس ميلادي.

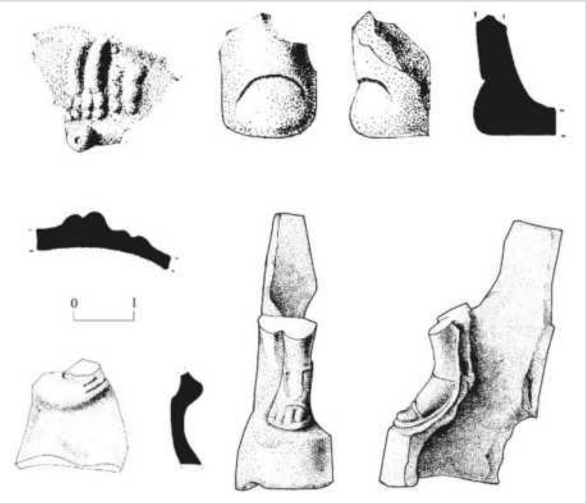

الشكل 6. أجزاء من تماثيل فخارية.

قارنت روزنتال محتويات الكنز في معبد عبدة بتلك التي وجودت في معبد الأسود المجنحة في البتراء، الذي اكتشفه الأثري هاموند. ونظرًا لوجود عدد كبير من الاواني المعدنية فقد حدد هاموند غرفة (2)، محاذية للمعبد وموصولة معه بواسطة ممر، على أنها ورشة حدادة. ومع ذلك، اعترف بأن الغرفة كانت تفتقر إلى أي أدوات تكنولوجية مثل الأفران أو البوتقات أو القوالب. وفسر أخيرا وظيفتها بأنها كانت ورشة تم بها الزخرفة النهائية للأواني المعدنية. حدد هاموند تأريخ هدم وتدمير معبد الأسود المجنحة و"ورشة الحدادة" إلى زلزال عام 363 ميلادي.

كشفت الأبحاث الميدانية التي أجراها هاموند في معبد الأسود المجنحة عن تفاصيل تشير إلى أن التجمعات المرتبطة بورشة الرسام وربما "ورشة الحدادة" قد تم التخلي عنها، على ما يبدو في وقت ما، في منتصف القرن الثالث الميلادي. من الواضح أنه تم الخلط بين الغرفة الواقعة على الجانب الغربي من المعبد، والتي افترض هاموند أنها ورشة حدادة، مع الاستخدام اللاحق

للغرف المجاورة الموجودة في مستوى أعلى، والتي يرجع تاريخها إلى الزلزال عام 363 ميلادي. تحتوي هذه الورشة على محتويات مماثلة لتلك الموجودة في كنز معبد عبدة. تضم كلتا المجموعتين في معبد الأسود المجنحة ومعبد عبدة على موجودات برونزية استعملت في طقوس العبادة. على سبيل المثال، تمثال نصفي لسيرابيس من معبد الأسود المجنحة، يشبه رأس مدوسا وتماثيل أفروديت وأدونيس كلها من عبدة. يوجد في كلا الموقعين أشكال مجنحة متشابهة بشكل ملحوظ (أبو الهول) مدعومة بقدم واحدة على شكل كف أسد. علاوة على ذلك، احتوت كلتا المجموعتين على أشكال برونزية ذات أغطية عالية وأسرجة برونزية ومجوهرات، بما في ذلك الدبابيس وخواتم. يبدو أن هذين الكنزين كانا مستودعات الهدايا والقرابين للآلهة التي كانت تعبد هناك. هذا من شأنه أن يفسر وجود أشياء برونزية عالية الجودة بالإضافة إلى مجوهرات وأشياء شخصية أخرى.

معبد عبدة الصغير (الغربي)

في عام 1989، حفر نيجب عدة مقاطع فحص شرق الكنيسة الجنوبية في عبدة. واكتشف نصف معبد نبطي (الغرف 1 و2). ثم حفر في الجانب الجنوبي للكنيسة وأسفل الجدار البيزنطي وكشف فيها عن غرف اضافية (الغرف 3 و4). بناء على هذا الاكتشاف، عرف نيجب هذه الغرف بأنها جزء من معبد نبطي إضافي، واقترح تعريف الغرف 1 و2 قدس الأقداس أو الأدتون نظرًا لوجود حنيات في الجدران الجنوبية لهاتان الغرفتان، عادة معدة لتمثال الآلهة. من خلال مدخل في الجدار الجنوبي يمكن للمرء أن يدخل أكبر غرفة من غرف الأدتون، يوجد تجويفتان على جانبي المدخل، والتي تم إغلاقها لاحقًا ببناء جدار واقي للكنيسة. يقع الحنية الثالثة على طول الجدار الجنوبي للغرفة 2. تعتبر الحنيات والعناصر المعمارية المميزة والألواح الجصية الملونة من الستوكو التي اكتشفت في الغرفتين 1 و2 أقوى الحجج لتشخيص وظيفة هذا المبنى. يوفر وجود صهريج بهندسة معمارية نبطية رومانية مبكرة على الجانب الشمالي من المبنى دعماً إضافياً. فالمبنى بني بهندسة معمارية نبطية ورومانية قديمة. كانت زخرفة الجص المصبوب سمة شائعة في العديد من المعابد النبطية، ولا سيما في مراحلها المتأخرة. على الرغم من أن الأثري نيجب قدم صورًا بالأبيض والأسود للوحات الجص الملونة، إلا أنه لم يذكر "حجارة البناء المصقولة" الذي عثر عليها الباحث كولت في الموقع عام 1937. جمع الأثري نيجب هذه العناصر ووضعها في مخازن حديقة عبدة الوطنية. وهي تشمل على أجزاء كبيرة وصغيرة، وكثيرا من الكرانيش واطر الأبواب. تم استخدام القوالب المخروطية الشكل على الظهر لتثبيتها في الحائط. بعض الأجزاء تحمل آثار طلاء أحمر وأزرق. من المحتمل أن تكون الكرانيش واطر الأبواب تابعة الى الحنيات في الغرفتين 1 و2.

كانت الزخرفة الجصية المصبوبة سمة شائعة في العديد من المعابد النبطية، ولا سيما في مراحلها الرومانية المتأخرة. تم اكتشاف كرانيش من ألواح جصية مطلية ومزخرفة بإتقان في المعبد الكبير في البتراء وأماكن أخرى في البتراء مثل قصر البنت وفي معبد الأسود المجنحة. وقد اكتشفت زخارف مماثلة في معبد "اللات" النبطي المتواجد في وادي رام، وكذلك في معبد خربة الذريعة، ومعبد خربة التنور. أما بالنسبة لتاريخ المعبد الصغير وزخارفه الجصية فقد عثر نيجب على أواني فخارية من الفترة "النبطية الوسطى" هذا بالإضافة الى بعض العملات المعدنية التي أشارت الى أن هذا المعبد بقي قيد الاستخدام حتى أواخر الفترة الرومانية. أثرت التقاليد الشرقية والاتجاهات المعمارية الرومانية المتزايدة تأثيرًا عميقاً في عمل الأنباط. لا تزال هناك مشكلة رئيسية تتعلق بمدى تأخر هذا الشكل من الزخرفة بعد الضم الروماني لمقاطعة الأنباط في عام 106 ميلادي. تشير الدلائل المستمدة من عدة مواقع إلى أنه غالبًا ما يتم العثور على هذا النمط من البناء في المعابد النبطية، في فترات متأخرة، على الأرجح بعد الضم، على سبيل المثال، نرى ذلك بشكل ملحوظ في المعبد الكبير، بوادي رم، بخربة الضريح، وربما خربة التنور. لم يقتصر الجص المطلي والستوكو على الهياكل الدينية وحسب، بل تم العثور عليه أيضًا في المساكن الخاصة مثل "المنزل المصبوغ" في البتراء في سيق وأيضًا في مجمعات رومانية متأخرة مثل المبنى 12 في ممبسيس.

أحواض طهارة "ميكفاؤوت"

بروفيسور روني رايخ – معهد زينمان للأثار، جامعة حيفا
ترجمة الدكتور وليد أطرش

مقدمة

حوض الطهارة "مكفي" هو مرفق مائي يسمح لليهودي المؤمن الذي يأدي فرائض الديانة اليهودية، بتطهير جسده من أجل أنشطة دينية مختلفة، مثل دخول بيت المقدس في القدس. المبادئ الدينية للطهارة الطقسية موجودة بالفعل في الكتاب المقدس، ولكن فقط حسب تفسير المجموعة التفسيرية، خلال فترة الهيكل الثاني، هو الذي أدى إلى بناء هذه المرافق. تعود أقدم هذه المرافق إلى أيام حكم الحشمونائيم على يهودا (منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وما بعده). ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم استخدم اليهود المؤمنون هذا النوع من مرافق الطهارة. عادة ما تكون المياه عبارة عن مياه مطر يتم تجميعها في المرفق، ولكن هناك أيضًا مرافق جمعت مياه الينابيع (على سبيل المثال: أريحا)، ومياه الفيضانات (خربة قمران)، والمياه الجوفية (مجدلا). تم وضع عدة قواعد لبناء المرفق ونوعية المياه، وهي القواعد التي تفرق بين هذه المياه وكل المياه الأخرى التي يستخدمها الإنسان. أكثر من 800 من هذه المرافق معروفة اليوم من الفترة التي عاش فيها اليهود في البلاد (فترة الهيكل الثاني وفترة المشناه والتلمود، أي الفترات الهيلينية المتأخرة، الرومانية والبيزنطية).

هذا النوع من المرافق غير موجود بشكل قاطع في المدن الوثنية، وبالتالي فهي العلامة الأكثر وضوحًا على الوجود اليهودي في مكان ما.

حوض الطهارة

أحد أكثر أنواع المباني شيوعًا في القدس ومواقع اخرى من الفترة الرومانية المبكرة (المعروفة في البلاد من قبل علماء الآثار "أواخر فترة الهيكل الثاني" من القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الأول للميلاد)، عبارة عن مرفق مائي له درج ومكسوا من الداخل بجص مقاوم للمياه (جص هيدروليكي). حتى الآن أكثر من 800 من هذه المرافق معروفة في المواقع الأثرية في جميع أنحاء البلاد، وفي القدس وحدها حوالي 170 منها. هذا هو مرفق المياه المعروفة باسم مكفي (ميكفاؤوت بالجمع)، حيث يكون التعبير في مجمله "مكفي مياه"، مما يعني تجميع مياه الأمطار. إنه مرفق من صنع الإنسان تم بناؤه وفقًا لقواعد معينة. وهو يسمح لأي يهودي مؤمن، ملتزم بالتعاليم الدينية أن يطهر نفسه وفقا للطقوس عند الحاجة، من خلال غطس جسده العاري بالكامل (الشكل 1). هذه العملية، عملية الغطس مختلف عن الحمام العادي الذي يهدف إلى إزالة الأوساخ من الجسم (التي يتم إجراؤها في حوض الحمام، جزئيًا)، على الرغم من أنه في العصور القديمة كان غسل الجسم قبل الغطس في المكفي أمرًا إلزاميًا، ربما كوسيلة للحفاظ على نظافة مياه المكفي. للغطس في المكفي يوجد فقط وظيفة دينية طقسية، ولا علاقة لها بالنظافة.

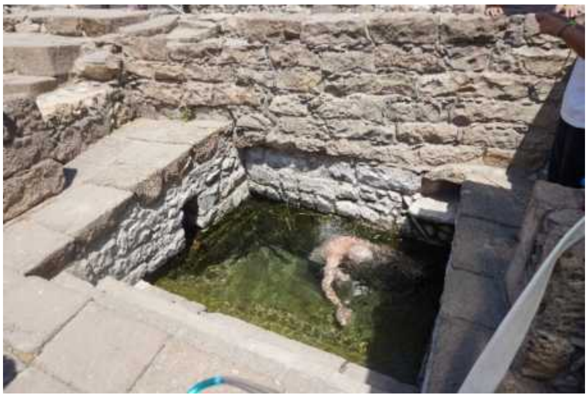

الشكل 1. شخص يغطس في حوض طهارة من مجدلا بالقرب من بحيرة طبرية.

ترد القواعد العملية المتعلقة بطهارة الطقوس بإيجاز الى القانون التوراتي (سفر اللاويين، الفصول 11-15، والتي ربما كتبت في أيام العودة إلى صهيون (الفترة الفارسية أو الفترة الهيلينية المبكرة). نظرًا لأن طلب الطهارة كانت محدودة في تلك الفترة القديمة وكان عدد السكان محدودًا، كانت مصادر المياه الطبيعية مثل الينابيع وجمع المياه الموسمية بعد الأمطار كافية لتلبية متطلبات السكان اليهود. في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، مع صعود بيت الحشمونائيم إلى السلطة وارتفاع مستوى التقوى

الدينية لدى الشعب، لم تعد أماكن الطهارة هذه كافية، تمت ولادة حوض الطهارة أو تم اختراعه من قبل الناس، في يهودا، لتلبية المطالب المتزايدة لوسائل التطهير.

المصادر الرئيسية المكتوبة لهذا الموضوع هي الأدب الحاخامي التفسيري، وخاصة في مبحث "ميكفاؤوت" الآبار والمطاهر، الموجودة في المشناه وكذلك في "التوسفتا" الاضافات. الأحكام التشريعية (أي القوانين الدينية) لم يتم كتابتها ككتاب إرشادي حول كيفية بناء المطهرة، بل هي بمثابة قانون لحل المشكلات المتعلقة باستخدام هذه المرافق، وخاصة المياه التي بداخلها. إن الانتباه البحثي للمطاهر القديمة أشار اليه لأول مرة كاتب هذه المقالة في التنقيبات الأثرية التي أجريت في الحي اليهودي في القدس القديمة بين الأعوام 1969-1985، برئاسة البروفيسور ن. أفيغاد (الشكل 2). تم الكشف في هذه التنقيبات عن عدد كبير من المساكن من فترة الهيكل الثاني (القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، حتى خراب المدينة في عام 70 ميلادي)، وفي أقبية كل منزل كشف عن مرفق له درج ومطلي بالجص التي تم تحديدها وتميزها كأحواض طهارة. تم نشر هذه الدراسة بالكامل مؤخرًا من قبل كاتب هذا المقال.

الشكل 2. حوض طهارة في "المدينة العليا" في القدس (اليوم الحي اليهودي في البلدة القديمة).

الخصائص الفيزيائية لأحواض الطهارة

لكي تكتسب مياه الأمطار القوة الداخلية للتطهير، قرروا رجال الدين وقتها الالتزام ببعض القواعد: والقاعدة الأهم هي أن المياه يجب أن تجمع في حوض الطهارة من تلقاء نفسها، أي دون تدخل الانسان "على أيدي السماء"، أي على يد العناية الإلهية العليا. وهذا يعني أنه من المفترض أن تتدفق المياه من السطح أو من الفناء مباشرة إلى حوض الطهارة وتجمع هناك. مياه تضخ من بئر قريب، حتى لو امتلأ بنفس العاصفة المطيرة التي أتت منها مياه إلى حوض الطهارة، وأضيفت إليه بعد ذلك فهي غير صالحة للتطهير لأنها "وصلت على أيدي انسان". ولهذا فإن حوض الطهارة عبارة عن مرفق محفورة في الصخر، أو مبني فوق أرضية صخرية، وهم ليس أوعية مثل حوض الحمام، لأن المياه الموجود في الإناء، أو المارة عبره، يعتبر مضخوخ، وبالتالي فإن حوض الطهارة غير مؤهل للتطهير.

تم تعيين أدنى كمية ملزم بها حوض الطهارة من المياه هي 40 "سيآة" صاعًا (التقديرات الحديثة لهذه الكمية كلها بين 0.5-1.0 متر مكعب من المياه)، وحد أدنى لعمقه 3 "أموت" (حوالي 1.2-1.5 متر).

تقرر أن مياه الأمطار التي تتدفق إلى حوض الطهارة يجب أن تصل في نهاية عملية التجميع إلى حالة ثابتة، أي توقف التدفق. وهذا يعني أنه لا يُسمح بتسرب المياه من خلال الشقوق الموجودة في الطلاء، ويجب صيانة المرفق بشكل متكرر. وهذا ما يفسر حقيقة وجود طبقات عديدة من الطلاء في المرافق التي عثر عليها من خلال التنقيبات (الشكل 3).

الشكل 3. حوض طهارة في صفورية. لاحظ عدة طبقات من الطلاء.

لا يحدد مبحث "ميكفاؤوت" في المشناه الخطوط العريضة لشكل ووصف المرفق وكذلك لا تذكر أنه يجب بناء درج (الموجود في كل حوض طهارة دون

استثناء) لأن مثل هذا المطلب بديهي، ولا يوجد أي شرط لعدد الدرجات.

الطلب الأخير الذي سأذكره هنا يتعلق بلون مياه حوض الطهارة التي يجب أن تبان في حالتها الطبيعية. هذا يعني أن المياه ذات اللون الأخضر من الطحالب هي مشهد طبيعي، وكذلك مياه الفيضانات ذات اللون البني الفاتح (لكنها تصبح صافية بعد بضعة أيام من بقاء الماء في المرفق، بعد ترسب الطين). من ناحية أخرى، مياه سكب فيها بعض النبيذ أو الزيت أو الحليب (وهي حالة يمكن أن تحدث في أحواض الطهارة في القرى) أو غيرها من السوائل التي تغير مظهرها، فهي غير صالحة للتطهير لأن مظهر المياه الطبيعي تغير.

إذا كان الأمر كذلك، فقد حدد الحكماء أن مياه الأمطار التي يزيد حجمها عن 40 "سيآة" وعمقها يتجاوز 3 "أموت"، وجمعت لوحدها في مرفق منحوت في الصخر أو مبني بباطن الأرض (أي متصل بالأرض)، وقد وصلوا إلى حالة ثابتة ولها مظهر طبيعي، فهذه المياه قادرة على تطهير الأشخاص غير الطاهرين من الدنس (مع عدد قليل من الاستثناءات)، أوعية غير طاهرة (وهنا أيضًا هناك عدد قليل من الاستثناءات)، وحتى المياه غير الطاهر (أي مياه مضخوخ). هذه القاعدة بديهية، أي لها مكانة بديهية حسابية (الذكاء الأول)، وتعني أنه لا يوجد مصدر دنس يمكن أن يدنس هذه المياه، طالما أنها تحافظ على القواعد المذكورة أعلاه (طالما أنها تبدو مثل المياه الطبيعية أو حجمها لا يقل عن 40 "سيآة").

أحواض الطهارة المكتشفة في التنقيبات الأثرية منحوتة بالكامل في الصخر، أو فقط جزءها السفلي منحوت في الصخر، بينما جزئهم العلوي مغطى بعقد نصف برميلي مبني من الحجر. يبلغ متوسط أبعادها حوالي 2 × 4 أمتار. عادة ما يكون الدرج ممتد بطول المرفق. يبلغ ارتفاع الدرجة حوالي 20-30 سم، وهو سهل الصعود، بينما الدرجة السفلية، التي تنزل إلى أرضية المرفق تكون أعلى، حوالي 60-70 سم. للتغلب على هذا الارتفاع، غالبًا ما توجد درجة مساعدة صغيرة في مركز أو زاوية الأرضية. عرض درجة يختلف من مرفق الى آخر. في كثير من الحالات، هناك درجة عريضة بين كل 3-4 درجات عادية التي يبلغ عرضها حوالي 30 سم. هذا الترتيب يسمح لمستخدمين المرفق المملوء بالمياه على ارتفاعات مختلفة، وعندما يكون ممتلئًا بالكامل، يمكن النزول إلى فقط حتى الدرجة العريضة والغطس هناك، وليس الوصول حتى القعر العميق. نوع آخر من أحواض الطهارة هو النوع الموجود بأعداد كبيرة في

الشكل 4. حوض طهارة في أريحا. حوض طهارة متدرج وبجانبه "كنز" لمياه غير مضخوخة.

الشكل 5. حوض طهارة في خربة قمران على شواطئ البحر الميت.

الشكل 6. حوض طهارة في القدس منحوت في الصخر له مدخل مزدوج.

أريحا، فيه درج ضيق جانب واحد أو جانبين المرفق. تم تجميع مياهه من سطح أو من فناء مرصوف بألواح حجرية وتوجيهها إلى المرفق إما من خلال مزراب أو من خلال مدخله. أنواع أخرى من أحواض الطهارة هي تلك التي لا يتم فيها توجيه مياه الأمطار للمرفق، ولكن بالأحرى مياه ينابيع كما في مرافق أريحا (الشكل 4)؛ ومياه الفيضانات من الوادي القريب، كما في خربة قمران (الشكل 5)؛ أو المياه الجوفية كما هو الحال في المرافق التي تم الكشف عنها مؤخرًا في مجدلا بالقرب من بحيرة طبرية.

لحوض الطهارة العادي يوجد عدة أنواع مختلفة قليلاً، سنذكر أحدها هنا: حوض طهارة له مدخلين متجاورين، بدلاً من مدخل واحدة عادي، أو بدلاً من ذلك فاصل منخفض (ارتفاعه 10 - 20 سم) الذي يقسم الدرج المؤدي إلى حوض الطهارة، أو الدرج داخل حوض الطهارة إلى مسارين متوازيين ومتطابقين (الشكلين 6 - 7). هذا الفاصل يفرق بين الداخلين الى حوض الطهارة وهم غير طاهرين وبين الذين تطهروا وخرجوا من حوض الطهارة في المسار الآخر، وهكذا تم منع تواصل غير مرغوب فيه بينهم (تنتقل النجاسة عن طريق اللمس) كما هو موصوف في المشناه.

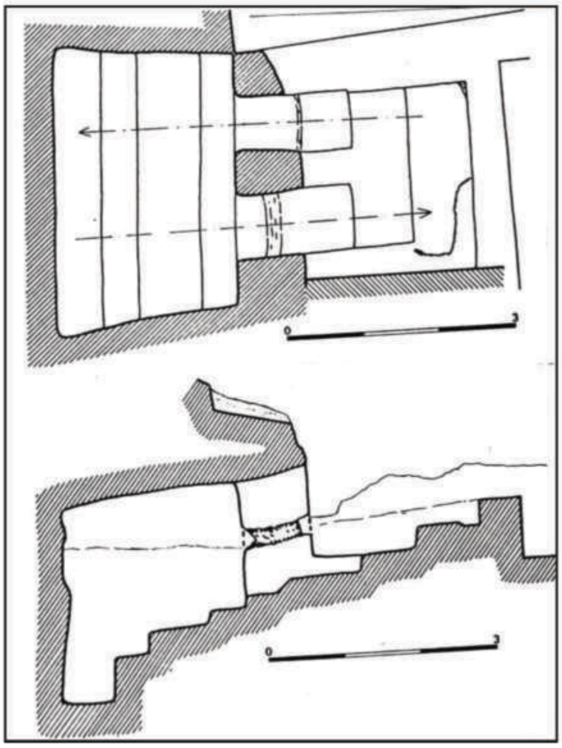

الشكل 7. خارطة وقاطع، حوض طهارة له مدخل مزدوج.

انتشار أحواض الطهارة وموقعها

في القدس خلال فترة الهيكل الثاني، تم الكشف عن أحواض طهارة بأعداد كبيرة في كل منزل وفي الأماكن العامة حول الحرم القدسي، لخدمة الحجاج. موقعها هذا ضروري لأنه وفقًا للقانون الديني اليهودي مجبر كل وافد إلى الحرم القدسي أن يكون طاهر، ويحصل كل شخص على الطهارة بعد الغطس في حوض

الشكل 8. حوض طهارة بالقرب الحرم القدسي في القدس من جنوب.

الطهارة (الشكلين 8 - 9). كانت أحواض الطهارة في المنازل أيضًا ضرورة لأن العديد منها كانت تسكنها عائلات كهنوتية. هؤلاء تغذوا من الطعام الذي قدمه لهم الناس (تبرعات وأجزاء معينة من لحوم الضحايا) بشرط أن تكون طاهرة. تم اكتشاف أحواض طهارة بأعداد كبيرة في قصور الحشمونائيم في أريحا، وفي قصور هرودوس في مسادا، أريحا (أنظر الشكل 8)، قيبروص، هيروديون، قيسارية ومكاور.

أماكن آخر توجد فيه أحواض طهارة، المنطقة القروية، حيث توجد أحواض طهارة بجوار مصانع النبيذ (معاصر العنب) ومعاصر الزيتون. هذا أيضًا ينبع من القانون الديني الذي يتطلب إنتاج نبيذ وزيت بطهارة. هذا ضروري من أجل بيعها طاهرة في القدس، وأيضًا حتى تتمكن عائلات الكهنة من الحصول على الحصة التي تستحقها من الناس (تبرع) طاهرة.

يوجد حوض طهارة في كل منزل من منازل فترة الهيكل الثاني الذي يسكنه يهود، وهو غير موجود تمامًا في منازل مستوطنة غير يهودية خلال الفترتين الهيلينية والرومانية. لا يوجد أحواض طهارة في المدن التي يسكنها الوثنيون على طول السهل الساحلي، مثل عكا، دور، أشدود، عسقلان وغيرها. في المدن المختلطة، مثل صفورية، من السهل ملاحظة الفرق بين الأحياء التي يسكنها اليهود (الحي الشمالي الغربي الغني بأحواض طهارة) مقارنة ببقية أجزاء المدينة. أصبحت أحواض الطهارة علامة معمارية دائمة لأكثر الأماكن شيوعًا لتحديد سكان المنزل، وحتى مستوطنة بأكملها، يسكنها اليهود.

الشكل 9. حوض طهارة بالقرب الحرم القدسي في القدس من الغرب.

بعد احتلال الرومان للقدس في عام 70 ميلادي، خاصة بعد خراب الهيكل والقدس وإلغاء تقليد القرابين، انخفض الطلب على التطهير الطقسي بشكل كبير. ويلاحظ هذا بشكل كبير في انخفاض عدد أحواض الطهارة المكتشفة في المستوطنات اليهودية. من معدل 2-3 أحواض طهارة بالبيت في القدس خلال فترة الهيكل الثاني إلى متوسط 1-2 أحواض طهارة لكل قرية أو حي سكني يهودي. هذا المعدل موجود أيضًا في وقت لاحق في المجتمعات اليهودية في الشتات اليهودي في أوروبا في العصور الوسطى وبعدها.

صيانة أحواض طهارة

المشكلة الرئيسية في تشغيل حوض الطهارة وصيانتها هي ضمان التزويد المستمر بالمياه الطاهرة للتغطيس على مدار عام كامل. نظرًا لأن موسم عدم هطول الأمطار في البلاد طويل جدًا (من شهر أبريل حتى شهر نوفمبر بالتقريب) هذه المشكلة قد تكون صعبة التنفيذ. تمتلئ أحواض الطهارة بمياه الأمطار خلال العواصف المطيرة الأولى في الشتاء. كما ذكر في الأعلى، فإن كمية 40 "سيآة" من مياه الأمطار لها القدرة على تطهير الأشخاص، الأوعية والمياه، لذلك الحل البسيط كان إضافة المياه الضخ خلال السنة (غير طاهرة) إلى حوض الطهارة الذي يحتوي على مياه طاهرة، بشرط أن مياه الطاهرة في حوض الطهارة لا تقل كميتها عن 40 "سيآة" ومن عمق 3 "أموت". في هذه الحالة كل كمية المياه التي تم ضخها طهرت على الفور. في أحواض الطهارة التي تم التنقيب عنها لا توجد علامة مثل "الخط الأحمر" إذا كان مستوى المياه أسفله يشير أنه لا يوجد في المرفق الكمية المطلوبة، ولكن يمكن الافتراض أن كل صاحب بيت يعرف إلى أي درجة يمكن أن ينخفض مستوى المياه (من التبخر، من الحقيقة أن الناس يخرجون من حوض الطهارة مبللين) ولا يزال لديهم حوض طهارة شرعي (كوشير)، وعليه الاسراع لإكماله بالمياه التي يتم ضخها.

في البيوت الكبيرة في القدس، والتي كان فيها أكثر من حوض طهارة واحد (في بيت الفضائل الذي تم التنقيب عنه في الحي اليهودي في تنقيبات أفيغاد، هناك خمسة أحواض طهارة!)، حوض طهارة الذي خرج من الاستعمال لم يسبب بمشكلة خاصة لأن أحواض الطهارة الآخرين كانوا يوفرون حلًا مناسبًا حتى موسم الأمطار التالي.

عندما أصبحت مياه حوض الطهارة قديمة بسبب الاستخدام المفرط (وهذا لا يعني أنها أصبحت غير طاهرة!) لدرجة أنه حتى إضافة المياه التي يتم ضخها لن تؤدي إلى تحسين جودتها، لم يكن هناك خيار متبقي فهناك حاجة إلى استبدالها. نظرًا لعدم وجود طريقة لملء حوض طهارة فارغ باستخدام المياه التي يتم ضخها من بئر مياه قريب (على الرغم من أن المياه في البئر هي في الواقع مياه الأمطار)، تصبح هذه مشكلة حقيقية.

بمنطقة صحراء يهودا تم إدخال تجديد تشغيلي في عدد من أحواض الطهارة. وهو يقوم على مبدأ أن "كل ما يتعلق أي متصل بحوض الطهارة هو حوض طهارة"، أي أن كل المياه المتصلة بمياه حوض الطهارة تطهر بواسطته ويصبحوا مياه مطهرة. في عدة مواقع (مسادا، هيروديون، أريحا وبعض المرافق في القدس) تم العثور على أزواج من أحواض الطهارة متصلة

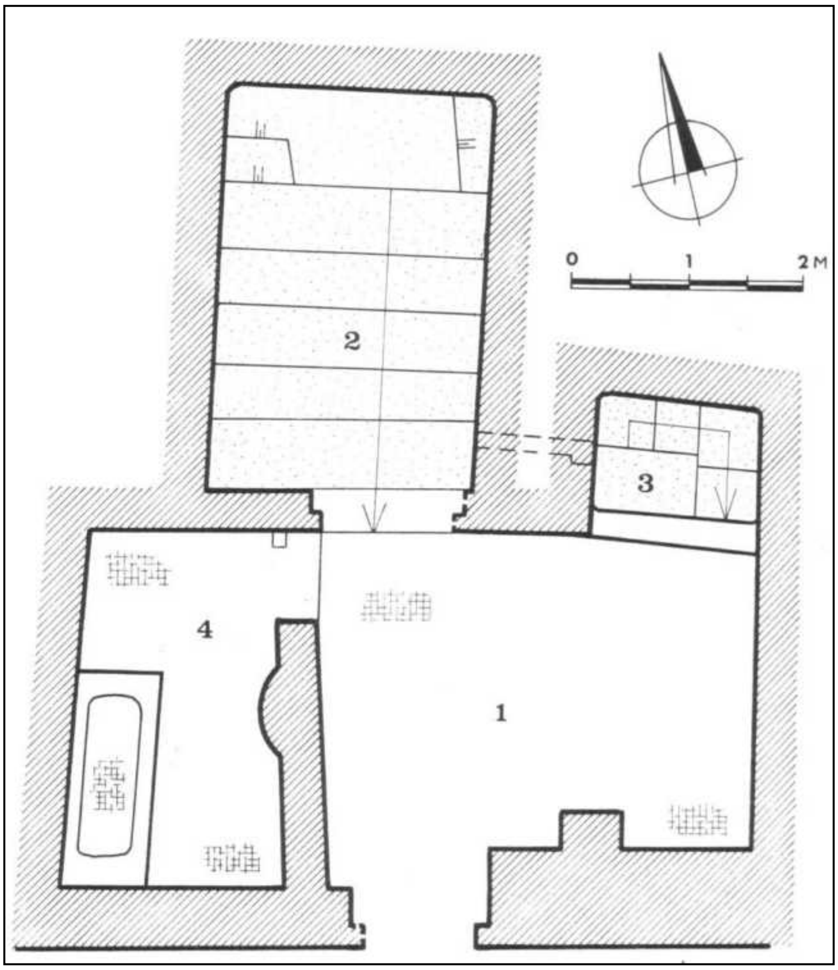

الشكل 10. حوض طهارة من القدس: 1. غرفة اللباس - 2. حوض طهارة 3. "كنز" (لاحظ الأنبوب الذي يربط رقم 2 و3 - 4. حمام مع حوض استحمام.

بطرفها العلوي بواسطة أنبوب أو قناة (الشكل 10).
تمتلئ كل من هذه المرافق بمياه الأمطار خلال العواصف الشتوية الأولى. يتم استخدام أحد المرافق للغطس، بينما لا يتم استخدام المرفق الآخر (في الفترات المتأخرة أطلق الى هذا المرفق اسم "كنز"). عندما تتعفن مياه المرفق المستخدم للتطهير، كانوا يفرغون مياهه باستخدام دلو (لا يوجد بأي حوض طهارة مصرف في جزء السفلي لتصريف المياه)، ويتم تنظيف المرفق، ويتم ملؤه بالمياه التي يتم ضخها من البئر القريب. هذه المياه، في الوقت الحاضر، ليست صالحة للتغطيس لأنها مضخوخة. عند إزالة تسكيره الأنبوب أو القناة التي تربط حوض الطهارة هذا بحوض الطهارة المجاور له الذي لم يستخدم "الكنز"، فإن مياهه طاهرة من بداية الشتاء، تطهر مرة واحدة مياه حوض الطهارة القريب، وهم طاهرون للغطس الطقسي. بعدها يتم أغلاق القناة ويترك "الكنز" لأعمال مماثلة في المستقبل. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الطريقة موجودة فقط في أقلية من أحواض الطهارة من فترة الهيكل الثاني، ويرى بعض العلماء أنها لم تكن موجودة بالفعل في فترة الهيكل الثاني ويوجد باحثون يدعون أن هذه الطريقة لم تكن موجودة خلال فترة الهيكل الثاني وهي من اختراع القرن الثامن عشر في أوروبا، أو حتى في وقت لاحق. أصبحت هذه الطريقة في الأجيال الحديثة طريقة إلزامية في بناء أحواض الطهارة.

أحواض الطهارة والمعمودية المسيحية

في رأي كاتب هذه السطور إن المعمودية المسيحية مشتقة مباشرة من التغطيس اليهودي، على الرغم من وجود جانب واحد فقط يتعلق بها، وهو معمودية هاجر (شخص حول دينه إلى اليهودية). وفقًا للعقيدة اليهودية، كان على أي شخص يريد الالتحاق بالدين اليهودي مجبر بتقديم أضحية إلى معبد في القدس، ومجبر بالتطهير عن طريق الغطس في حوض الطهارة "الميكفيه". في هذين الإجراءين يكون قد أكمل عملية قبولهم في المجتمع اليهودي.
اعتمد المعمودية المسيحية على طريق الغطس في حوض الطهارة اليهودي. في الأيام الأولى للكنيسة المسيحية، كان معظم الذين يسعون إلى قبولهم في الديانة المسيحية من البالغين، ودخلوا الى مرفق مياه متدرجة (لم تكن مياهه طاهرة وفق الأحكام المذكورة أعلاه)، وبالتالي تم تعميدهم وقبولهم في المسيحية. في الآونة الأخيرة، معظم المقبولين في الديانة المسيحية من الأطفال حديثي الولادة. في كلتا الحالتين ترمز معموديتهم إلى قبولهم في الكنيسة. تغيرت طريقة الاحتفال، ولكن تم في المياه. في العبادة اليهودية عن طريق غمر الجسم كله في المياه، بينما في العبادة المسيحية بسكب المياه، وبالتالي تغير شكل المرفق أيضًا من مرفق متدرجة إلى حوض مائي صغير.

معابد بعلبك - استعراض معماري وتاريخي

بروفيسور أرتور سيغال - جامعة حيفا

تمهيد

بودي الحديث هنا عن ثلاث قصص لثلاثة معابد أقيمت في بعلبك، ألا وهي هليوبوليس القديمة. هذه المعابد التي دام بناؤها على مدى القرون الأول والثالث للميلاد، فإنها أحد المجمعات المعمارية المبهرة والمهمة التي بنيت في الزمن القديم. قلت "المبهرة" و"المهمة"، وليس "الكبيرة"، رغم أن التداعي الأول بذكر معابد بعلبك هو ضخامة حجارة البناء التي تبلغ مئات الأطنان. فعلا، معابد جوبيتر ومعبد باخوس المجاور له، وهو أصغر منه بقليل، فإنهما وبكل تأكيد مبان كبيرة، لكن في العالم الكلاسيكي، اليوناني والروماني، بنيت معابد أكبر وأضخم.

أعتقد أن أهمية معابد بعلبك ومكانتها المميزة بتاريخ التصميم المعماري الكلاسيكي غير متعلقة بضخامة مقاييسها أو بموقعها داخل الطبيعة الجميلة الخضراء في البقاع والقمم المثلجة لجبال لبنان الشرقية والغربية، إنما لكونها تصميم معماري مميز، جريء واستثنائي.

الخلفية الجغرافية

تقع مدينة بعلبك في شمال منطقة البقاع، إنه سهل مترامي الأطراف، يمتد بين جبال لبنان الشرقية والغربية، وترتفع 1150 متر عن سطح البحر. يحظى البقاع بوفرة مصادر مياه وخصوبة تربته. يجري إلى الجنوب منه نهر الليطاني، وهو نهر ليونتس، بينما يجري نحو الشمال نهر العاصي، وهو الأورونتوس. تكثر الينابيع الغزيرة حول المدينة، وهي تزودها بالمياه العذبة مع جوارها طيلة أيام السنة.

ترتفع جبال لبنان الشرقية والغربية إلى 2000 متر تقريبا فوق السهل. ولون هذه الجبال أحمر، وتكسو قممها الثلوج معظم أيام السنة، وتربتها خصبة للزراعة الغنية في بعلبك نفسها وجوارها. في القرن الأول قبل الميلاد، عندما بدأوا بإقامة مجمع المعابد في بعلبك، كانت جبال لبنان لا تزال مغطاة بغابات الأرز، كما أفاد المؤرخون القدامى.

تقع بعلبك على الطريق الرئيسي للقوافل الوافدة من حمص القديمة وهي إميسيا (Emesa) إلى دمشق. وتؤدي الطريقان الرئيسيان من بعلبك إلى ساحل البحر المتوسط. الطريق إلى جبيل (بيبلوس القديمة)، تجتاز عبر أفقا والعاقورة، بينما تؤدي الطريق الثانية إلى طرابلس. إذن كانت بعلبك حلقة وصل مهمة بين سوريا وساحل البحر.

خلفية العبادة

الاسم بعلبك هو اسم غربي قديم، حفظ فيه اسم الإله بعل. ويعني الاسم "صاحب البيت". وذلك لقداسة بعلبك في الفترة الهيلينية – الرومانية بجذورها الضاربة في التاريخ. أظهرت الحفريات في المجمع المقدس مكتشفات قديمة، بعضها من الألف الثالثة قبل الميلاد، الأمر الذي يدل على وجود طقوس عبادة في المكان منذ الفترة البرونزية.

منذ أواخر الفترة الهيلينية، وخاصة من الفترة الرومانية، أصبح بحوزتنا كثير من التأكيدات التاريخية والنقوش والعملات النقدية من الموقع بعد ضم المكان – الذي كان يسمى هليوبوليس – إلى مقاطعة سوريا بعد عام 36 قبل الميلاد. جرت في المجمع المقدس طقوس عبادة مهمة خصصت للثالوث، ثلاثة آلهة رومانية جوبيتر، فينوس ومرقوريوس، وهم ذات الآلهة اليونانية زيوس، أفروديت وهرمس.

طقوس العبادة لهذه الآلهة الثلاثة، على الرغم من هيئتها الكلاسيكية، كانت جذورها سامية-غربية قديمة. فقد لعبت هذه الطقوس دورا هاما جدا مع المناظر وقوى الطبيعة، وبالتالي فقد كانت المناطق المحيطة ببعلبك مهيأة لمجمع المعابد، الذي تفوق أهميته حدود الإقليم السوري.

الإطار الزمني

لا نعلم بالضبط متى أطلق على بعلبك اسم هليوبوليس. يرجح الاعتقاد أن الأمر تم في فترة حكم البطالمة، أي في نهاية القرن الرابع أو خلال القرن الثالث قبل الميلاد.

كانت بداية مجمع العبادة الكلاسيكي أثناء حكم السلوقيين، الذين احتلوا منطقة لبنان من البطالمة سنة 200 قبل الميلاد. بكل حال، فقد أظهرت التنقيبات التي جرت في منصة (بوديوم) المعبد الكبير الذي بني فوق التل القديم أجزاء بناء من فترة البطالمة.

يؤكد نقش تكريمي اكتشف في الموقع، أنه في سنة 60 ميلادية، أثناء فترة حكم القيصر نيرون، كان معبد جوبيتر مبنيا. كما نعلم أن القياصرة تريان وهادريان زارا المعبد خلال العقدين الأولين من القرن الثاني للميلاد. وفي هذه الفترة أقيم في الساحة الأمامية لمعبد جوبيتر "المذبح الكبير" الذي بلغ ارتفاعه 17 مترًا.

جرت مراحل البناء في المجمع خلال القرن الثاني الميلادي. ويبدو أنه أثناء فترة حكم القيصر أنطونيوس بيوس (138 – 161 ميلادي) أنجز بناء ساحة مجمع جوبيتر بكافة مركباتها. من المحتمل أنه أثناء فترة حكم هذا القيصر بدء ببناء المعبد الثاني، معبد باخوس، الذي ينتصب في المجمع بحد ذاته، تماما بمحاذاة مجمع جوبيتر.

كما بدء في عهد القيصر سبتيموس سيفريوس (193 – 211 ميلادي) بإقامة مجموعة بوابات مدهشة في مدخل مجمع جوبيتر. استمر بناء هذا المشروع المعقد والضخم فترة طويلة، وتم إنجاز المشروع في عهد القيصر فليب العربي (244 -249 ميلادي). ففي عهد هذا القيصر أنجزت أيضا الساحة السداسية التي ربطت مجمع البوابات بساحة المعبد.

كشفت التنقيبات التي أجريت في واجهة منظومة البوابات لمعبد جوبيتر، ساحة كبيرة مرصوفة، وحولها حنية (جدار نصف دائري أو بيضاوي)، وفي جانبه الداخلي مقعد. لهذه الساحة المقابلة لمجمع جوبيتر شبكة تصريف متفرعة. عثر في هذه الساحة على قواعد عديدة أعدت لنصب تماثيل فوقها.

امتد بجوار مجمع جوبيتر من الجنوب مجمع مستطيل، وفي وسطه معبد باخوس. وكان شرقي معبد باخوس مجمع آخر، لكن خلافا للمجمعين المذكورين أعلاه لم يكن محوره الطويل من الشرق إلى الغرب، بل من الشمال إلى الجنوب. بني معبدان في هذا المجمع، أصغر مساحة مما جاورهم بكثير. دعي أحدهما "معبد الجميلات - موزوت" كما ذكر النقش الذي اكتشف في المكان، لكن لم تجر فيه تنقيبات. المعبد الآخر، والمدعو "معبد فينوس"، حفظ جيدا، وله مخطط مميز مستدير.

تاريخ البحث

تقع بعلبك، خلافا لمواقع شهيرة أخرى مثل البتراء وتدمر، في مكان يسهل الوصول إليه، وهي تبعد 85 كم فقط عن بيروت القديمة. لذلك، لم تطلق أبدا عن بعلبك روايات ومغامرات وأساطير غامضة عن مكتشفين شجعان الذين جازفوا بحياتهم للوصول إليها. لقد اشتهرت بعلبك في الفترة الرومانية بفضل معابدها (الشكل 1). لم تفقد مجدها الماضي حتى عندما انخفضت مكانة بعلبك في الفترة البيزنطية، حين بنيت كنيسة على أنقاض معبد جوبيتر، كذلك خلال العصور الوسطى، حين تحول المجمع إلى قلعة.

لا يتسع المجال هنا لتعداد مئات المسافرين والباحثين الذين زاروا بعلبك بدءً من القرن الثاني عشر ميلادي، وتأثروا بمعابدها ودوّنوا انطباعات زياراتهم. إلى جانب ذلك، جدير بالذكر أن أول مسافر تجول في بعلبك في أواخر القرون الوسطى كان بنيامين متوديلا، الذي زار المكان عام 1170. ومن العدل أن نذكّر باختصار عددا من المسافرين الذين أثّروا بزياراتهم وشهاداتهم التي دونوها ورسموها تأثيرا فعالا على البحث الأثري والمعماري في أوروبا في القرنين 18 – 19. ظهر من صفوف جماعة "محبي الفنون" التي تأسست في لندن في مطلع القرن الثامن عشر الباحثون الهواة وود وجي دوقينس، وهما نبيلان متعطشان للمعرفة ويحبان العالم القديم. انضم إليهما الرسام الإيطالي بورا ووصلوا إلى بعلبك عام 1751. رغم أنهم لم ينقّبوا في الموقع، لكنهم مسحوه بدقة. يعتبر التقرير الذي أعدّوه برفقة 46 لوحة فنية رائعة بريشة بورا، وثيقة مذهلة، التي

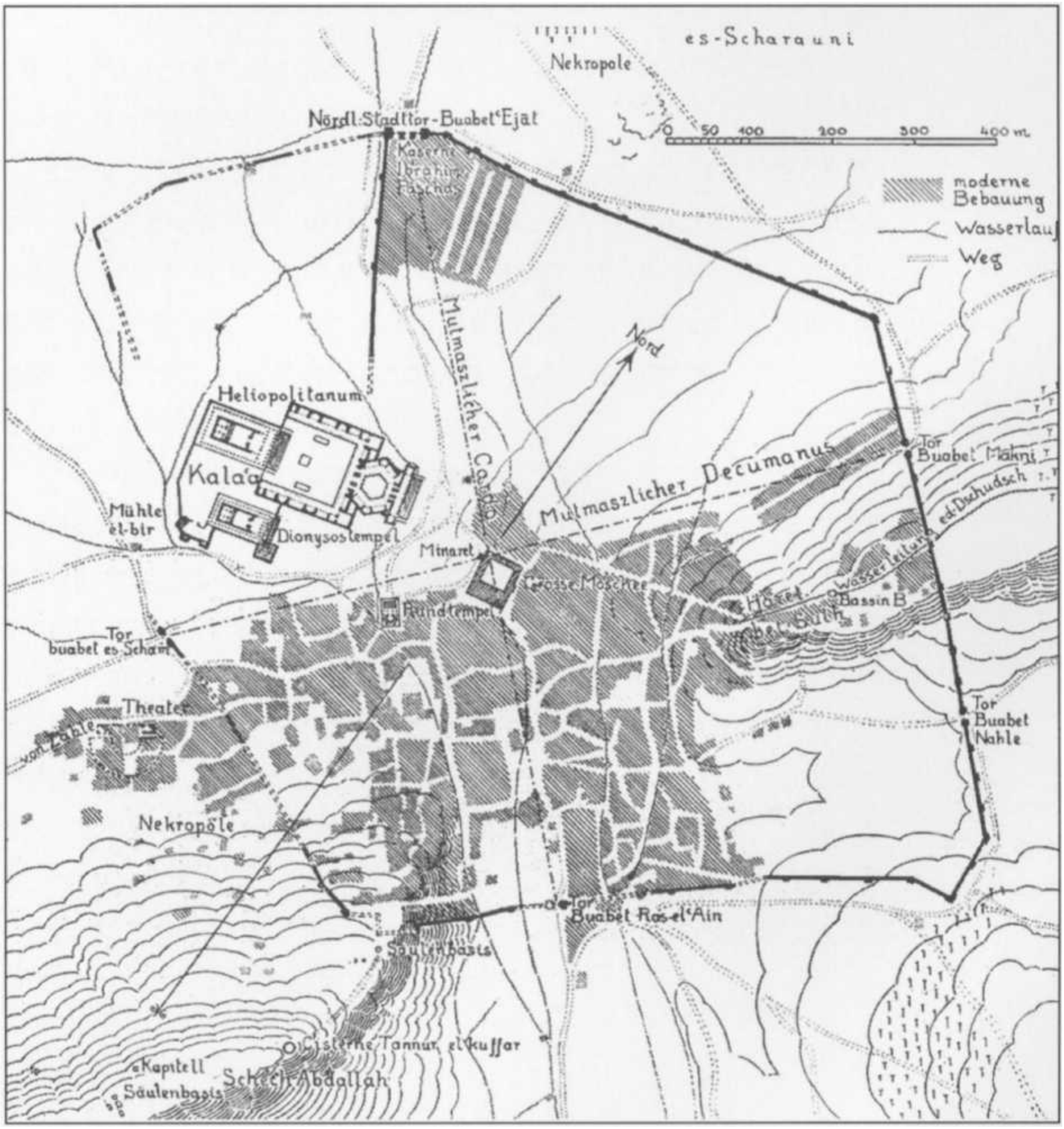

الشكل 1. خارطة مدينة بعلبك وموضع ثلاث مجمعات العبادة.

تستخدم مصدر إلهام اليوم أيضا. الكتاب، الصادر عام 1757 بعنوان "أنقاض بعلبك - هليوبوليس في الإقليم السوري" حظي بنجاح باهر، وسرعان ما ترجم إلى لغات أوروبية أخرى. بوركهارت هو الأوروبي الأول الذي وصل إلى البتراء عام 1812، وزار بعلبك عام 1810. ويعترف في يومياته أنه ليس لديه ما يضيف عما ورد في الكتاب المذكور.

بدأ نبلاء أوروبا الذين كانوا بالطبع جمهور الهدف لهذا الكتاب ولكتاب مشابه عن تدمر- ببناء قصورهم وتصميم حدائقهم بروح العمارة الكلاسيكية. واكتسحت أوروبا موجة اللهفة والإعجاب بالثقافة الكلاسيكية بردائها الروماني الاستعماري، فبنيت مئات القصور والكنائس وحتى مجمعات البلديات بالطراز النيو كلاسي، الكلاسيكية الحديثة.

أكثر الرسامين موهبة من الذين قدموا إلى بعلبك روبرتس الذي زار المكان عام 1839. ويعترف بمذكراته الصعوبة في رسم لوحة تعكس عظمة الآثار الفخمة.

مع زيادة التدخل الفرنسي في لبنان، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، شقت الطرقات الأولى في منطقة وأصبحت بعلبك واحدة من الوجهات المعروفة للسواح. نشر ألوف عام 1890 المرشد الأول

للموقع، الذي حظي بنجاح فوري وترجم إلى لغات أوروبية متعددة.

نقطة التحول في تاريخ أبحاث بعلبك كانت عام 1898، حين تقرر في أعقاب زيارة القيصر الألماني ويلهالم الثاني إجراء حفريات شاملة في الموقع. تم إعداد تقرير تمهيدي، وأجريت في أعقابه التحضيرات العلمية واللوجستية. وردت الميزانية من صندوق القيصر الألماني. ضم الفريق أفضل الباحثين، وترأس البعثة فوخشتطيين وانضم إليه قرنقر، شولتس وزوبرنهايم. بدأت الحفريات عام 1900، وأنجز المشروع عام 1902. كانت مساحة التنقيبات واسعة جدا، وكان الحفر هائلا والمهمة معقدة جدا. كانت الصعوبة تكمن بالحقيقة أنه في القرون الوسطى تحوّل المجمعان الكبيران لجوبيتر وباخوس، إلى قلعة، وينبغي اتخاذ قرار حول أي إضافة بناء متأخرة يجب إزالتها. كل ما أزيل تم تسجيله وتوثيقه وتصويره أولا. بعض المقاطع التي استعيد بنائها بذكاء وحساسية، فبذلت جهود جبارة لحماية مقاطع البناء التي موشك على الانهيار. في عام 1917 أجرى باحثان أثريان ويغاند ولتسيتغر فحوصات أخرى قبيل نشر التقرير النهائي، الذي صدر بثلاثة مجلدات مثيرة للإعجاب في السنوات 1921 – 1925.

كما جرى نشاط أثري، ولكن بدرجة أقل بين الحربين العالميتين، حين كان لبنان تحت سلطة فرنسا. كان الفرنسيان كوبل وآنوس مع اللبناني ڤالايان مسؤولين عن أعمال الحفظ واستعادة البناء، خاصة لمعبد باخوس ومعبد فينوس (الشكلين 2-3).

اعدت حكومة لبنان في نهاية سنوات الستين ومطلع السبعين خطة شاملة لمتابعة الأبحاث الأثرية في المجمعات الثلاثة ومنطقة مدينة بعلبك نفسها، لكن نظرا للحرب الأهلية عام 1975 أرجئ موعد التنفيذ.

نأمل ألا يبتعد اليوم الذي يتجدد فيه البحث الأثري في بعلبك، وأن نتمكن نحن أيضا من زيارة المعابد الثلاثة، التي تعد من أجمل المباني في العالم الكلاسيكي وأكثر المباني المميزة من ناحية التصميم المعماري.

يمكن الاستخلاص من القليل الذي نعرفه عن بعلبك في الماضي، أنها كانت مدينة صغيرة جدا، ووصلت

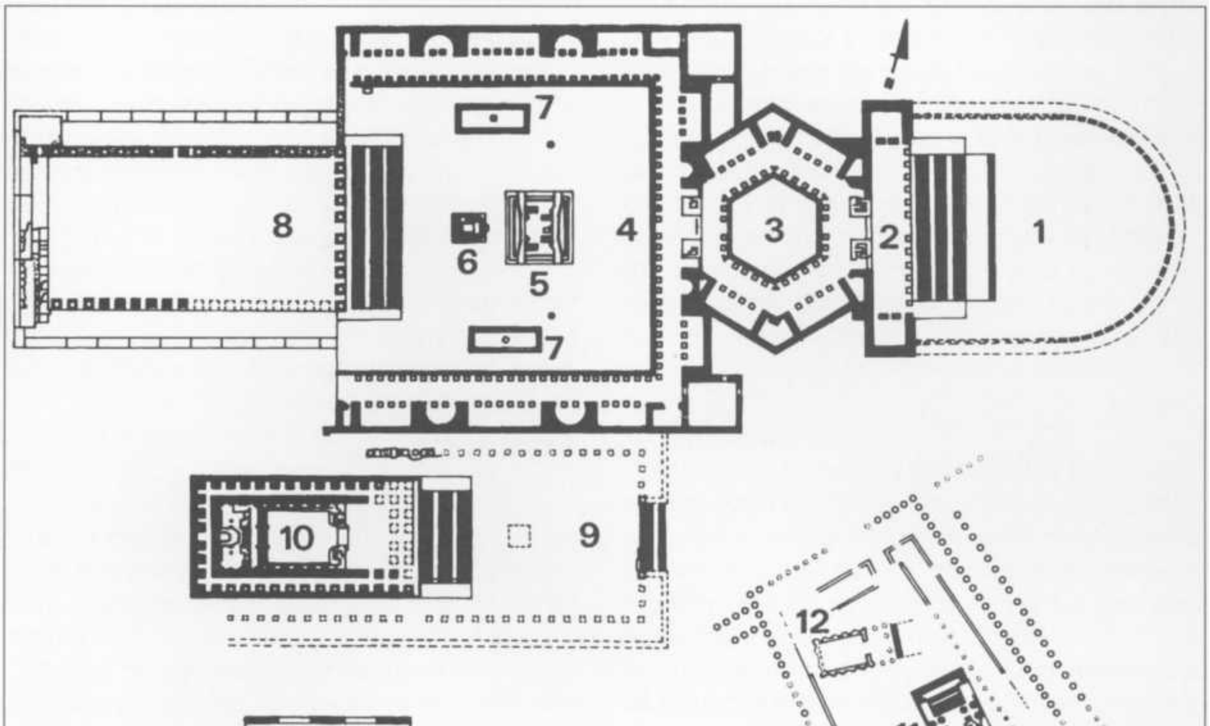

الشكل 2. خارطة ثلاث مجمعات العبادة: 1. فناء بيضوي أمام البوابات; 2. البوابة الخارجية; 3. فناء على شكل مسدس والبوابة الداخلية; 4. فناء مجمع معبد جوبيتر; 5. المذبح الكبير; 6. المذبح الصغير; 7. حوضين للطهارة; 8. معبد جوبيتر; 9. مجمع معبد باخوس; 10. معبد باخوس; 11. معبد فينوس; 12. معبد الموزوت (الجميلات)؟.

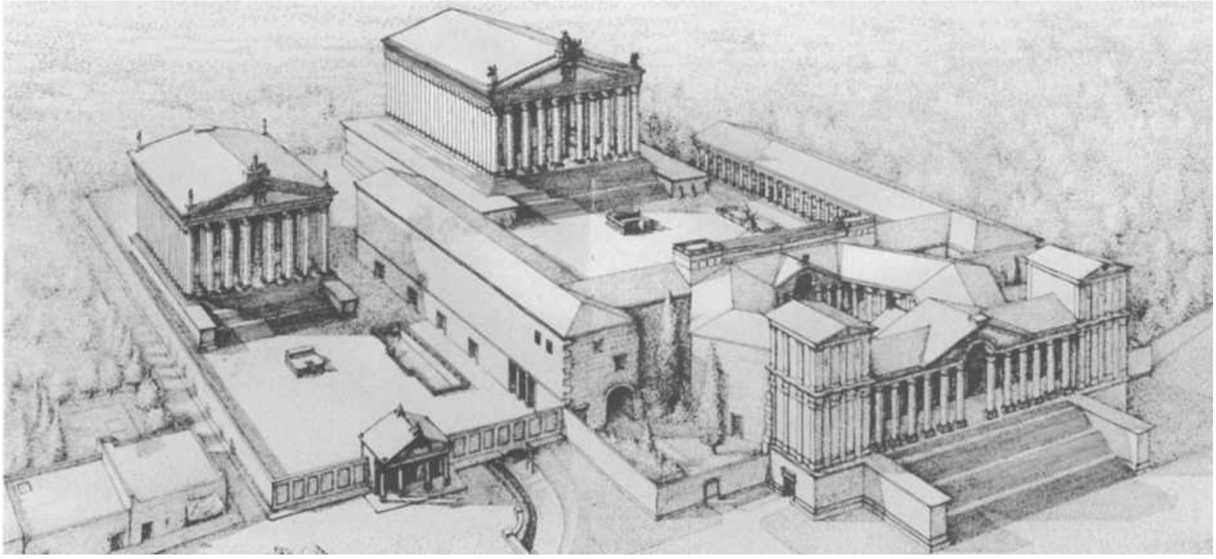

الشكل 3.رسم تصويري لمجمع معبد جوبيتر ومعبد باخوس.

شهرتها الآفاق فقط بسبب مركز العبادة الكبير الذي كان بداخلها. فقد شمل هذا المركز، كما ذكرنا، ثلاث مجمعات، لا تتضح العلاقة بينها كما يجب. ونحن نعرف من المجمعات الثلاثة فقط عن مخطط معبد جوبيتر، طريق تصميمه ومكوناته، وعليه، سنتحدث هنا عن هذا المخطط بتفصيل أوسع. قد تتعذر رسم حدود وأسلوب التصميم للمجمع المجاور له من الجنوب: مجمع وبمركزه معبد باخوس. وتم هدم المجمع حين بنيت القلعة في القرون الوسطى، لكن المعبد ذاته بقي محفوظا بكامله تقريبا. بدأ يتضح مؤخرا حجم وطبيعة المجمع حيث كان معبد فينوس.

مجمع ومعبد جوبيتر هليوبوليتانوس

يغطي هذا المجمع، وهو كما ذكرنا الأكبر بين مجمعات بعلبك، القسم الشمالي الغربي للمدينة (أنظر الشكلين 2-3). يمتد محور طوله من الشرق إلى الغرب، وكافة مكوناته مبنية بهذا المحور على شكل متواز تماما.

كان ينبغي، من أجل إقامة المجمع، صنع ساحة مبنية رحبة بواسطة أعمال تمهيد، تعبئة وإقامة الجدران الداعمة المتينة. كما استخدمت الأقبية الطويلة النصف برميلية لتوسعة إضافية في الساحة. بني المجمع من حجارة بناء مصقولة، كبيرة الحجم، إذ يبلغ وزن بعضها مئات الأطنان. أحضرت حجارة البناء هذه من مقالع الحجارة التي تبعد نحو 1000 متر فقط عن المجمع.

يبلغ طول المجمع 289 متر وعرضه 119 متر وتصل مساحته الإجمالية الى 27000 متر مربع تقريبا. لكن معبد جوبيتر في بعلبك أصغر نسبيا بالمقارنة مع مجمعات العبادة الشهيرة من تلك الفترة، حيث تبلغ مساحة مجمع أرتميس في جرش 34000 متر مربع، ومساحة مجمع جوبيتر في دمشق 122000 متر مربع، وتبلغ مساحة مجمع الحرم المقدسي 144000 متر مربع. وكما ذكرنا، لم تبهر المشاهدين حجم المجمع، بل مكوناته، وخاصة المعبد ذاته.

يتألف مجمع جوبيتر من ثلاث مركبات أساسية: منظومة البوابات، ساحة المعبد، والمعبد.

منظومة البوابات

إنها الأكثر جمالا، والأكبر حجما بين البوابات التي نعهدها من العالم الكلاسيكي. لهذه المنظومة ثلاث أجزاء: البوابة الخارجية، الساحة السداسية والبوابة الداخلية.

البوابة المجمع الخارجية – البوابة مبنى مستقلا، قائمة على بعد 45 مترًا شرقي البوابة الداخلية ومقابلة لها. تربطها بين البوابتان الساحة السداسية. نصل الى البوابة من خلال درج واسع الواقعة بين جدارين (antae). على جانبي البوابة برجان، كل واحد مكون من طابقين. يمتد بين واجهتي البرجين نحو الخارج رواق مكون من 12 عمودا. عرض واجهة البوابة يبلغ 75 مترًا. في جدار البوابة الداخلي 3 ممرات، من خلالهم

الشكل 4. جزء من فناء مجمع معبد جوبيتر ببعلبك والإكسدرا.

الشكل 5. معبد جوبيتر في بعلبك.

يمكن الوصول من قاعة البوابة المستطيلة الى الساحة السداسية.

الساحة السداسية – تعتبر الساحة السداسية مكونا مميزا في نظام البوابات، وليس لها مثيل في العمارة الكلاسيكية. فقد أعدت لتستخدم حلقة وصل بين

البوابة الخارجية وبين ساحة المعبد. قطر الساحة يبلغ 31 مترًا تقريبا، في وسطها باحة منخفضة قليلا، محاطة برواق، تخطيطه كمخطط الجدران الخارجية للساحة. كما ذكرنا، في جدار البوابة الخارجية يوجد ثلاثة ممرات أدّت إلى الساحة السداسية. وكان في الجدار المقابل 3 ممرات، التي أفضت إلى الساحة المقدسة. وصممت في الجدران الباقية، جداران في الشمال وجداران في الجنوب، ردهات (إكسدرا) مسقوفة.

البوابة الداخلية – واقعة، في الجدار الشرقي لساحة المجمع. إنها مؤلفة من عمودين مربعين فارغين، وهما على شكل برجان مستطيلان، وفيهما منظومة الدرج. إلى جانبي البرجين دعامات (عمود مربع ركني مغلق).

ساحة المعبد

إنها ساحة مستطيلة، طولها 105 مترًا وعرضها 101 مترًا. محورها الطولي من الشرق إلى الغرب، تحدها الأروقة من الشرق، الشمال والجنوب. على امتداد معظم الجهة الغربية بني درج يؤدي إلى المعبد. خلف ثلاثة أروقة تمتد قاعات وساحات مفتوحة. وكذلك ساحة المعبد، بمبانيها ومنشآتها تتميز بتخطيطها المتوازي (الأشكال 4-6).

وسط المساحة المركزية، المحاطة بأروقة والمرصوفة بألواح حجرية كبير، ينتصبوا مذبحان خلف بعضهما، واحد كبير والآخر صغير. كان المذبح الصغير أقرب إلى المعبد. في كليهما درج من خلاله يمكننا الوصول إلى أعلى المذبح. يبلغ طول المذبح الصغير 9.90 مترًا، عرضه 8.40 مترًا وارتفاعه 9 مترًا، وطول المذبح الكبير 21.10 مترًا، عرضه 20.26 مترًا وارتفاعه 17 مترًا (الشكلين 7-8).

حجم المذبحين وموقعهما يثير التساؤل، لأن الداخل إلى ساحة المعبد يرى أمامه المذبح الكبير، الذي يستر المعبد تماما. إبراز المذبحين وأسلوب تصميمهما يؤكدان عظمة التقاليد السامية لمنصة العبادة. قد

الشكل 6. منظر للغرب من فناء مجمع جوبيتر نحو المعبد.

الشكل 7. المذبح الصغير في فناء معبد جوبيتر.

تضفي درجات المذبحين ضوءً على طبيعة عبادة جوبيتر هليوبوليتانوس.

إضافة للمذبحين كانوا في منطقة الساحة، بركتان للطهارة، واحدة شمالي المذبحين والأخرى جنوبهما.

خلف الرواق الشرقي لساحة المعبد بوابة التي ذكرت أعلاه. إلى جانبيها، من الشمال والجنوب، امتدت إكسدرا نصف دائرية ومستطيلة، وكانت في الأركان قاعات مربعة رحبة.

كما تم تصميم الجدارين الشمالي والجنوبي لساحة المعبد بشكل متواز: 3 إكسدرا مستطيلة، تفصل بينها 2 إكسدرا نصف دائرتين وقاعتان مستطيلتان في الزوايا. يمكن الافتراض أنه بين الأروقة وواجهات الإكسدرا

الشكل 8. مذبحان في مركز فناء مجمع جوبيتر.

كانت سطوح، وفي مقابل 3 واجهات لساحة المعبد كانت 3 ممرات مظللة واسعة، بحيث يمكن للقادمين إيجاد ملاذ لهم من ظروف الطقس.

تتميز الإكسدرا ليس بتخطيطها المتوازي فحسب، بل ببنائها المحكم وزخرفتها. نصف هنا، كمثال، الجانب الشمالي لساحة المعبد، عن طريق فحص طريقة تصميم نظام الإكسدرا والقاعات وطريقة زخرفتها. يبلغ طول الإكسدرا الكبيرة 24 مترًا وعرضها 8 مترًا، في واجهها التي تطل نحو ساحة المعبد هناك 6 أعمدة تحمل تيجانا كورنثية. ثلاثة الجدران الإكسدرا زخرفة بثلاث أحزمة أفقية. الحزام السفلى استخدمت، عمليا، قاعدة للأعمدة التي تحمل منظومة العوارض التي تشمل عارضة (أرخيتراب)، أفريز وكورنيش، وهذه المنظومة تفصل بين الحزام السفلي والحزام الأوسط. وكذلك يوجد في الحزام الأوسط والعلوي منظومة عوارض مشابهة. منحت هذه الأنظمة عمقا لمساحات الجدران الكبيرة، وضمنت التلاعب بالضوء والظل. صفت الأعمدة أزواجا وحملت جملونات صغيرة، أحيانا مثلثات وأحيانا أخرى أقواسا، الأمر الذي زاد من الثراء الشكلي للنظام كله (الشكل 9).

كانت إلى جانبي الإكسدرا المستطيلة الكبرى إكسدرا نصف دائرية، واحدة من هذه وأخرى من هذه، وفي نهايتهم أنصاف قباب حجرية. طريقة تصميم الإكسدرا النصف دائرية وزخرفتها مماثلة لطريقة تصميم الإكسدرا المستطيلة الكبرى وزخرفتها.

ينتصب في واجهة كل إكسدرا نصف دائرية عمودان، يشبه حجمهما للأعمدة المنتصبة في واجهة الإكسدرا المستطيلة الكبرى. وهكذا يخلق نظاما متشابها لأعمدة الرخام، المقابلة لأعمدة الرواق المجاور لساحة المعبد من جهاتها الثلاث.

إن المجموعة الثابتة للفراغات المستطيلة والشبه مستديرة، والتي كانت منتظمة بشكل متواز خلف "غابة الأعمدة"، خلقت شعورا بالتناغم، وتناقل التلاعب بالضوء والظل بين مساحات مظلمة ومقاطع كانت مكشوفة للشمس وأثارت شعورا بالثراء. الزخرفة المعمارية، التي شملت كل كنوز الأشكال الهيلينية، وخاصة النقوش والتماثيل، أضفى على ساحة المعبد مظهرا باروكيا. ويليق بهذا إضافة مذبحين وصخب الزوار الذين اكتظوا في المجمع بآلافهم. كان هذا منظرا مدهشا بلا شك.

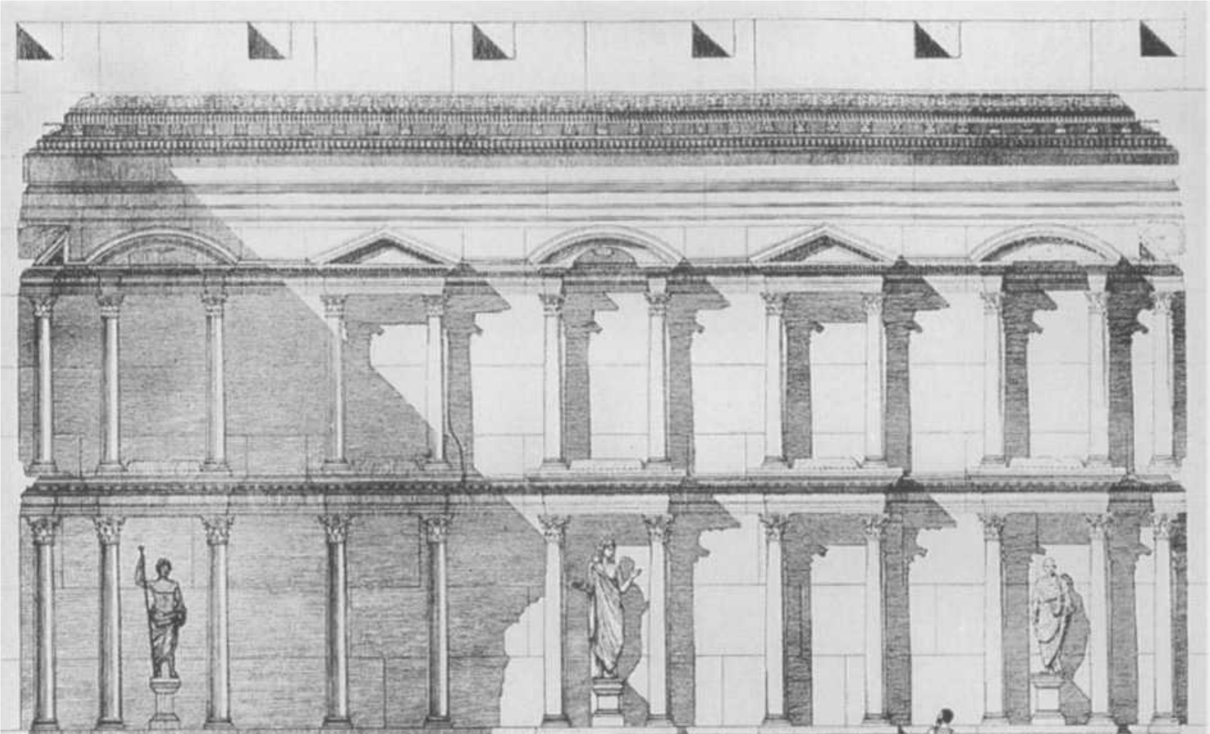

الشكل 9. رسم افتراضي لواجهة الجدار الداخلي في الإكسدرا المستطيلة الكبيرة.

امتدت في الجهة الغربية لساحة المعبد، كما ذكرنا، درج واسع جدا، وإلى جانبيه جدار. من الساحة، على بعد 20 مترًا، أدى هذا الدرج إلى منصة (بوديوم) المعبد في الغرب. وارتفعت واجهة معبد جوبيتر الضخمة إلى ارتفاع 40 مترًا تقريبا فوق مستوى الساحة.

معبد جوبيتر هليوبوليتانوس

يترفع معبد جوبيتر بجوار ساحة المعبد من الشرق، وقد أقيم على منصة واسعة الأطراف، بطول 116 مترًا وعرض 69 مترًا. وقد بنيت بعض جدران المنصة من حجارة البناء الضخمة، التي أبهرت الزوار والباحثين. وحظيت ثلاث حجارة بناء في الجدار الغربي للمنصة باهتمام خاص حيث وصل وزن كل واحد منها نحو 1000 طن.

الشكل 10. جزء من بوديوم معبد جوبيتر في بعلبك وعليه 6 أعمدة تحمل التيجان الكورنثية وعوارض.

بقي البوديوم بكامله، بينما بقي من المعبد بقايا قليلة فقط، على عكس معبد باخوس، الذي حفظ معظمه. كما بقي الدرج وأجزاء من الجدار الذي حمل الأعمدة التي أحاطت بالمعبد وبقي 6 أعمدة منها، منتصبة بطولها وتحمل منظومة العوارض، الأفاريز والكرانيش (الشكل 10). يمكن استعادة مخطط المبنى وأسلوب تصميمه رغم سوء الحفاظ عليه. العارضة (الأرخيتراب) منحوتة على شكل ثلاثة أحزمة أفقية. الأفاريز مزينة بالزخرفات، وعلى رأسهم ثيران وأسود على التوالي. الكورنيش الذي توج منظومة العوارض مزينة بكثافة بالتشكيلات الهندسية والحيوانية. هذه الزينة المدهشة، التي رضعت إيحائها من العمارة الهيلينية، تعيد لمنظومة عوارض المعبد عناها الباروكي (الشكل 11).

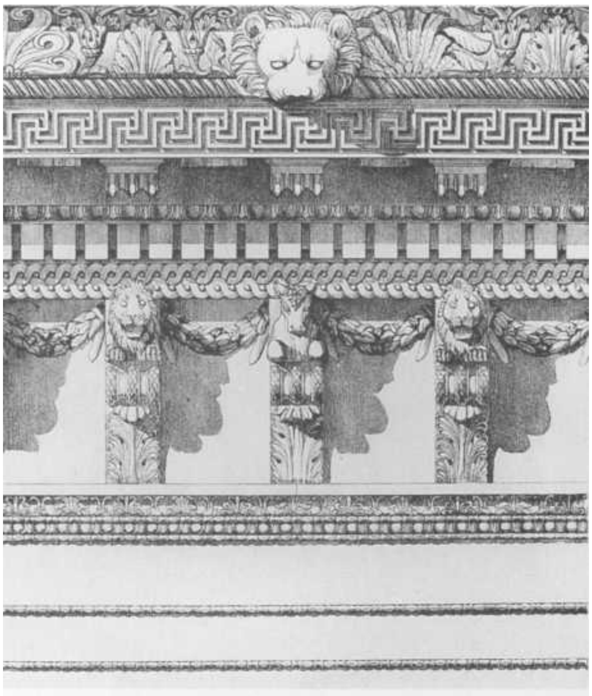

الشكل 11. جزء من منظومة ديكور العوارض في معبد جوبيتر، انتبهوا الى الوحدات البارزة (كونسولوت) المصممة على شكل رؤوس ثيران واسود على التوالي.

رغم إقامة معبد جوبيتر على بوديوم صمم بأسلوب روماني متميز، لكن المعبد نفسه انتصب على قاعدة متدرجة، طولها 97 مترًا وعرضها 57 مترًا، وعلى جوانب القاعدة 9 درجات، وهي من مركّبات التي تميزت بها المعابد اليونانية الكلاسيكية.

صمم المعبد على شكل (بيريترون)، أي أحاطوه بالأعمدة من أربعة جوانبه، وفي كل واحدة من واجهتيه القصيرة 10 أعمدة، أما في الواجهتين الطويلتين انتصبوا 19 عمودا. محور المعبد هو من الشرق إلى الغرب، وواجهة المدخل تتجه نحو الشرق.

الفارغ الداخلي لمعبد جوبيتر مؤلفا من قاعتين: قاعة الدخول (pronaos) والقاعة الرئيسية (naos). من خلال قاعة الدخول، التي في واجهتها ينتصبوا 8 أعمدة إضافية، كان من الممكن المرور إلى القاعة الرئيسية عبر باب رئيسي عرضه 8 متر. طول القاعة الرئيسية 33 مترًا وعرضها 21 مترًا، وعلى جوانب الداخلية للجدران الطويلة انتصبوا أنصاف أعمدة مدموجة بالجدران.

بالجهة الغربية للقاعة الرئيسية يوجد درج بلغ عرضه كعرض القاعة، ومن خلاله يمكننا الوصول إلى قدس الأقداس (adyton)، المرتفع عن مستوى القاعة الرئيسية. بين القاعة الرئيسية وقدس الأقداس فصل مبنى مكون من عمودين مربعين زينوا بأنصاف أعمدة. ارتبطوا العمودين المربعين ببعضهم عن طريق قناطر التي خلقت واجهة مزينة مشابهة لواجهة المعبد.

رغم رداءة الحفاظ على معبد جوبيتر يمكن الاطلاع على مخططه وطريقة تصميمه. استخدم بناة المعبد بحرية، مكونات مميزة للعمارة اليونانية والرومانية على حد سواء. يبدو أن ارتفاع المعبد، بجميع مكوناته، بلغ تقريبا 38 مترا. بلغ ارتفاع البوديوم نحو 12 مترا وأضيف له متران نتيجة القاعدة المدرجة. كان ارتفاع المعبد نفسه 23.80 مترا. الأعمدة التي كانت بعلو 20 مترا تقريبا بنيت من 3 فقرات، انتصبوا فوق قواعد يونانية وتوجوا بتيجان كورنثية.

معبد باخوس

ارتفع معبد باخوس جنوب مجمع جوبيتر وبمحاذاته (انظر الشكل 2). هذا الموقع مستهجن، إذ أن قربه من مبنى أكبر منه يقزّمه. يتبادر الانطباع بسبب هذا القرب أن معبد باخوس أصغر بكثير من معبد جوبيتر، ورغم أنه في الواقع تبلغ مقاييسه أصغر بحوالي 15%. هذا الموقع مثير للاستغراب أكثر على ضوء الحقيقة أن مجمع جوبيتر، بمكوناته المختلفة، يدل على القدرة الخارقة لبناة مجمعات بعلبك بالتخطيط العام. وبالنظر إلى مخططات المجمعات الأخرى من تلك الفترة في سوريا، والمقاطعة العربية، يظهر أن مخططي المجمعات أبدوا تفهما لطريقة دمج المباني بالمشهد العام والعلاقة المتبادلة بينها وبين المباني الأخرى المحيطة بها. وعليه، ربما جاء اختيار موقع معبد باخوس عمدا. بناء معبد باخوس بشكل متواضع ربما جاء ليبرز مجمع جوبيتر بصورة أكثر وضوحا.

إن مخطط معبد باخوس وطريقة تصميمه وزخرفته تؤكد بوضوح، أنه أقيم بنسبة كبيرة بوحي من جاره الكبير، معبد جوبيتر. فعلا ليس أمامنا نسخة مصغرة، لكن التشابه الكبير بينهما يؤكد أن معبد جوبيتر استخدم مصدرا للوحي المباشر لمعبد باخوس.

أولاً، يجدر توضيح مشكلة اسم المعبد باخوس. في الواقع، ليس هناك يقين فيما يتعلق باسم الإله المكرس له المعبد، على النقيض من اليقين في تحديد الإله الذي كرس له جاره، لأن الأدلة التاريخية ونتائج المكتشفات المسكوكة تشير بوضوح على أن هذا هو معبد جوبيتر

هليوبوليتانوس. وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا الارتياب باسم ثاني أكبر معبد أقيم في الموقع؟ الإله الثاني في الأهمية ضمن الثالوث الهليوبوليطان كان مرقوريوس، ألا وهو هرمس اليوناني، وبالتالي يصبح من المعقول، أن ثاني أكبر المعابد سيطلق على اسمه، وليس على اسم باخوس، ألا وهو ديونيسيوس. على هذا التساؤل نجد الإجابة في لوحات حجرية زينت واجهة قاعة المدخل على جانبي الباب الرئيسي، نقش عليها صورة زفة ديونيسيوس ومجموعة شخصيات المرتبطة في عبادة ديونيسيوس. علاوة على ذلك، في جنوب المدينة يرتفع تل عال اسمه اليوم الشيخ عبد الله، حيث شوهدت عليه بقايا معبد كبير منذ قرن من الزمان. وفعلا، دلت العملات والكتابات على أنه يقف في ذلك المكان معبد مرقوريوس. لذلك فمن المعقول أن نفترض أن المعبد المجاور لمعبد جوبيتر هليوبوليتانوس كان مكرسا لباخوس، بينما أقيم معبد مرقوريوس في جنوب المدينة.

حفظ معبد باخوس جيدا، كما ذكرنا، حتى علو السقف. بفضل دمجه في القلعة التي أقيمت في القرون الوسطى، وحفظت أعمدته وجدرانه. إن عمليات الاستعادة والترميم التي جرت فيه على مدى العقود الأخيرة أعادت له قليلاً من رونقه وجماله.

إن معبد باخوس هو مبنى محاط من أربعة جوانبه بأعمدة، يشبه معبد جوبيتر، وبني على بوديوم يبلغ ارتفاعه 5 أمتار. محور البوديوم الطولي والمعبد من

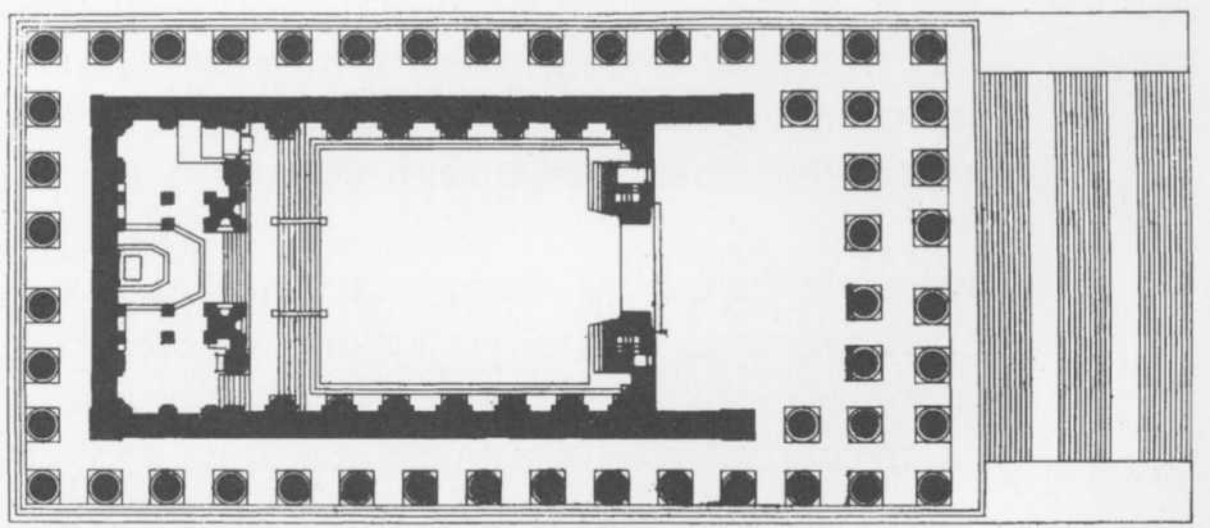

الشكل 12. خارطة معبد باخوس في بعلبك.

الشكل 13. معبد باخوس في بعلبك، منظر من الجنوب الغربي.

الشرق إلى الغرب. طوله 83.81 مترا وعرضه 36.15 مترا، وفي واجهة الشرقية القصيرة، يمتد بين جدارين درج، يبلغ عرضه 26.78 مترا، ومكون من 3 مجموعات في كل مجموعة 10 درجات ومساحات أفقية واسعة جدا بين كل مجموعة ومجموعة (الشكل 12).

معبد باخوس محاط بأعمدة يصل ارتفاعها الى 17.59 مترا، كل عمود مبني من ثلاث فقرات، وينتصب في كل واجهة طويلة 15 عمودا، بينما في كل واجهة قصيرة انتصب 6 أعمدة. جميع الأعمدة لها قاعدة يونانية ومتوجة بتيجان كورنثية (الشكلين 13-14).

بين أعمدة واجهة المعبد وبين جدار قاعة المدخل تنتصب 8 أعمدة إضافية: صف مكون من 6 أعمدة خلف الأعمدة الستة الوسطى لواجهة المدخل وعمودان في أطراف الجدران. هذه الأعمدة الإضافية

الشكل 14. معبد باخوس في بعلبك.

خلقت منطقة مظللة أمام واجهة قاعة المدخل وأضفت عليه عمقا أكبر.

تم تصميم نظام العوارض (الدعائم الأفقية) في معبد باخوس كما في نظام معبد جوبيتر: عارضة (أرخيتراب) لها ثلاثة أحزمة أفقية متدرجة؛ إفريز مزين بدعامات رأسية (consoles)، وفي جزئها العلوي رؤوس ثيران وأسود بالتناوب؛ وكورنيش مزين بثراء بنماذج هندسية ونباتية.

من خلال باب رئيسي واسع وعالي (ارتفاعه 12.87 متر وعرضه 6.49 متر) يمكننا الوصول من قاعة المدخل إلى القاعة الرئيسية. على كلا جانبي الباب الرئيسي يوجد بابان مستطيلتان صغيرين صننا بشكل مماثل، من خلالهما نصل إلى درج مبني في الجدار الذي يفصل بين قاعة المدخل والقاعة الرئيسية. هذا الدرج يؤدي إلى سطح المعبد.

مستوى قاعة المدخل مشابه لمستوى القاعة الرئيسية، وكلاهما مرصوف بألواح حجرية كبيرة موضوعة بعناية فائقة. بلغ طول القاعة الرئيسية 26.50 مترا وعرضها 20.95 مترا. في جزئها الغربي، كان يحدها درج رائع، وعرضه كعرض القاعة. أدى الدرج إلى الغرفة الخاصة بالكهنة (الأوديتون) التي كانت أعلى من مستوى القاعة بِ 4.20 مترا.

زين الجانب الداخلي من جدران القاعة الرئيسية الطولية بستة أنصاف أعمدة تنتصب فوق قاعدة عالية، وتوجت بتيجان كورنثية، تحمل منظومة عوارض. في هذه الأقسام من الجدران هناك محاريب مستطيلة، وفي أعلاها قناطر. فوق المحاريب أزواج من أعمدة قصيرة، تحمل عارضة متوجة في جملونات مثلثة. لا يوجد أي معبد في العالم الكلاسيكي يزدحم بالزخارف في القاعة الرئيسية أكثر مما في معبد باخوس (الشكل 15).

تشير زخرفة مساحة القاعة الرئيسية إلى طابع العبادة التي جرت في المعبد. لدى الإغريق والرومان مفهوم المعبد هو بيت الإله، ولم يسمح للمؤمنين الدخول إلى داخل المعبد، بل كانوا يتجمعون في الفناء في واجهة المعبد لمشاهدة الطقوس التي تقام حول المذبح أمام المعبد. لذلك، بذل الإغريق والرومان قصارى جهودهم لتزيين المعبد من الخارجي. يقف في القاعة الرئيسية فقط تمثال الإله، أحيانا تفتح الأبواب ليتمكن زوار المعبد من مشاهدة تمثال الإله الذي تنيره أشعة الشمس التي اخترقت الباب في واجهة المعبد.

لكن في معبد باخوس يزيد غنى الزخرفة المعمارية في مساحة القاعة الرئيسية على زخارفها الخارجية. الجدران زينت بأنصاف أعمدة، والمحاريب (على الأرجح وضع في داخلها تماثيل حجرية)، نظام العوارض والدعائم فوق الأعمدة، كل هذا خلقت غنى عظيما ومذهلا، والتي دعت الزوار إلى الدخول.

يمكننا الوصول من القاعة الرئيسية إلى قدس الأقداس في معبد باخوس من خلال مجموعتان من الدرج. عرض المجموعة الأولى كعرض القاعة الرئيسية ومقسمة إلى ثلاثة أقسام متساوية بواسطة صفان من حواجز حجرية. ومجموعة الدرج الثانية موجودة داخل قدس الأقداس، وهي محسورة بين عمودين مستطيلين يصل بينهم مبنى يشبه الجملون السوري، أي، جملون مثلث له قاعدة على شكل قنطرة (الشكل 16).

تم تصميم قدس الأقداس مثل واجهة المعبد. رأى المؤمن الذي وقف في القاعة ووجهه نحو قدس الأقداس عمودين مستطيلين متينين، تزيننهما أنصاف

الشكل 15. القاعة الرئيسية في معبد باخوس.

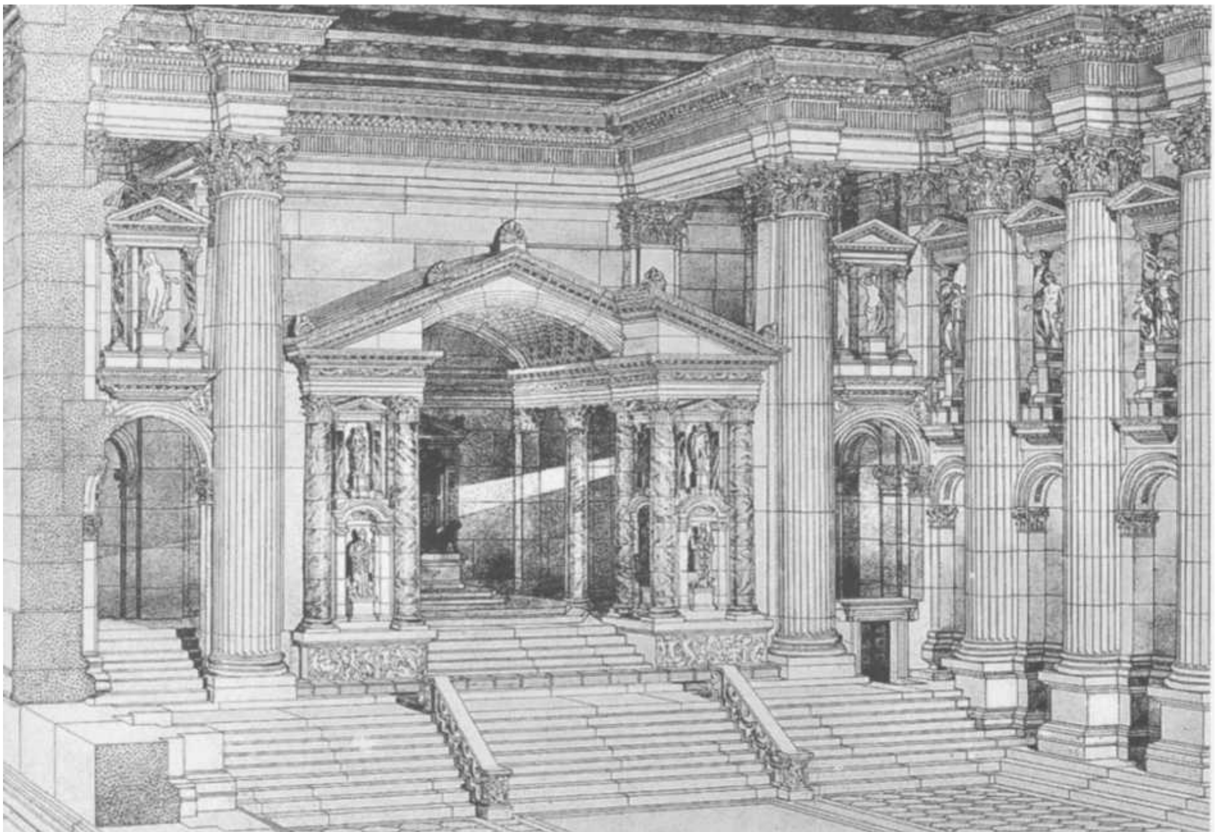

الشكل 16. رسم افتراضي لقدس الأقداس في معبد باخوس ببعلبك.

أعمدة - استمرارا لزخارف جدران القاعة. بين أنصاف العمودين كانت واجهة قدس الأقداس، التي انتصبت فوق قاعدتين تحملان الأعمدة المستطيلة، التي تم تزيينها أيضًا بأنصاف أعمدة، وتوجت في جملون سوري. بين الأعمدة المستطيلة درج أدى إلى الجزء الداخلي من قدس الأقداس، المكان الذي وضع فيه تمثال الإله.

إن تصميم قدس الأقداس كمبنى قائم بذاته، هو كمعبد داخل معبد، يعزز ما قيل أعلاه عن وجود القاعة الرئيسية أنها مخصصة للمؤمنين وليست مسكنا للإله فقط. تجمع المؤمنين في فراغ القاعة الرئيسية المغلق التي أعطت لطقوس العبادة بُعدًا أكثر حميمية.

معبد فينوس

ينتصب معبد فينوس في مجمع لم يتم تحديد مخططه الدقيق بعد بوضوح. وإن عملية حفظ المعبد الرائعة جدا هي بمثابة أعجوبة. تشهد الأدلة التاريخية، النقوش على العملة والنقوش الحجرية على زمن بناء المعبدين العظيمين معبد جوبيتر ومعبد باخوس، في حين لم يرد ذكر معبد فينوس في أي مصدر تاريخي، إلا لظهوره على إحدى عملات فيليب العربي.

ولا يوجد إجماع بين الباحثين على وقت تشيد المعبد. ففي حالة عدم وجود أدلة تاريخية أو كتابية، يعتمد الباحثون على تصنيف العناصر المعمارية، أي على التحليل الأسلوبي المفصل لعناصر المعبد. يميل معظم العلماء إلى تأريخ المعبد إلى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي أو حتى بداية القرن الثالث.

يثير اسم المعبد أيضًا مشكلة، فليس لدينا أي دليل يربط المعبد بالإلهة فينوس، ما عدا شكل صدفة أو نصف قبة التي تغطي محاريب المعبد (الشكل 17). فعلا هذا مجرد تلميح ضعيف جدا. شكل الصدفة بالفعل يرمز الى كيفية ولادة الإلهة، لكن محاريب مسقوفة بنصف قبة على شكل صدفة تظهر في العديد من المباني، وليس تحديدا ما يتعلق بالإلهة فينوس. ويمكن أن نفترض في الوقت ذاته أن المعبد القريب جدًا من معبد جوبيتر، الإله المركزي في الثلاثية الهليوبوليطانية، يخصص للإلهة فينوس، ممثلة الجنس اللطيف في هذا الثلاثي. علاوة على ذلك، فإن أبعاد المعبد الصغيرة وتصميمه المميز، يشيروا أنه أنثوي إلى حد ما مقارنة بجاريه الآخرين الضخمين يعززان الفرضية بأن أمامنا معبد فينوس.

الشكل 17. معبد فينوس في بعلبك (صورة من القرن العشرين).

تم بناء معبد فينوس على منصة ارتفاعها 4.60 مترا. يوجد في واجهته الشمالية درج واسع، محور الطول للبوديوم (منصة) هو من الشمال إلى الجنوب، ويبلغ طوله 28 مترا وعرضه 17 مترا. مخطط بوديوم المعبد مستطيل، لكن جانبه الخلفي دائري. يحتوي الجزء الدائري من بوديوم على 5 حنيات نصف دائرية – حنيات غير عميقة وواسعة. عرض الحنيات 5 مترا، وأقصى عمق لها 1.50 مترا. أنها منتظمة بشكل متماثل وتمنح بوديوم المعبد منظرا أصليا. بقيت بين حنية وأخرى 4 مقاطع مستقيمة، انتصبوا فيها الأعمدة التي أحاطت بالمعبد من الجهة الجنوبية (الشكل 18).

أمام مدخل البوديوم في الشمال كان هناك 3 مجموعات من الدرج. تجدر الإشارة إلى أنه رغم الأبعاد الصغيرة لمعبد فينوس، فقد تم تصميم الدرج عند المدخل بشكل مشابه لدرجات جاريه الكبيرين.

كانت المعبد دائري، باستثناء الجزء الشمالي حيث كان المدخل الرئيسي. هذا المخطط غير عادي، رغم أن الحقيقة أن القاعة مستديرة ليست أمرا استثنائيا. فالمعابد المستديرة لم تكن منتشرة جدا في العالم اليوناني والروماني، لكن منذ أواخر الفترة الكلاسيكية،

وخاصة الفترة الهيلينية، فقد بدأت بالانتشار. يكمن تفرّد معبد فينوس في الدمج بين شكل المستطيل وفي واجهته الدرج وبين جهته الخلفية الدائرية.

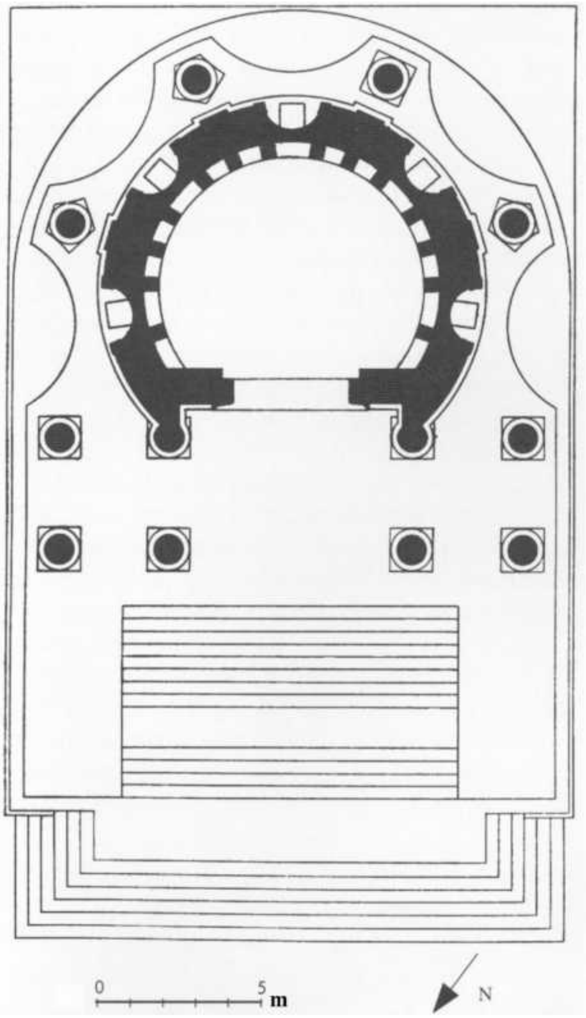

الشكل 18. خارطة معبد فينوس في بعلبك.

أمام مدخل قاعة المعبد يمتد رواق من 4 أعمدة. المسافة بين العمودين الأوسطين (7.30 مترا) أكبر مما بين العمودين الجانبيين. جاء هذا الترتيب لضمان نظرة حرة إلى داخل القاعة. خلف العامودين البعيدين في رواق المدخل هناك عامودين آخرين، واحد من هنا وواحد من هناك. تم تصميم حواف دعائم مدخل القاعة في أنصاف أعمدة مثبتة، ولذا سيُعجب المشاهد من الخارج، وأمامه رواق من صفين ذات 4 أعمدة. إضافة إلى ذلك، يخلق العامودين في الأطراف في الصف الداخلي رباطا بين أعمدة الرواق في المقدمة وبين الأعمدة المحيطة بالجزء الخلفي للقاعة الدائرية. لا مثيل لهذه المجموعة من الأعمدة في العمارة الكلاسيكية.

كانت أعمدة المعبد مصنوعة من قطعة واحدة، متوجة بتيجان كورنثية، والارتفاع الكلي 6.80 مترا، وفوقها من المحتمل كان جملون سوري أو جملون مكسور كما اقترح بعض الباحثين من قبل (الشكل 19).

الشكل 19. رسم افتراضي لواجهة معبد فينوس في بعلبك.

كانت قاعة المعبد ذات فتحة واحدة بأبعاد ملحوظة (عرضها 3.20 مترا وارتفاعها 7.20 مترا)، هذا يدل على أن مخطط المعبد أرد لنور الشمس دخول المعبد وإضاءته بشكل كبير.

تم تزيين القاعة من الخارج بخمس حنيات نصف دائرية، وفوقها أنصاف قباب. وكانت إلى جانب كل حنية دعامة مستطيلة الشكل مثبتة بالحائط. كما تم تزيين واجهات أنصاف القباب بنظام أقواس مكون من أرخيتراب، إفريز وكورنيش، المتميزة بتصنيعها الرائع. كان موقع كل حنية مقابل القباب الموجودة في القسم الخلفي من البوديوم، بينما الأعمدة المحيطة بالقاعة انتصبت بشكل دقيق مقابل الأعمدة المستطيلة المثبتة في الجدار الممتد بين المحاريب. أمامنا مجموعة رقيقة ومتزنة بشكل رائع ومتوازن من اللمسات الرأسية، والتي تضمنت محاريب، أعمدة مستطيلة مثبتة بالجدار وأعمدة. وتضمنت مكونات أفقية تضمنت الدرج، البوديوم ومنظومة العوارض. تم

تصميم هذا المنظومة بشكل فريد، وتستحق التطرق لها اهتمام خاص.

ومنظومة العوارض في معبد فينوس رغم أنها تتألف من ثلاث المكونات الروتينية – أي أرخيتراب، إفريز وكورنيش- لكن الطريقة التي تمتزج بها مع الأعمدة المحيطة بالقاعة غير عادية: تشبه جزء البوديوم الجنوبي الدائري، بنيت منظومة العوارض من 5 أجزاء متراجعة، بمعنى آخر، شكلها يتمشى مع مخطط البوديوم، وفيها أيضًا أقسام مقعرة ومقاطع مستقيمة.

هذا النظام الأصلي والجريء، الذي لا مثيل له في الهندسة المعمارية الكلاسيكية، يخلق بنية باروكية رقيقة، حيث يوجد تناقض بين المنظومة الرأسية والمنظومة الأفقية، ولكن الحلول الهندسية مدهش وتأسر العين أيضا.

القاعة التي يبلغ قطرها 9 مترا كانت مغطاة بقبة حجرية. بقي من هذه القبة جزء من المدماك الأول، مما جعل استعادة السقف بدقة ممكنا. أرضية القاعة مرصوف بألواح حجرية، وفي مركزها قاعدة مرتفعة، ربما كانت مخصصة لتمثال الإلهة. تم تقسيم الجدران الداخلية للقاعة إلى حزامين أفقيتين. الحزام السفلي لم تبتدئ من مستوى المسطبة، بل على قاعدة جدار محيطي، والذي ارتفع 1.90 مترا فوق المسطبة. اختتم الحزام السفلي بمنظومة عوارض كامل، التي برزت من جدران القاعة إلى الداخل الفراغ. بينها وبين جدار القاعدة المحيطي انتصبت أعمدة، التي وازنت الخطوط الأفقية. كانت هناك مجموعة مماثلة أيضا في الحزام الأفقي العالي. يميل المنطق إلى أنه وضعت التماثيل بين الأعمدة، مما زاد من ازدحام الزخارف في مساحة القاعة الصغيرة.

معبد فينوس هو مبنى فريد بنوعه من حيث مخططه وتصميمه، ويلفت الأنظار من حيث توازنه. ينشأ الانطباع، أن المصمم المعماري رغب باللهو وقضاء وقت ممتع في أجزاء مختلفة من المبنى، وطبع بصمة خاصة على المكونات الروتينية. بالنسبة لنا، بينما نحن ننظر إلى المعبد، تزداد في بعض الأحيان القوى المهدئة، المثبتة لتمسك المبنى في الأرض، كما تتزايد في بعض الأحيان القوى التي ترفعه للأعلى إلى السماء.

من الصعب تحديد ما هو سر السحر بالضبط لمعبد فينوس، لأن كافة مكونات المبنى انضمت إلى ألعاب القوى المفاجئة: البوديوم ذات التجويفات والرواق المستطيل، الذي يخلق التظليل اللطيف أمام المدخل، ويخفي ولا يختبئ، بل يلمح، أن وراءها يقف مبنى دائري. لكن المذهل جدا هي مجموعة العوارض، ذات مخطط تم تكييفه مع مخطط تجويفات البوديوم. الخطوط المقعرة لمنظومة العوارض، البارزة

الشكل 20. مجسم معبد فينوس في بعلبك.

خارج القاعة الدائرية ومحمولين على أعمدة، تخلق أبعادا مدهشًا. القبة المسطحة تخفف ألعاب القوى وتوازن بين الأفقي والعامودي. علاوة على ذلك، فإن المحاريب أو الحنيات النصف دائرية ذات أنصاف القباب في جدران القاعة وضعت تماما مقابل منتصف تجويفات البوديوم التي تحتها ومنظومة العوارض التي فوقها. وضعت في الحنيات التماثيل، مما أعطى المعبد مظهرًا باروكيًا جنبًا إلى جنب النقوش المليئة بالزخارف (الشكل 20).

ختاما

ذاع صيت معابد بعلبك منذ القرون الأولى للميلاد وكانوا مركزا لطقوس العبادة متعددة التأثيرات، خاصة في المقاطعات الشرقية للإمبراطورية الرومانية، وخارجها أيضا. أنشئت مجمعات عديدة في جميع أنحاء سوريا، ويتضح منها أن معابد بعلبك كانت بمثابة مصدر وحي والهام.

الدمار الكبير الذي حلّ بمعابد بعلبك في أواخر العصور القديمة والقرون الوسطى لم يكن سببه الإنسان فقط. بل الهزات والزلازل، التي ضربت المنطقة وأدت إلى أضرار جسيمة في المعابد الثلاثة وخاصة في معبد جوبيتر.

في عام 1757، عندما نشر كتاب وود مصحوبًا باللوحات الرائعة لبورا، اكتشفت دوائر المثقفين في أوروبا التي اكتنفتها في ذلك الوقت موجة هائلة من الإعجاب لكل شيء يوناني، روماني أو إتروسكي، الذين كانت لهم زاوية نائية من العالم الكلاسيكي، فقد حفظت بعضٌ من أكثر المعابد إثارة للإعجاب مما عرفه العالم القديم.

كتب الفرنسي دي لابورد في يوميات رحلته بعد جولة في بعلبك مطلع القرن التاسع عشر، أن معابد بعلبك في نظره كأنها بنيت في روما ونقلت كأجزاء إلى بعلبك وأعيد تجميعها هناك من جديد. ليس لكلامه أي أساس. لأن معابد بعلبك ليست رومانية، كما أنها ليست يونانية. إنها إبداع شرقي محلي، مستوحاة من التقاليد الكثيرة، وإلى حد كبير ربما أيضًا من العالم الكلاسيكي. المعابد الثلاثة ذات أشكال كلاسيكية، ومع ذلك فهي مصبوغة بطابع محلي شرقي، الأمر الذي ينعكس بشكل قوي أساسي وحر، باستعمال انتقائي في عناصر بناء وأساليب مختلفة بدون اعتبار للمقياس القيم الكلاسيكية في كل ما تعلق بالأعراف والتفاعلات المتبادلة بين مكونات المبنى المختلفة.

كذلك طرق البناء كانت محلية وتقليدية. استعمال اسلوب بناء الجدران من الحجر المصقول الضخم مما جعل مفارقة تاريخية في العالم الروماني في القرون الأولى قبل الميلاد. وقد بنيت في جميع أنحاء الإمبراطورية الحمامات الضخمة باستعمال الباطون الروماني، فضّل البناة في بعلبك استعمال طريقة وأسلوب بناء آخر. بالمناسبة، كذلك مجمع الحرم القدسي ومجمع جوبيتر في دمشق بني بأساليب بناء شبيهة بتلك المستخدمة في بعلبك.

لكن تميز معابد بعلبك ظهر أولا وقبل كل شيء في التوازن العجيب بين مظهرهم الخارجي والداخلي، وبالتالي هم يبشروا بتغيير كبير للقيم. يمكن الإدراك في العالم اليوناني والروماني أن المعبد، كما ذكرنا، هو بيت الإله، ولا يسمح لجمهور المؤمنين بدخوله. ومن هنا جاء تصميم المعبد اليوناني والروماني وبذلت جهود كبيرة على زخرفات واجهاته. ليس الأمر كذلك في معابد بعلبك. فقد أعدت القاعات الرئيسية لتجمع المؤمنين، والدرج الواسع المريح في واجهات المعابد سهلت على المؤمنين الصعود، والدخول إلى قاعات ضخمة مزخرفة ومليئة بالتماثيل، ومشاهدة طقوس العبادة في قدس الأقداس. شعر المؤمنون في بعلبك بقربهم من الإله، لأنهم معه تحت سقف واحد.

تعتبر معابد بعلبك مشروعًا مميزًا، وفريدًا من نوعه في عالم من تصميم الهياكل الرومانية. إنها نتيجة لفترة سلام ورخاء لإمبراطورية عالمية عظيمة نجحت، ولو لمدة تاريخية قصيرة، في خلق توازن بين الرغبة القوية في الوحدة الثقافية وبين التعبير عن تقليد محلي فريد.

كانت هذه الفرصة التاريخية نادرة التي أتاحت إنشاء معابد بعلبك، التي لم تكن مجرد أعمال معمارية ضخمة، بل كان فيها أيضًا البحث عن طرق جديدة في عبادة الآلهة.

كنيسة من الفترة البيزنطية في كفر كما

نوريت فاييج - سلطة الآثار والبروفيسور مُردخاي أڤيعام - كلية كينيرت الأكاديمية

تقع القرية الشركسية كفر كما على تل ارتفاعه 228 مترًا فوق سطح البحر، في بداية الصعود نحو الجليل الشرقي الأسفل، شرق جبل طابور، وقد أقيمت عام 1878، مع قدوم السكان الشركس إلى البلاد خلال الفترة العثمانية، وانتشروا في عدة قرى: اثنتين في الجليل، كفر كما في الجليل الأسفل والريحانية في الجليل الأعلى، ونزل بعضهم في السهل الساحلي ثم رحلوا عنه.

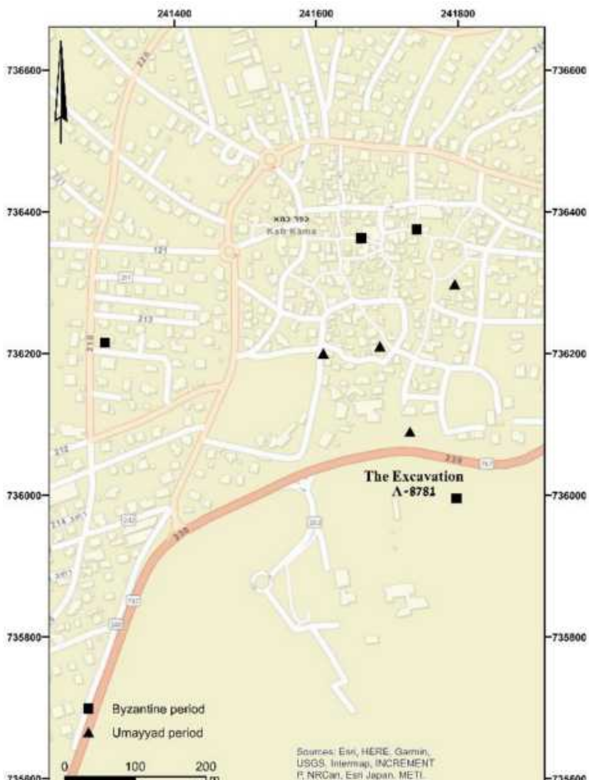

الشكل 1. خارطة الحفريات التي أجريت في كفر كما في الماضي.

عندما سكنوا القرية سكانها الشركس، يبدو أن بقايا متفرقة من المستوطنة من الفترات البيزنطية والإسلامية المبكرة كانت بارزة في الموقع. في سنوات الستين من القرن العشرين، أجريت أعمال تنقيب داخل القرية، وكشف عن بقايا كنيسة أرضياتها مبلطة بالفسيفساء الملوّن ومزين بنقوش يونانية. كما كشفت حفريات أخرى أجرتها سلطة الآثار في السنوات اللاحقة عن مبانٍ خاصة من الفترتين البيزنطية والإسلامية المبكرة (الشكل 1). إن وجود الكنيسة إلى جانب المباني الخاصة يدل على وجود قرية، وربما بلدة مركزية التي حدّدها بعض العلماء مع "هيلينا بوليس" المذكورة في المصادر المسيحية.

في بداية صيف 2020، وتحضيرًا لبناء متنزّه لأطفال قرية كفر كما، أجرت سلطة الآثار تنقيبات فحص على تل منخفض جنوب القرية وكشفت عن بقايا جدران قديمة. وأجريت في أعقاب ذلك حفريات إنقاذ قامت بها نوريت فاييج من سلطة الآثار والبروفيسور مُردخاي أڤيعام - كلية كينيرت الأكاديمية، حيث اكتشفت كنيسة كبيرة من الفترة البيزنطية (شكلين 2-3).

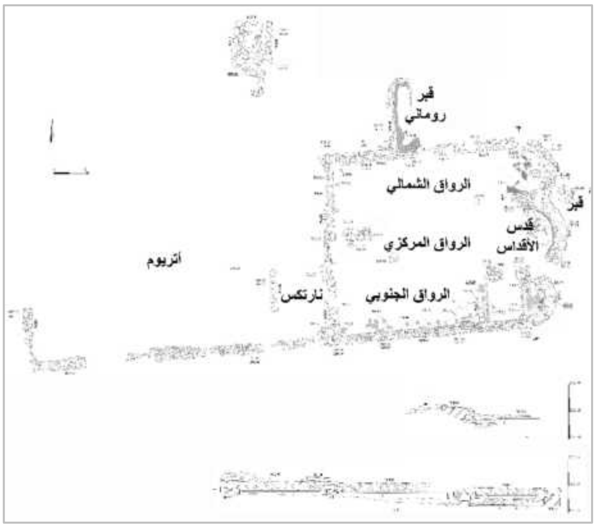

الشكل 2. خارطة الكنيسة وقواطع.

كنيسة بازيليكا ذات ثلاث حنيات، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام رواق مركزي ورواقين جانبيان، كمعظم كنائس الفترة البيزنطية في فلسطين. غربي الكنيسة نارتكس وأتريوم. الأتريوم عبارة عن فناء كبير (أبعاده 20 × 12.30 متر) وكشف فقط عن ركنه الجنوبي الغربي. إلى الشرق منه، كشف عن جزء من الممر الواقع بين الأتريوم وواجهة الكنيسة المعروف بالنارتكس. شرقي النارتكس امتدت الكنيسة نفسها، والتي بلغت أبعادها 36.50 × 12.75 متر ومساحتها حوالي 465 متر مربع.

الشكل 3. صورة جوية للكنيسة.

الشكل 4. صورة جوية لصندوق الذخائر.

قسم صحن الكنيسة بواسطة صفّين من الأعمدة بقي منها قاعدة عمود واحد فقط، إلى ثلاث قاعات: الرواق المركزي، الرواق الشمالي والرواق الجنوبي. أغلقت الثلاث قاعات في طرفها الشرقي بجدار مركب من ثلاث حنيات (أبسيس) مقابل كل رواق. اكتُشفت في وسط الحنية الشمالية حفرة منحوتة ومبنية كانت معدّة، كما نعرف من كنائس عديدة، بما فيها تلك

الشكل 6. قدس الأقداس، فسيفساء مزينة بأنماط هندسية ونباتية.

المكتشفة داخل القرية، لصندوق ذخائر القديسين (رليقفاريوم)، ولسوء الحظ، لم يعثر على الصندوق نفسه (الشكل 4).

أما الكنيسة، فعلى غرار الكنيسة التي اكتشفت في مركز كفر كما، كانت أرضيتها مرصوفة بالفسيفساء الملون، ومزينة بأنماط هندسية ونباتية، ولم يسلم منها إلا القليل (الشكلين 5-6).

الشكل 7. فتحة بئر دائرية.

الشكل 5. الرواق الجنوبي، فسيفساء مزينة بأنماط هندسية ونباتية.

وعثر إلى الشمال وبمحاذات الكنيسة على عدد من الغرف، إحداها مرصوفة بالفسيفساء الأبيض. أجري مسح بالرادار المخترق للأرض حول الكنيسة، ويمكن بواسطته اكتشاف ما إذا كانت هناك جدران تحت

الأرض، وتبيّن أن الكنيسة كانت محاطة بغرف. كما اكتشفت على مسافة 50 متر شمالا فتحة بئر لم يتم حفره بالكامل، بل إلى عمق 1.85 متر (الشكل 7). واكتشف ضريحان، ربما منذ العصر الروماني، لم يتم حفرهما.

وعملوا في الزراعة جنبًا إلى جنب مع السكان المحليين، وكانت هناك أديرة لخدمة الحجاج المسيحيين أثناء تجوالهم وزياراتهم للأماكن المقدسة في الأراضي المقدسة. ومن المعقول في نظرنا أن هذا الدير كان يخدم الحجاج الذين تنقلوا بين منطقة بحيرة طبريا،

الشكل 8. صورة جوية للكنيسة والقرية.

جميع البيانات تشير أن الكنيسة كبيرة، محاطة بغرف، وبقربها بئر مياه، وتبعد مسافة ما عن القرية القديمة. الكنيسة الجميلة التي تم التنقيب عنها داخل القرية، تؤيّد الاحتمالات بأن المجمع الذي تم التنقيب عنه الآن هو دير. فقد أنشئت الأديرة في الفترة البيزنطية ليس فقط للاعتزال في الصحراء، بل كانت هناك أديرة زراعية، حيث عاش فيها الرهبان بالقرب من القرى

حيث كان هناك عدد من الأماكن المقدسة مثل: كفر ناحوم والطابغة وكرسي، وبين المراكز المقدسة والحج إلى جبل طابور والناصرة (الشكل 8).

للأسف الشديد، لم نتمكن من إقناع المجلس المحلي في كفر كما بالحفاظ على آثار الكنيسة ودمجها في المتنزّه، لذا تمت تغطيتها بالكامل.

منطقة صناعية، حمامات وأحواض من الفترتين البيزنطية والإسلامية المبكرة عند سفح تل قطرة

دكتورة إيلا ناجورسكي ودكتور إيتمار تكسل - سلطة الآثار

يقع الموقع الأثري تل قطرة في الطرف الشمالي من غديرا، وعلى الجانب الشرقي من الطريق القديمة التي تربط مدن الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط بمدينة اللد (الشكل 1). سمي تل قطرة على اسم قرية عربية مهجرة كانت في منطقة التل حتى عام 1948. ارتفاع التل نحو 70 مترًا فوق سطح البحر، ويشرف على محيطه المنبسط والمتميّز بالتربة الخصبة. إن أقرب مصدر دائم للمياه من الموقع هو وادي الصرار (سوريك) ورافده وادي كدرون. يعتقد أن المستوطنة في تل قطرة كانت خلال الفترات القديمة تقع ضمن المنطقة الإدارية التابعة لمدينة يفنه القريبة. أجريت في الموقع مسوحات أثرية وحفريات إنقاذ محدودة (معظمها عند سفح التل) منذ فترة الانتداب، وخاصة في العقدين الماضيين.

أجريت سلطة الآثار في السنوات 2017-2018 حفريات إنقاذ واسعة النطاق (مساحة 12.5 دونم) عند السفح الشرقي لتل قطرة. وكشفت عن خمس طبقات استيطانية من الفترات: الفارسية، الرومانية، البيزنطية، الإسلامية المبكرة والمملوكية. جدير بالذكر أنه عثر في التربة المتراكمة فوق الصخر الأصلي، في منطقة الحفريات، على شظايا فخّار، أدوات صوانية وحجرية من العصور: الحجري، النحاسي، البرونزي الأوسط وأواخر العصر الحديدي.

يبدو أن المستوطنة كانت قائمة على التل خلال العصر الروماني المتأخر، واستخدمت الأراضي الواقعة شرقي التل للزراعة، اقتلاع حجارة البناء وللمقابر. عثر في المنطقة الزراعية على بعض جدران درجات زراعية

الشكل 1. منطقة التنقيب وتل قطرة غربها.

طويلة من الفترة الفارسية، وحوض تجميع كبير لمعصرة عنب، ومقلع حجارة كبير وقبرين مبنيين يعود تاريخهما إلى القرن الثاني الميلادي.

بناء وتطوير المنطقة الصناعية والترفيهية

شمال شرق التل، على الضفة الغربية لوادي كدرون، بنيت في نهاية الفترة الرومانية فاخورة (معمل لصناعة الأواني الفخارية). واختصت الفاخورة بإنتاج الجرار المعروفة باسم "جرار غزة". عثر خلال التنقيبات في الفاخورة على بقايا ما لا يقل عن ثلاثة أفران دائرية وثلاثة مراكز لنفايات الأفران.

المرحلة التالية في تطوير المنطقة الصناعية المحلية حدثت في الفترة البيزنطية، حيث يبدو أن مركز المستوطنة كان قائم على التل. بالإضافة إلى صناعة الأواني الفخّارية التي استمرت، تم بناء حمامين وعشرات الأحواض بأحجام مختلفة ومكسوة بالطلاء، استخدم بعضها لتخزين المياه، وبعضها لأغراض صناعية التي لم تحدد نوعيتها بعد. وارتبط عدد من هذه الأحواض بشبكة معقدة ومتفرعة من القنوات المفتوحة والمغلقة، وقنوات من الأنابيب الفخارية. إلى جانب نفايات الفاخورة، عثر أيضًا على أدلة غير مباشرة لوجود ورش لإنتاج الأواني الزجاجية والمعدنية.

تمتد بقايا إنتاج الأواني الفخارية على مساحات واسعة ابتداء من التل في الغرب وحتى وادي كدرون في الشرق. الجدير بالذكر أن هذا النوع من الصناعة يتطلب باستمرار تجديد بناء الأفران، حيث يتغير موقعها - وبالتالي موقع أكوام النفايات - بشكل متكرر. تنتشر أكوام نفايات الأفران من الجنوب إلى الشمال لعدة مئات من الأمتار، وإلى خارج حدود منطقة الحفريات، ويبلغ ارتفاعها نحو 4 أمتار (الشكل 2). تغطي جميع مناطق التنقيبات طبقات سميكة من الرماد، وبقايا انهيار جدران وسقوف الأفران المبنية من الطوب المحروق، وشظايا عشرات آلاف الجرار غير الصالحة للاستخدام (الشكل 3).

طيلة أيام المفاخر في الموقع، استمر إنتاج "جرار غزة" التي شكّلت المنتج الرئيسي للفاخورة، والى جانبهم

الشكل 2. كومة نفايات من الفاخورة.

أنتجوا جرار (المعروفة بجرار الشوال)، قدور وأسرجة فخارية.

الشكل 3. مقطع لإحدى أكوام نفايات الأفران.

الشكل 4. فرن مستطيل، منظر عام للغرب. باب مستدير له يد جرّة.

كشف في الجزء الشمالي الغربي من منطقة التنقيب عن فرنان في حالة صيانة سيئة. كان الجزء السفلي من الفرن الشمالي منهما محفورًا في الصخر. كان على شكل انبوب، ضيق وطويل (0.65 × 7.8 م)، ويقدر ارتفاعه بنحو 1 متر ومغطى بقبو. يقسم الفرن إلى قسمين متساويين في الطول. بين قسمي الفرن تم تركيب باب مؤطر بإطار مبني من الطوب ومغلق بباب دائري الشكل (قطره 1 متر)، صنع من الطين ذات مقبض جرّة في وسطه (الشكل 4). من الفرن الثاني بقي عمودان مستطيلان وجزء من قناة التهوية. يتبع الفرنان، والمبنى الكبير الذي اكتشف جنوبهما إلى فاخورة واحدة كانت تعمل في منتصف الفترة البيزنطية (في القرنين الخامس والسادس للميلاد).

اكتشفت بمحاذاة الحد الغربي لمنطقة التنقيب كومة من نفايات إنتاج الأواني الفخارية، وتحتوي على عدد من المكونات وأهمها فرن كبير تهدم وبداخله عدد كبير من الأواني الفخارية التي كانت في مراحل شويها الأخيرة، أو بعد فترة قصيرة من شويها (الشكل 5). ومع ذلك، بسبب القيود المفروضة على أعمال التنقيب، ولأن الفرن المدمر غطي بنفايات أفران أخرى، لم يكن بالإمكان استعادة مخططه وأبعاده الدقيقة.

الحمّامات

أثناء اعمال التنقيب تم اكتشاف بقايا حمّامين. يمكن الافتراض أنهما أقيما وتم تشغيلهما خلال فترات توقف فيها بشكل مؤقت إنتاج الأواني الفخارية في الموقع، أو عندما انتقل مركز نشاط الفاخورة إلى منطقة أبعد قليلاً. يتطلب التشغيل السليم للحمّامات حدّا أدنى من شروط النظافة والنظام، والتي يصعب العثور عليها بالقرب من الفاخورة.

الشكل5. فرن مهدم، داخل كومة نفايات.

الشكل 6. الحمّام الذي اكتشف في وسط منطقة التنقيب.

أحد الحمّامات الذي اكتشف في وسط منطقة التنقيبات تم الكشف عنه بشكل كامل تقريبًا (الشكلين 6، 7). يمتد الحمام على مساحة نحو 400 متر مربع (20 × 20 متر). شيدت جدرانه من حجارة مصقولة كبيرة وحفظ بعضها لارتفاعها الأصلي، حوالي (2.2 متر). عثر على أجزاء من أقبية السقف المهدمة في غرف الحمام الداخلية.

عند المدخل الغربي للحمّام يوجد فناء (بلاسترا) محاط برواق مسقوف من ثلاث جهات (بورتيكوس). أرضية الفناء منخفضة عن أرضية الأروقة بعدة سنتيمترات، مبلطة بالفسيفساء الملونة ومزينة بمربعات تتوسطها صلبان صغيرة. تم تدعيم سقف كل من الأروقة بأربعة أعمدة، حفظ منهم القواعد المربعة التي قامت عليها الأعمدة. أرضية الأروقة مبلطة بالفسيفساء الأبيض ومزينة بمربعات سوداء.

في الركن الشمالي الغربي من الرواق، أضيفت فيما بعد ثلاث أحواض متدرّجة بأحجام مختلفة، مبنية من الحجارة والطوب ومكسوة بالطلاء، إضافة إلى مقعدين طويلين. جوانب وأرضية الحوض الشمالي مكسوة بالفسيفساء الأبيض. يربط أنبوب من الفخار الحوض بمرفق مستطيل لتخزين المياه تم بناؤه محاذيا من الشمال.

غرفة المياه الباردة (فريجداريوم)، صغيرة الحجم وفيها مقعد منخفض على طول الحائط الشرقي وحوضين مستطيلان ضحلين، مسطبتهم من الفسيفساء الأبيض. غرف المياه الفاترة (تبيداريوم) والساخنة (كلداريوم)، حفظ تحت مسطبة الغرف نظام تسخين المياه والتدفئة (هيبوكاوست) بشكل جزئي. قسم آخر من الهيبوكاوست حفظ بشكل جيد، ووصل ارتفاع أعمدته وقناطرها المبنية من اللبن الى أسفل مسطبة الغرف. بين أعمدة الهيبوكاوست عثر على أجزاء كثيرة من شظايا أنابيب الهواء المربّعة (طيبولي) المصنوعة من الفخار، التي كانت مثبتة في الأصل على امتداد جدران الغرفة، وأنابيب مياه فخارية، حفظ بعضها في موقعها الأصلي.

غرفة مياه ساخنة كلداريوم، شكلها بيضاوي، مسقوفة بقبو نصف برميلي. تشير أثار المقاعد الحجرية إلى وجود مقعد بجوار الحائط الشمالي للغرفة. يقع الفرن الذي يوفر الهواء الساخن لنظام الهيبوكاوست شرق الغرفة، كما يتضح من تراكم الرماد والتربة المحترقة،

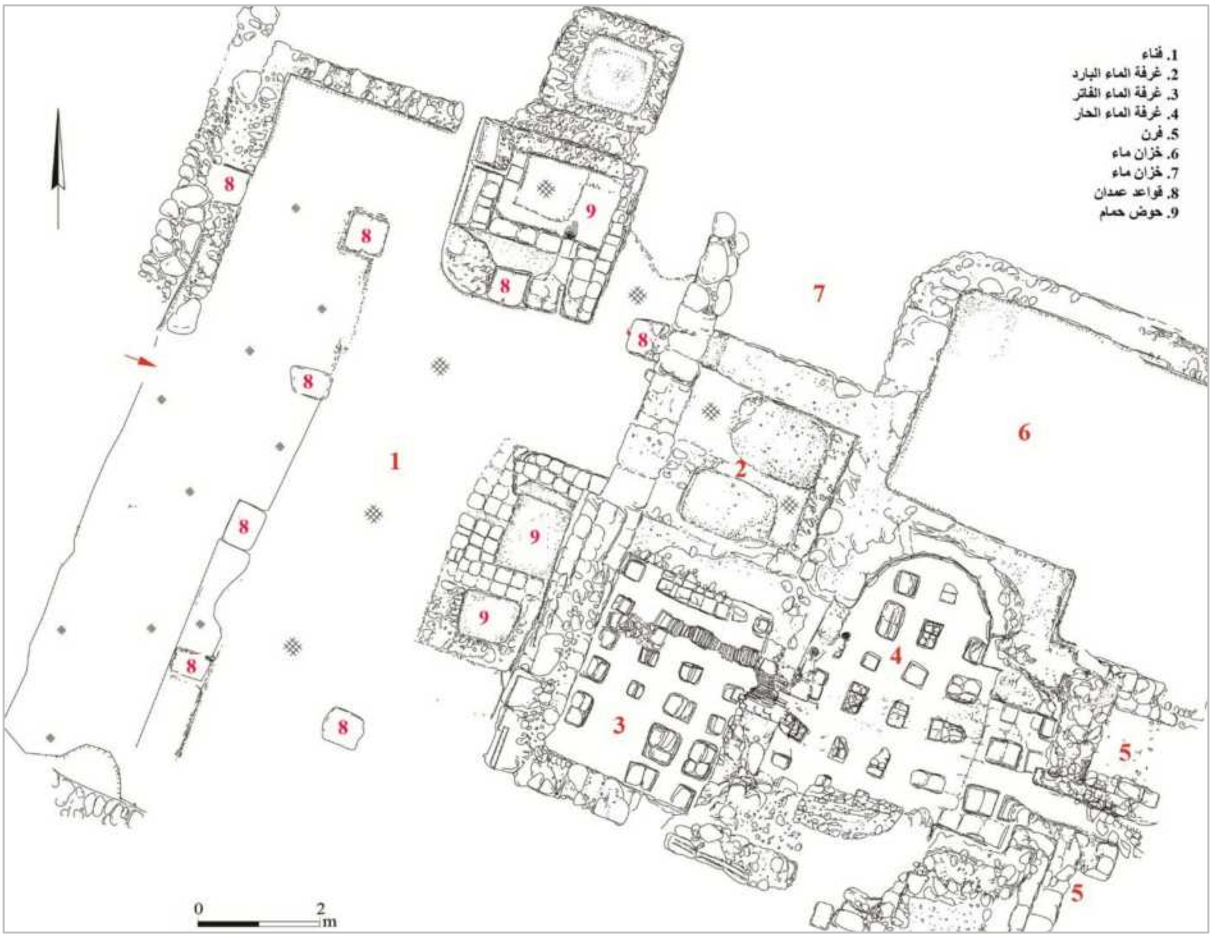

الشكل 7. مخطط للحمّام.

وأثار الهواء الساخن على جوانب أعمدة الهيبوكاوست، وجدران القناة التي تدفق فيها الهواء الساخن من الفرن إلى منظومة الهيبوكاوست.

كان الجزء الغربي من الحمّام مغطى بطبقة سميكة (بارتفاع مترين) من نفايات صناعة الزجاج والأواني الفخّارية التي يعود تاريخها إلى القرنين السادس والسابع الميلادي. قطعتان من العملة البرونزية من نهاية القرن الرابع - بداية القرن الخامس الميلادي تم اكتشافهما بين أعمدة الهيبوكاوست توفر التاريخ الأقدم للتخلي عن الحمام.

كُشف من الحمام الثاني الذي تم اكتشافه في الزاوية الجنوبية الغربية من منطقة التنقيب، عن فرن كبير، أجزاء من الغرف، أعمدة مربعة لدعم قناطر سقوف الغرف، حوض، قنوات مفتوحة ومغلقة وأنبوب فخاري.

تشير البقايا التي عثر عليها إلى وجود حمّام واسع يقع معظمه خارج الحد الجنوبي للتنقيب. هذا الحمام، بالإضافة إلى بقايا مبان بالقرب منه الى الشمال، كانوا مدفونون تحت أكوام ضخمة من نفايات الفاخورة، مشابه للحمّام الواقع في الجزء الأوسط من التنقيبات.

منشأة المياه

بعد مراجعة الخرائط التاريخية والمعلومات الشخصية التي تم الحصول عليها من السكان المحليين، تبيّن أن عددا من الآبار كانت في السابق حول منطقة التنقيبات. أحد الآبار (قطرها 3.6 م)، مبطنة بحجارة مصقولة جيدا، وقد تم الكشف عنه جزئيًا بمحاذاة الحد الجنوبي للتنقيب (الشكل 8). البئر محاطة بالأحواض - واحدة في الشمال، واحدة في الشرق واثنتان في الغرب. تم بناء حفر مستطيلة بأحجام مختلفة في قاع الأحواض. تم بناء منشأة طويلة وضيقة (0.6 × 7 م)

في نهايتها الغربية وعدد من الحفر المستطيلة على طول الحوضين الغربيين. أرضية المنشأة، بما في ذلك الحفرة مبلطة بالفسيفساء الأبيض. يربط أنبوب من الفخار هذه المنشأة بأخرى مرصوفة بالفسيفساء الأبيض، تم بناؤه على مستوى أكثر انخفاضا إلى الغرب.

تم الكشف عن تسعة أحواض مستطيلة بأحجام مختلفة، ونظام قنوات مفتوحة وأنابيب فخارية أوصلت بينهم. تم بناء معظم الأحواض بزوايا داخلية مستديرة، وفي قعر بعض الأحواض، بنيت حنيات صغيرة مستديرة.

الشكل 8. منطقة البئر والأحواض. في الزاوية العليا - أنبوب فخار يربط مُنْشَآتٌ مرصوفة بالفسيفساء.

الشكل 9. مجمع الأحواض الكبيرة. الحوض الغربي.

الشكل 10. منطقة الحوض المطلي بالون الأحمر.

تم الكشف عن حوضين كبيرين متجاورين بالقرب من الحد الشرقي للحفريات (الشكل 9). الحوض الغربي (5.5 × 19.5 م، وعمقه 0.8 م) كشف بكامله، والحوض الشرقي حفر بشكل جزئي. بجوار الزاوية الجنوبية الغربية من الحوض الغربي يوجد منشأة مستطيلة الشكل، وتم دمج سيفون مكوّن من فقرات فخارية في جدارها الذي يفصلها عن الحوض. كشف في الركن الجنوبي الشرقي من نفس الحوض عن منشأة أخرى مستطيل الشكل، أرضيتها من الفسيفساء الأبيض.

كشفت في وسط منطقة التنقيب عن حوض مربع (8.5 × 8.5 م) وجدرانه مكسوة بالجص ومطلية باللون الأحمر من الداخل والخارج (الشكل 10). تم تدعيم جدران الحوض من الخارج; الشمالي، الغربي والشرقي بثلاثة دعامات مربعة متينة، اثنتان في الزوايا وواحدة في وسط كل جدار. بجوار الجدار الجنوبي للحوض بُني حوضان، ويبدو أنهما مصمّمان لاستيعاب المياه الزائدة من الحوض الرئيسي. في قعر الحوض الغربي، حفظ أنبوب فخاري يربطه بالحوض الصغير. ولوحظ في الحوض المطلي بالون الأحمر، عدة مراحل من الاستخدام. في إحدى المراحل، استخدم جزء منه كمعصرة عنب أو منشأة صناعية، كدليل لذلك تم العثور على عمود صغير من حجر الكركار المحلي على أرضيتها (استخدم لهرس العنب). كشف شرقي الحوض عن نظام قنوات مفتوحة تتغذى من هذا الحوض وتنقل المياه عبر منشأة توزيع دائرية نحو الشمال والشرق.

ملخص

يوفر التنقيب فرصة معينة لدراسة طبيعة النشاط الاقتصادي لسكان المستوطنة الذين عاشوا على تل قطرة في فترات مختلفة من وجودها. تظهر نتائج التنقيبات أنه لفترة طويلة من الزمن - من العصر البرونزي الأوسط وحتى الفترة الرومانية - استخدمت المنطقة الواقعة بين التل ووادي كدرون للزراعة، ومقابر ولاقتلاع حجارة البناء.

بلغ النشاط عند سفح التل ذروته في نهاية الفترة الرومانية وخلال الفترة البيزنطية. بنيت الحمامات بصورة متتالية ونظام متطور جيدًا من الأحواض المكسوة بالطلاء، متصلة بقنوات مفتوحة ومغلقة وبأنابيب فخارية. احتلت الفاخورة التي بنيت في نهاية القرن الثالث واستمر حتى القرن السابع أو أوائل الثامن الميلادي مساحة واسعة عند سفح التل. حقيقة أن المنتج الرئيسي للفاخورة جرار خاصة لتخزين ونقل النبيذ من نوع "جرار غزة"، وبقي شكلها دون أي تغير لفترة طويلة، ما يشير من بين أمور أخرى إلى أهمية واستمرارية زراعة الكروم في المنطقة. ربما كان وجود مفاخر كبيرة مميزا لبلدات عديدة في تلك المنطقة، مثل الفاخورة التي تم التنقيب عنها في السنوات الأخيرة في خربة بركة (جان يفنا) والفاخورة عند سفح تل يفنه.

بنيت خلال الفترة العباسية والمملوكية بعض المساكن، كان سكانها على ما يبدو يعملون في الزراعة. في الجزء الجنوبي من المنطقة، حفظت بقايا مبنى سكني من الفترة العباسية مكون من فناء داخلي مركزي وحوله مرتبة أربع غرف، حفر بشكل جزئي. كما كشف في الجزء الجنوبي من الحفريات عن أقسام من ثلاثة مبانٍ أخرى، متباعدة عن بعضها من الفترة المملوكية. عثر على أرضيات معظم الغرف طوابين بأحجام مختلفة، ومواقد، ومطاحن بأحجام مختلفة والعديد من أحجار الطحن. وتعزى أيضًا إلى هذه المرحلة العديد من الكواير المستديرة (عددها 18) لتخزين الحبوب، وقد وضع بعضها داخل المباني السكنية وبعضها خارجها.

"الجميلة بين المدن" الرملة في الفترة الإسلامية المبكرة: مسح أثري

بروفيسور جدعون أفني – سلطة الآثار

خلفية تاريخية

مدينة الرملة هي عاصمة جند فلسطين في الفترة الإسلامية المبكرة، وصفت في المصادر التاريخية كإحدى المدن الكبيرة والجميلة في البلاد. ويقول عنها المؤرخ "المقدسي" الذي عاش في القرن العاشر الميلادي: "حسنة المنظر، الجميلة بين المدن، بالأزقة والأسواق، تتميز بالبياض والبهاء، كثيرة المساجد والخير، عالية البنيان، واسعة الشوارع..... وفيرة الثمار، تجارتها مزدهرة ومصادر المعيشة مريحة. فيها المساكن الرحبة والحمامات الأنيقة. وفيها الرخام الكثير ومعظم مبانيها من هذه المادة".

تأسست الرملة في العقد الثاني من القرن الثامن الميلادي، بعد نحو ثمانين عامًا من الفتوحات الإسلامية، وكانت خلال الفترة الإسلامية المبكرة مدينة إدارية ومركزية لتقديم الخدمات لأجهزة السلطة، ومدينة تجارية على الطريق الرئيسي للقوافل التي تجتاز البلاد، وربطت الفسطاط في مصر بدمشق في سوريا. أنشئت المدينة في موضع لم يكن مأهولا من قبل، ووفقا للتقاليد المختلفة ارتبط اسمها بالرمال الذي بنيت عليه. إن تأسيس المدينة كعاصمة الجند والمشاريع العمرانية فيها تعود إلى سليمان والي جند فلسطين، وهو ابن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (685 – 705) وشقيق الخليفة الوليد (705 – 715). تولّى سليمان الخلافة بنفسه عام 715، لعامين فقط. يبدو أنه في هذه السنوات استمر ببناء المدينة في موقعها الجديد.

لماذا أقيمت عاصمة الجند في هذا المكان تحديدا؟ كما حدث لمدن أخرى أقامها المسلمون في فتوحاتهم، مثل البصرة والكوفة في العراق، الفسطاط في مصر والقيروان في شمال أفريقيا، كذلك الرملة التي تعبّر عن المفهوم الجديد للإدارة الأموية، وبموجبها أقيمت المدن الحديثة بجوار مدن قائمة، لتستخدم كمراكز الحكم والإدارة. وهكذا احتلت الرملة في غضون زمن قصير مكان قيسارية، عاصمة الجند في الفترة البيزنطية، وأصبحت مركزا سياسيًا وإداريًا لفلسطين.

وفقا للمصادر التاريخية يمكننا الجزم أن مدينة الرملة كانت مخططة تخطيطًا جيدًا، وشملت عدد من المباني الرسمية والمباني العامة المركزية: أولا وقبل كل شيء القلعة وقصر الوالي، وبجوارهما دار الصبّاغين التي تضم برك والعديد من المرافق. ويبدو أن هذا المبنى أعد لصباغة الأقمشة، أحد فروع الإنتاج الهامة في الرملة. وبالقرب منهم بني الجامع المركزي في المدينة.

تطورت مدينة الرملة بين القرون الثامن والحادي عشر، في فترة حكم العباسيين والفاطميين في البلاد، وأصبحت مدينة مزدهرة تمتد على مساحة واسعة. إن انتقال مركز الخلافة العباسية من دمشق إلى بغداد عام 762 للميلاد، لم يضرّ بتطور المدينة، بل يبدو أنه ساهم بتوسعها كمدينة متعددة الثقافات. وكان من بين سكان الرملة، عدا الأغلبية الإسلامية، جاليات أخرى كبيرة كاليهود، والمسيحيين، والقرائين، والسامريين. في تلك الفترة كان في المدينة كنيستان كبيرتان، وثلاث كنس يهودية على الأقل. يمكن التعرف على ازدهار وثراء أبناء الجالية اليهودية في الرملة عن طريق الشهادات التي عثر عليها في أرشيف القاهرة، ويستدل منها على أنه خلال القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد كانت المكانة الاقتصادية والثقافية للجالية اليهود أهم من مكانتهم في القدس. وبموجب هذه الوثائق يمكن التقدير أن عدة مئات من العائلات اليهودية سكنت في المدينة، ومارست فيها حياة جماهرية متطورة. كما يمكن التعرف على الجالية المسيحية في الرملة من بعض ما ورد عن كنائس المدينة. ولكن خلافا لمواقع أخرى، حيث يمكن العثور على دلائل أثرية تتعلق بانتماء السكان الديني، لم يعثر في الرملة إلى يومنا على دلائل كهذه لليهود أو المسيحيين. رغم العثور في أنحاء المدينة على أجزاء معمارية من الرخام تابعة للكنائس، مثل ألواح الحواجز

الشكل 1. صورة جوية للرملة بأيامنا، المسجد الأبيض والمسجد الكبير.

أو الأعمدة، ربما جلبت هذه الأجزاء من مدينة اللد المجاورة وكنائسها بيزنطية، واستخدموها في مبان مدينة الرملة بشكل ثانوي، بدون علاقة بالمباني العامة المسيحية المذكورة في المصادر. إن الشهادة الوحيدة تقريبا للوجود المسيحي في المدينة هي نقش شاهد قبور من منتصف القرن العاشر، وقد عثر عليه خارج موضعه، ويذكر فيه رجل يدعى جبور الذي فارق الحياة عام 943 للميلاد. وافترض الباحث شارون أن جبور هذا كان من أبناء الجالية المسيحية في الرملة. ويعتقد الباحث غات أن جبور يتبع الى الطائفة السورية – اليعقوبية. ولم يعثر حتى يومنا على دلائل أثرية لوجود الجالية اليهودية في المدينة.

بلغت الرملة في القرون التاسع حتى الحادي عشر ذروة مجدها. لم تتضرر المدينة من القلاقل والتمرد ضد العباسيين في النصف الأول من القرن التاسع. ومع ضم فلسطين إلى مصر في عهد أحمد بن طولون (878 ميلادي)، تعززت مكانة الرملة كمركز تجاري على الطريق الرئيسية جنوبا. ومكث فيها في مطلع القرن العاشر عبيد الله المهدي الفاطمي، وأصبح تحت حماية الوالي المحلي. وعندما احتل العباسيون فلسطين مرة أخرى عام 905 للميلاد، تمردوا فلول الجيش المصري في الرملة وحاولوا إعادة البلاد إلى سلطة مصر. اجتازت المدينة في هذه الفترة تقلبات سياسية عديدة، كما انتقلت عدة مرات من يد إلى يد بين القرامطة والفاطميين. وفي عام 968 للميلاد احتلت المدينة ونهبت في غزوات القرامطة وتعرض كثير من سكانها للأسر، حتى عام 970 حين احتل الفاطميون الرملة لأول مرة. لكن يبدو أن التقلبات السياسية لم تمس حصانتها فكان انتعاشها سريعا. إن وصف المقدسي الدقيق لحجم المدينة وعظمتها كما ورد أعلاه هو عن هذه الفترة.

في أواخر القرن العاشر والنصف الأول من الحادي عشر تأثرت الرملة من الغزوات المتكررة والمتلاحقة للقبائل البدوية في فلسطين وفي مقدمتهم بنو الجراح، الذين استولوا على المدينة ونهبوها. ووفقا للمصادر، أدت هذه الغزوات إلى دمار جزئي للمدينة، لكن لم يعثر في الحفريات على ما يؤكد ذلك.

أفل نجم المدينة العظيمة بسرعة العاصفة، نتيجة الزلازل المدمر الذي ضرب المنطقة في الأعوام 1033

و1068 للميلاد. رممت أجزاء من المدينة في أعقاب الزلزال الأول، ويصف ناصر خسرو الذي زار الرملة عام 1047، ازدهارها. لكن يبدو أن الرملة لم تصمد في الزلزال القوي الذي حدث في عام 1068.

ومنذئذ لم تعد المدينة البتة إلى سابق عهدها. رممت أجزاء من الرملة في الفترة الصليبية، ويبدو أنها امتدت على أحياء من المدينة القديمة بأيامنا. وتبرز بين مباني هذه الفترة الكنيسة الصليبية، التي هي اليوم المسجد الكبير للمدينة (أنظر الشكل 1). وفقدت الرملة في الفترتين المملوكية والعثمانية مكانتها المركزية في البلاد وأصبحت بلدة صغيرة، كمحطة للمبيت لليلة واحدة على قارعة الطريق الرئيسية بين يافا والقدس.

وجهة المدينة واقتصادها

يذكر المقدسي الرملة أنها "مدينة عظيمة"، وحدودها "ميل على ميل"، محاطة بسور متين وفيها ثماني بوابات (وبموجب مصادر أخرى اثنتا عشرة بوابة)، التي تفتح نحو الطرق الرئيسية التي امتدت خارج المدينة. وأطلق على البوابات أسماء المدن التي اتجهت نحوها: بوابة القدس، بوابة مصر (أو عسقلان)، بوابة اللد، بوابة يافا وغيرها. وامتدت من البوابات الشوارع الرئيسية المؤدية إلى داخل المدينة حيث أسواق رملة. ويكرس المقدسي وصفا خاصا للمنتجات التي عرضت للتجارة في أسواق المدينة، ويشير إلى الفاكهة الرائعة والدقيق الفاخر الذي تنتجه الرملة. ويصف العلامة مجير الدين من القرن التاسع عشر أسواق الرملة كما يلي: "ولها أربع أسواق تمتد من أربع بوابات إلى وسطها حيث مسجد الجمعة. تمتد سوق من بوابة يافا إلى سوق البصل ومنها إلى سوق القمح حتى المسجد. من بوابة القدس تمتد سوق بائعي القطن ويتفرع منها سوق الكتان ومن هناك إلى سوق العطور فالمسجد. ومن بوابة يازور إلى سوق بائعي الأخشاب ومن هناك إلى سوق صانعي الأحزمة ومنها إلى سوق بائعي الخضار حتى المسجد. ومن البوابة الأخيرة إلى سوق الشحّاذين وسوق صانعي السرج".

يمكن الاطلاع على النشاط الاقتصادي الفعال الذي كان في الرملة من مصادر أدبية عديدة، التي تُجمع كلها على حقيقة أن المدينة كانت مركزا تجاريا وصناعيا هاما. وعلمنا منها أن العملات التي سكّت في المدينة كانت من أكثرها رواجا في البلاد، وعملات الرملة ظهرت في أماكن عديدة ونائية. وأن كنز السبائك الذهبية والدنانير الذهبية من الفترة الإسلامية المبكرة، والتي عثر عليها بطريق الصدفة عام 1965، أثناء مشروع بناء في شمال شرق المسجد الأبيض، يؤكد المكانة الاقتصادية المتينة للرملة. وكان من بين العملات في هذا الكنز، ويبدو أنه كان ملكا لأحد الصرافين، 376 قطعة ذهبية من السنوات 761 – 979 للميلاد، وأصناف أخرى كثيرة من العملات، من الجزائر غربا وحتى أرمينيا شرقا.

أطلعتنا المصادر التاريخية، والمكتشفات الأثرية، على وجود صناعة زراعية متطورة في المدينة، وشملت مشاغل عديدة. فقد بيعت في الأسواق الكبيرة للرملة أصناف المنتجات الزراعية، خاصة الحبوب، الفواكه والزيتون، وكذلك منتجات تم إعدادها من المواد الزراعية كزيت الزيتون، الصابون، المنسوجات ومنتجات الكتان. وكذلك فرع صباغة الأقمشة كان أحد الفروع الصناعية الكبرة في الرملة. واعتبرت البرك المطلية بالجص والتي اكتشفت في التنقيبات في أنحاء المدينة كمنشآت استخدمت في هذه الصناعة. كما كانت الرملة مركزا محليا لصناعة أواني الفخار. رغم أنه لم يعثر في الحفريات على فاخورة متكاملة بمعداتها، لكن عثر في بعض الحفريات على النفايات الصناعية (أعمدة الفرن، نفايات الفرن والقوالب) ويبدو انه عملت في المدينة عدة مفاخر لإنتاج الأواني الفخارية.

كانت المنازل التي اكتشفت في الرملة عالية ورحبة. شهادات كثيرة، بضمنها وثائق الأرشيف في القاهرة، أشارت إلى شكل المنزل السكني النموذجي لتلك الفترة. رغم أن تلك الوثائق تتطرق بمعظمها إلى المنازل السكنية في الفسطاط، لكن بوسعنا الاستنباط منها عن شكل المنازل الخاصة المتبعة في الرملة خلال المراحل المتأخرة من الفترة الإسلامية المبكرة.

يشير المقدسي في كتاباته إلى أنه يمكن أن تكون الرملة "المتميزة بين مدن الإسلام"، لولا جودة مياهها الرديئة، المستقاة من منابع الآبار المالحة في المدينة. وأنه من أجل إيجاد حل لهذا الأمر فقد أقيمت في

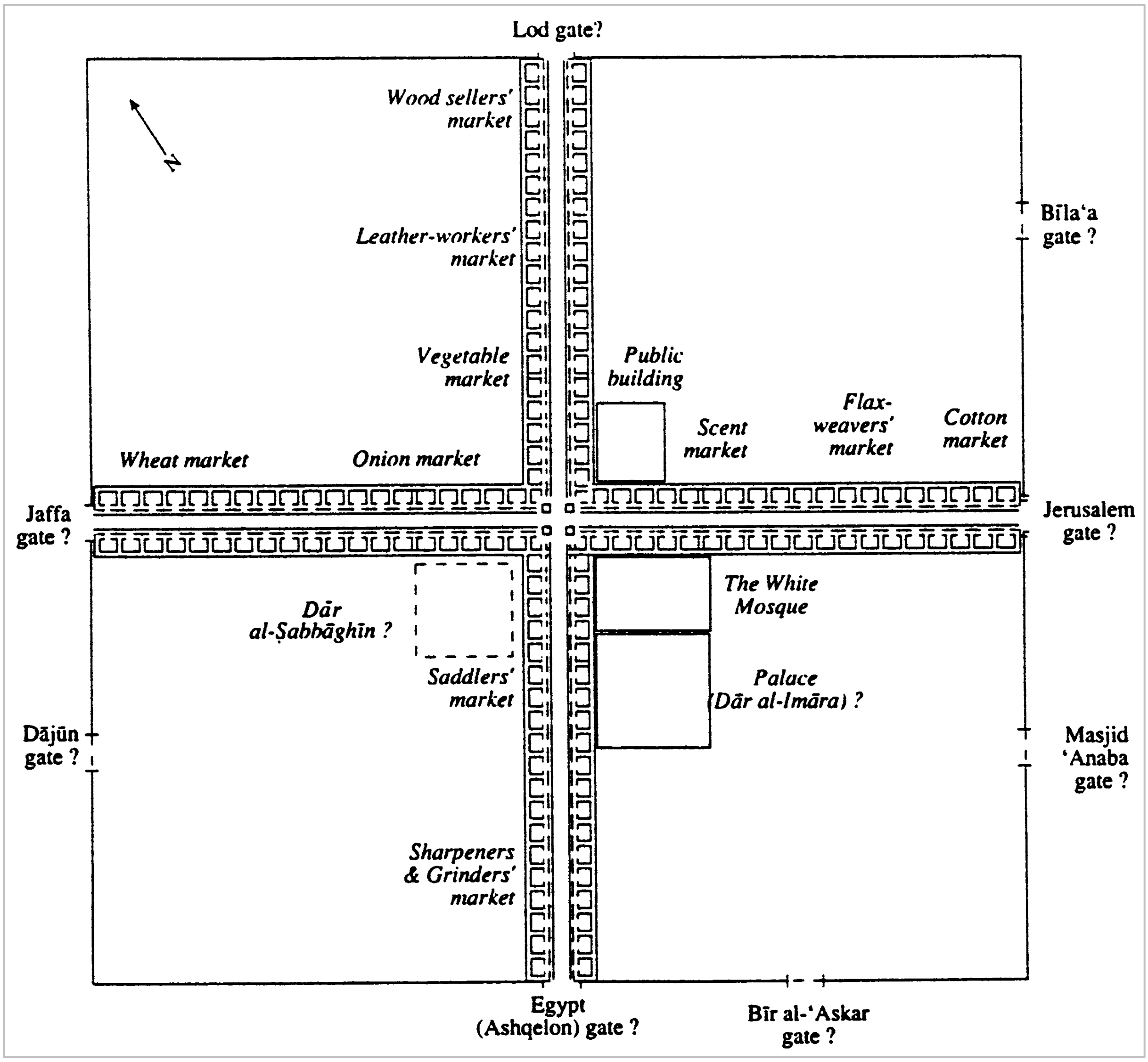

الشكل 2. رسم افتراضي لخارطة مدينة الرملة وفق الباحث لوز.

المدينة عدة منشآت مياه ناجحة، والتي حفظ بعضها إلى يومنا. وأشهرها بركة القناطر، الواقعة في القسم الشمالي الغربي للرملة وحفظت بكاملها. البركة مكونة من عقود وقناطر، ويبدو أنها أقدم نموذج للاستخدام المنهجي بالقناطر المحددة ذات حجر الغلق في قمتها. نقش تكريم نقش في الجص بالقرب من مدخل البركة تعيد هذا المشروع العظيم إلى الخليفة هارون الرشيد، وتذكر أن البركة شيدت سنة 172 هجري / 789 ميلادي. وعثر على برك واسعة كهذه تحت باحة الجامع الأبيض. عدا عن جمع مياه الأمطار، فقد اعتمد عليها تزويد الرملة بالمياه عن طريق قناة مركزية، التي نقلت مياه الينابيع من تل الجزر.

إن التحديثات المقترحة حتى الآن لمخطط مدينة الرملة تعتمد بمعظمها على المصادر التاريخية، التي تصفها كما جاء، بأنها مدينة كبيرة محاطة بسور، ولها ثماني بوابات. يقترحوا الباحثون فيتكومب، لوز، وغات أن شكل المدينة كان مربعا، وأن البوابات في السور فتحت بموجب موضعها في مفترق الطريق المركزية (الشكل 2). وهناك من يعتمد تحديث المخطط البلدي في الرملة على قبول مخطط المركز الأموي في مدينة عنجر الواقعة في منطقة البقاع في لبنان، إذ بنيت في ذات السنوات مع تأسيس الرملة. هذه المدينة مبنية كمجمّع مربّع محاط بسور، وأبعاده 370× 310 مترا، ولها أربع بوابات تمتد منها طرقات مستقيمة ومتقاطعة. ولكن كما سنرى لاحقا، فإن الحفريات والدراسات الجديدة لا تدعم تحديثا كهذا.

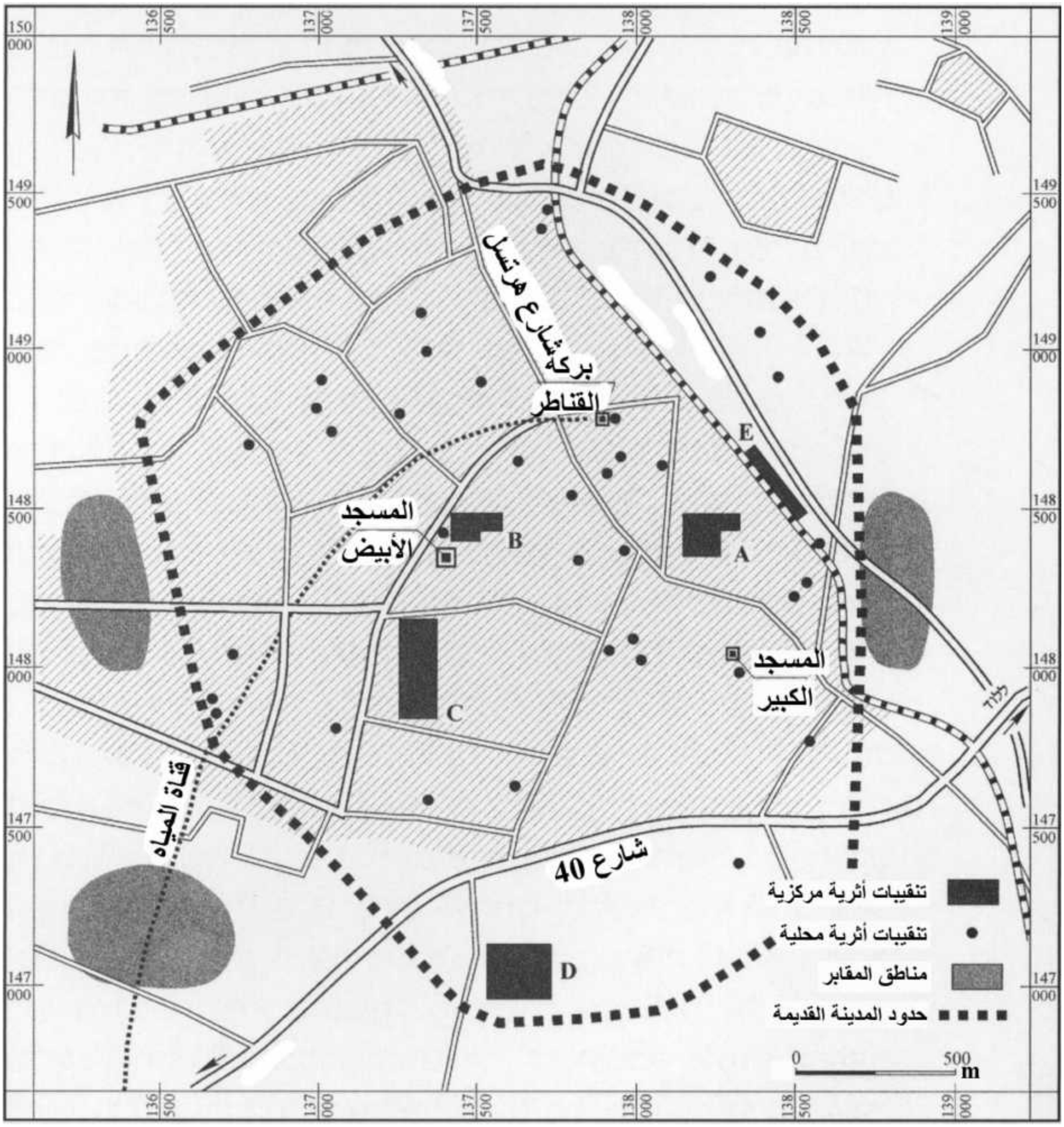

الشكل 3. مساحة رملة القديمة والتنقيبات المهمة: A. حي القضاة، B. شمال المسجد الأبيض، C. جنوب المسجد الأبيض، D. بجوار مستوطنة مصليح، E.شرق رملة (رسم: زاك).

البحث الأثري في الرملة حتى عام 1990

كانت الرملة القديمة على مدى سنوات طويلة بمثابة "الأرض المجهولة" في الأبحاث الأثرية، وذلك رغم مجد المدينة المسلمة القديمة كما ينعكس بالأوصاف التاريخية. زار الرملة في القرن التاسع عشر كثير من الباحثين والزوار، ولكن غالبا ما توقفوا فيها وتابعوا طريقهم إلى القدس. وتتطرق أوصافهم إلى الرملة كمدينة من القرون الوسطى والفترة العثمانية.

ووثق الباحثون للمسح البريطاني في فلسطين عددا من المباني القديمة المركزية في الرملة، بضمنها الجامع الكبير في وسط البلدة، وبركة القناطر في المنطقة الشمالية الغربية والجامع الأبيض، الواقع آنذاك في مناطق مفتوحة جنوب غرب المدينة. أوائل الباحثين الذين عرفوا الأوصاف التاريخية من الفترة الإسلامية المبكرة، لم يترددوا بشأن نسبة هذه النصب التذكارية الثلاثة إلى المدينة المزدهرة في تلك الفترة. فقد اعتمدوا أيضا على نقش البناء في بركة القناطر المذكورة أعلاه.

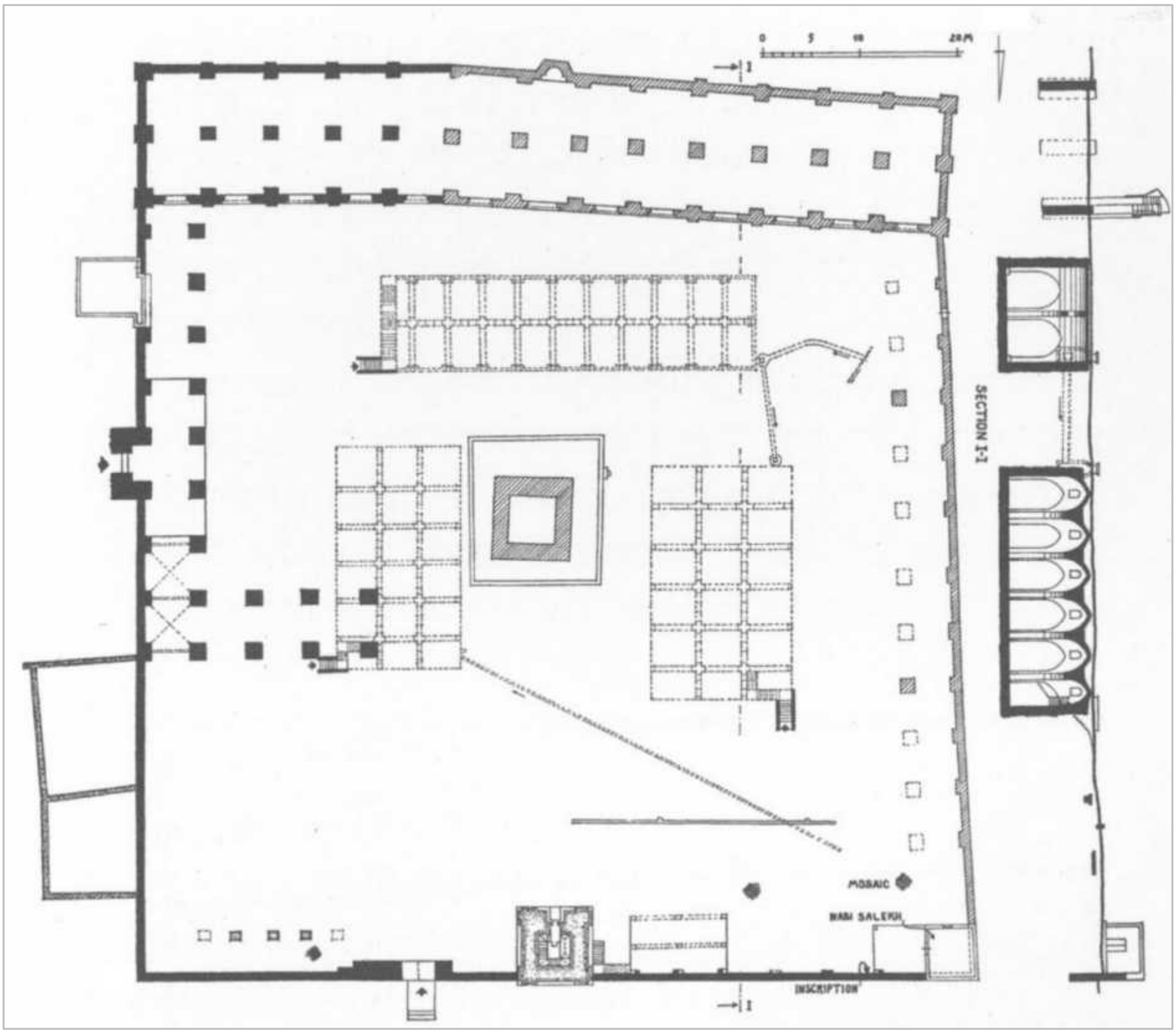

الشكل 4. مخطط المسجد الأبيض وفق كابلان.

أجرى الأثري كابلان الحفريات الأثرية الأولى في الرملة عام 1949، وتركزت في منطقة الجامع الأبيض (الشكل 3). تركز التنقيب لتأكيد أية أجزاء من المسجد تعود إلى الفترة الإسلامية المبكرة، وأيها أضيفت في فترة متأخرة أكثر. منطقة الجامع، وأبعاده 84 × 93 مترا تتناسب مع الاتجاهات الأربع مع الانحراف البسيط نحو الجنوب الشرقي (الشكلين 4-5). جاء هذا الانحراف ليتلاءم الجدار الجنوبي في الجامع مع الاتجاه نحو مدينة مكة المكرمة. المبنى هو من نوع أبنية المساجد العريضة، والتي شملت جزأ مسقوفا من جهة الجنوب، جانب من حائط القبلة، وصفّ من الأعمدة في وسطه. وبني رواقان مكشوفان على امتداد الحائطين الشرقي والغربي، وكانت في الوسط باحة مستديرة واسعة. وفي وسط الباحة بنيت ثلاثة صهاريج مياه تحت الأرض، واسعة الحجم، وغذيت من قناة نقلت المياه من خارج المنطقة.

يقول كابلان إن الجامع تأسس بشكله الحالي منذ الفترة الأموية، وبقيت من هذه الفترة صهاريج المياه الكبيرة في الساحة والجزء الشرقي من المبنى القائم حاليا. تعرّض هذا المسجد للدمار بفعل الزلزال الذي ضرب البلاد في القرن الحادي عشر للميلاد، وقام بترميمه صلاح الدين بعد الفترة الصليبية. وبنيت المئذنة في وسط الحائط الشمالي للمجمّع على يد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون عام 1318، كما يفيد النقش المثبت فوق مدخل المئذنة. يعتمد برينغل على التحليل المعماري لبقايا الجامع والمباني المحاذية له، ويقول إن كافة البقايا القائمة اليوم هي متأخرة عن الفترة الإسلامية المبكرة. ويؤرخ الجزء الغربي من المجمّع عام 1268، استنادا إلى نقش عثر عليه في باحة الجامع في القرن التاسع عشر، ويشير إلى الترميم الذي جرى في هذه السنة بأمر السلطان المملوكي بيبرس،

بينما أقسامه الأخرى أقيمت في أواخر القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر.

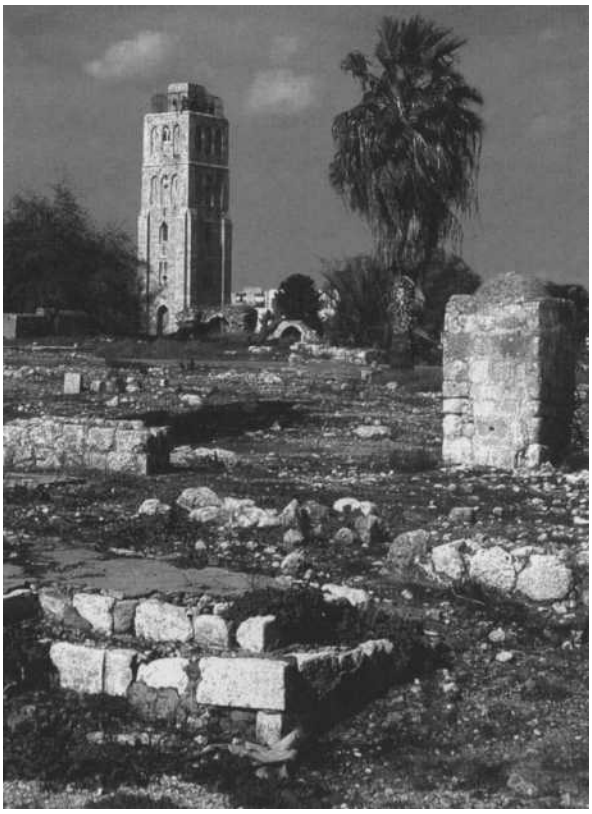

الشكل 5. المسجد الأبيض

التنقيبات المختصرة التي أجراها كابلان في منطقة الجامع كشفت عن عدة طبقات أثرية وبضمنها شظايا فخار من فترات مختلفة، وتشمل أواني من الفترة الإسلامية المبكرة. وفقا لهذا المكتشف، واعتمادا على الطراز المعماري لصهاريج المياه، حدّد كابلان تأريخ المرحلة الأولى لبناء الجامع إلى الفترة الأموية، وأشار إلى أن الأجزاء الشرقية للمجمّع تعود للجامع الأصلي. لكن فحصًا متجددا للمعطيات المعمارية يؤكد أن المجمّع كله أقيم في فترات متلاحقة من الفترة الإسلامية المبكرة، وأن معظم البقايا المتداخلة به اليوم هي من الفترة الأيوبية والمملوكية. ومع ذلك فإن التشابه بين صهاريج المياه في الجامع الأبيض وبركة القناطر المؤرخة الى أواخر القرن الثامن الميلادي، أدى بروزين أيالون إلى الاستنتاج أن إقامة هذه الأنظمة المائية جرت في الوقت نفسه، وهي شهادة لعملية ترميم واسعة في الجامع الأبيض في هذه الفترة القديمة.

أجرى مئير بن دوف حفريات أخرى في عام 1980 خارج الجدار الشمالي لمجمّع المسجد وبمحاذاة مئذنته. وكشفت في هذا التنقيب مرحلتا بناء سابقتان: في المرحلة الأولى، اكتشف فوق صخر الكركار جدار طولي (نحو 45 مترا) لمبنى يتجه شرقا – غربا مع انحراف طفيف شمالا. اعتمادا على الطراز المعماري وشظايا الفخار من طراز "أواني خربة المفجّر – قصر هشام" التي عثر عليها في منطقة أساسات الجدار، أرّخ بن دوف المبنى إلى الفترة الأموية. لكن من المتبع اليوم تحديد تأريخ مجموعة الفخاريات هذه لا أقل من النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي. ولذا يبدو أنه ينبغي تأخير المبنى إلى الفترة العباسية. وظهر في شماله، وبمستوى أعلى مقطع من مبنى ضخم ذي أعمدة مربعة، وقد بني بعضه من حجارة مصقولة ومستخدمة استخداما ثانويا، وسقف بعقود وقناطر. هذا المبنى أقيم بعد المبنى السابق، لكن يتعذر تحديد تأريخه بالتأكيد. ويعتقد بن دوف أن كافة بقايا الجامع الأبيض تعود إلى فترة المماليك. ويشير إلى أنه يحتمل أن تكون بداية البناء في الفترة الأيوبية، ويؤكد ذلك النقش القديم الذي عثر عليه في الموقع، لكن لا يمكن نسبة الجامع إلى الفترة الإسلامية المبكرة وتحديدا مع الجامع الأبيض المذكور في المصادر. ويدعم الباحث غات هذا الرأي ويشير إلى مصادر أخرى التي تتحدث عن الدمار التام الذي لحق بالجامع الأبيض في أعقاب الزلزال في عام 1068.

يبدو أنه رغم غياب بقايا معمارية واضحة من الفترة الإسلامية المبكرة في منطقة الجامع الأبيض، يمكن الافتراض أن الجامع الكبير في المدينة كان قد بني هنا في هذه الفترة. إن أوصاف المقدسي ومجير الدين، التي تشير إلى بناء الجامع في وسط المدينة ومنطقة الأسواق، وكذلك العثور على صهاريج المياه الضخمة، المماثلة بشكلها المعماري لبركة القناطر التي بنيت في أواخر القرن الثامن للميلاد، تدلّ على وجود الجامع القديم في هذه المنطقة. ويعتمد هذا الافتراض على نتائج الحفريات الحديثة التي أجريت جنوب الجامع الأبيض، وعلى التحديث المقترح لمخطط الرملة في الفترة الإسلامية المبكرة، والذي سيعرض فيما يلي. لكن بوسع حفريات أخرى فقط في منطقة الجامع الأبيض أن تزودنا بدلائل أثرية راسخة حول وجود جامع قديم في المكان.

أجرت مريم روزين أيالون وإيتان أيالون الحفريات الهامة الأولى في منطقة مدينة الرملة القديمة عام 1965 في الناحية الغربية لمدينة الرملة الحديثة. ظهرت هنا أربع طبقات معيشية من الفترة الإسلامية المبكرة، وكمية وفيرة من أواني الفخار، الزجاج والمعدن. بضمنها أواني فخارية عديدة تالفة (نفايات الفرن)، التي تؤكد احتمال وجود مفخرة بالجوار.

اكتشف دليل ملموس لفخامة وغنى المنازل السكنية بطريق الصدفة عام 1973 جنوب شرق الجامع الأبيض. وظهرت في فناء منزل حديث مقاطع من أرضية فسيفسائية مزينة بنماذج هندسية. وتظهر في أحد المقاطع قوس مستندة على عامودين، ويبدو أنه يشير إلى محراب الصلاة، وفي داخله تظهر كتابة بالخط الكوفي القديم لآية قرآنية (الشكل 6).

الشكل 6. فسيفساء مزين بنقش ومحراب.

كشفت نتائج الحفريات وهذه الدلائل بعض مخبآت وكنوز الرملة القديمة، وأشارت إلى الإمكانيات الكامنة في البحث الأثري للمدينة. ولكن لا يزال المستور يفوق المكشوف، ولا يمكن من الناحية العملية، وفقا لهذه الحفريات الأولية، دراسة مخطط المدينة القديمة.

الحفريات الحديثة في الرملة

أصبح في السنوات الأخيرة البحث الأثري في الرملة القديمة أكثر ثراء بالمعطيات الإضافية، التي تتيح الدراسة والإدراك العميق لمخطط المدينة القديمة ومراحل تطورها العمراني. فقد أجري في العقدين الأخيرين أكثر من مئة تنقيب إنقاذي في المدينة ومحيطها، كجزء من تطور الرملة الحديثة وتوسعها. رغم أن معظم الحفريات تضمنت فحصا قليلا لمناطق صغيرة في مساحات أعدت للبناء أو طرقات أجريت فيها أعمال الحفر للبنية التحتية، لكن أجريت كذلك حفريات واسعة النطاق. وتفتح نتائج الحفريات المجال لمقترحات استعادة أولية للمبنى المدني في الرملة في الفترة الإسلامية المبكرة.

تركزت الحفريات الجديدة خاصة في مناطق غرب المدينة القديمة – شمال وجنوب الجامع الأبيض وحي القضاة شمال المدينة العتيقة. كما أجريت حفريات أخرى في مناطق بعيدة أكثر: منطقة الشارع الالتفافي للرملة، شمال وشرق المدينة وفي الأحياء الغربية للرملة الحديثة. وأجريت مؤخرا حفريات واسعة النطاق بجوار مستوطنة "مصليح" الواقعة جنوب الرملة، وتبين أنه كانت في المدينة وجوارها مناطق واسعة جدا من الأبنية المكتظة.

إن الحفريات الواسعة التي أجريت جنوب الجامع الأبيض أتاحت استعادة أجزاء من المخطط المعماري للمدينة القديمة والاطلاع على مشاريع المباني السكنية فيها. وظهرت في حفريات أخرى واسعة النطاق في شمال الجامع قام بها غوتفيلد، أقسام بناء ضخم مبني من حجارة مصقولة وأرضيته من الطين. واكتشفت بجواره، بمحاذاة الجدار الشمالي للجامع الأبيض أجزاء جدران لمبنى آخر. وعثر بجوار المبنيين مجموعة كبيرة من القضبان المعدنية، ربما دليل لوجود منشأة صناعية كانت في المكان، وكذلك جزء طويل لقناة مياه عامة. وتحدد تأريخ المبنيين في القرنين الثامن والتاسع الميلادي.

كشف كالتر، وناغورسكي في الحفريات التي أجريت غرب وجنوب الجامع الأبيض أجزاء من حي سكني بجانب طريق أو زقاق باتجاه شمال جنوب، كما كشف

مفرق طرقٍ يشير إلى خطة موحدة مع المخطط البلدي. أجرى غليك وفيتو بعض الحفريات الواسعة النطاق في السنوات 1994 - 1997 في الأقسام

بنماذج هندسية وأشكال أحياء – طيور، حمير(؟) التي تلتقط التمر من نخلة ونمر (الشكل 7). ظهرت في المسطبة بعض مراحل الحياة، ويبدو أن سكان المبنى

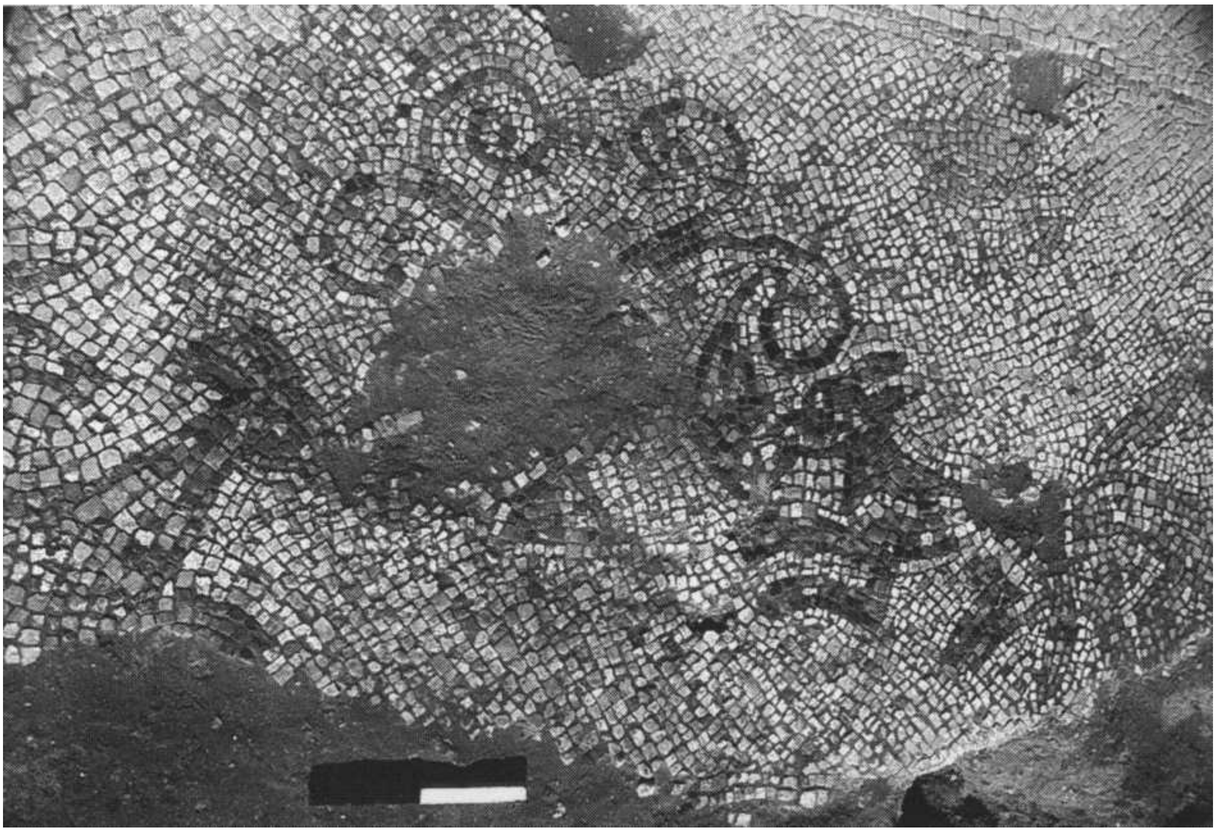

الشكل 7. فسيفساء مزين بنماذج هندسية وصور من عالم الحيوان، أكتشف في حي القضاة.

الشكل 8. مخازن حبوب أكتشف في حي القضاة.

الشمالية والغربية من الرملة الحديثة. في منطقة يبلغ محيطها نحو 20 دونما، وكشفت بعض مراحل الاستيطان من الفترة الإسلامية المبكرة، وبضمنها المباني السكنية (حفظت الأسس فقط نتيجة نهب متواصل للحجارة)، منشآت تحت الأرض وصهاريج للمياه. كما كشفت دلائل على وجود معصرة زيتون وبقايا مبنى يحتوي على أرضية فسيفساء بيضاء ومزينة

استخدموها لفترة طويلة.

اكتشف في منطقة أخرى مخزنان مربعان للحبوب تحت الأرض، وجدرانهما مبنية من حجارة الحقل، مغطاة بطبقة من الطين، مثبتة بالجبس وسقفهما كما يبدو بشكل قنطرة نصف دائرية (الشكل 8). وظهرت في جهة الموقع الجنوبية بركتان مستطيلتان، وظهر في إحداهما بقايا طلاء أحمر، قد يشكل دليلا على صبغ الأقمشة باللون الأحمر. وعثر في المنطقة المجاورة على بقايا قنوات تصريف، وشبكة صرف صحي وصهاريج للمياه.

وكشفت في الحفريات عدة آبار وصهاريج، بعضها متلاصق جدا (بينها مسافة 3 -4 مترا) وامتدت إلى الصهاريج شبكة قنوات عديدة، التي صرّفت مياه الأمطار من سطوح المباني المجاورة. كما اكتشف عدد من حفر الامتصاص ذات قباب، ومبنية من حجر خشن ومرتبة على الرمل. وظهرت في إحدى المناطق

في وسط ساحة مبطنة بالجص، بئر منحدرة نحو مستوى المياه الجوفية. فتحة البئر، المبنية من الحجارة المنحوتة رفعت عدة مرات لملاءمتها

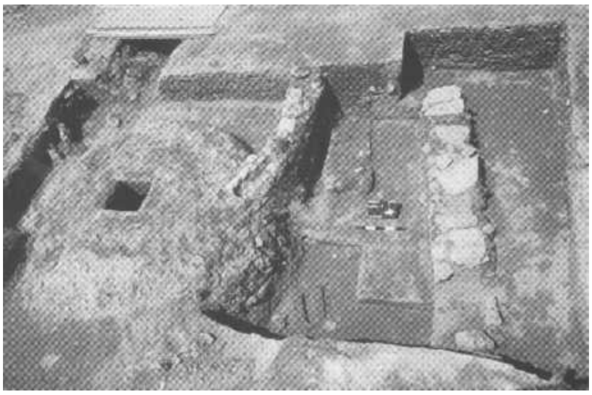

الشكل 9. بئر مياه نموذجي لآبار الرملة، أكتشف في التنقيبات جنوب المسجد الأبيض.

بمستوى الأرضية التي زاد ارتفاعها بمرور الوقت بسبب استعمال المبنى (الشكل 9). كما اكتشف في الحفريات نقشان بالعربية تحدد تأريخهما في الربع الأول من القرن العاشر للميلاد.

توقف الاستيطان في هذه المنطقة كلها في أواخر الفترة الإسلامية المبكرة.

حفرت الأثرية فيتو عام 1997 في منطقة أخرى، شرقي موقع الحفر السابق، وعثرت فيه على برك جدرانها وارضيتها مكسوة بالجص، بئر مياه وقنوات تصريف من أواخر الفترة الإسلامية المبكرة، وبقايا مبان مرصوفة بالطين من فترة المماليك.

وحفر الأثري طواغ بمحاذاة شارع ماركوس في وسط الرملة عام 2000 خمسة مبان سكنية بنيت بجوار زقاق. ضم المبنى المركزي باحة وحولها شبكة غرف للسكن (الشكل 10). وبنيت في مركز الباحة بئر مياه ذات قنطرة أسطوانية. حفظت أجزاء متقطعة من المباني الأخرى. كشفت أثناء التنقيب عدة مراحل بناء: أقدمها من القرن الثامن للميلاد، وشمل منشآت بنيت داخل طبقات الرمل الطبيعية ولم يعثر على دليل لوجود المباني. ظهر المخطط البلدي المكتظ في هذه المساحة في القرن التاسع للميلاد، بإقامة المباني السكنية. استمرت المنطقة بالنمو كحيّ بلدي حتى تدميره في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي.

أجرى أون وغورزلزاني تنقيبات واسعة في السنوات 2005 – 2006 في منطقة جنوب الرملة الحديثة، بجوار الطريق الوصول إلى مستوطنة مصليح. ظهر هنا مبنى كبير جدا، مربع الشكل وحسن التنظيم، ويمتد على مساحة 70×80 مترا، وقد قسمت داخل المبنى الى غرف وبينها ممرات. أقيم المبنى في القرن الثامن أو التاسع الميلادي، واستمرت التغييرات والإضافات فيه

الشكل 10. منزل سكني نموذجي لمنازل الرملة، أكتشف في التنقيبات جنوب المسجد الأبيض.

حتى القرن الحادي عشر ميلادي. يمكن الافتراض بحسب شكل المبنى أنه كان نزلا أو مبنى عاما أقيم في أطراف المدينة، ربما على قارعة الطريق الخارجة من الرملة جنوبا.

اكتشف إلى الجنوب وبمحاذاة المبنى مجمع كبير من المباني والمنشآت الصناعية. إن اكتشاف بقايا أعمال البناء الواسعة جدا في مكان يعتبر حينئذٍ خارج الحدود مدينة الرملة، وعلى مسافة كيلومتر ونصف جنوب الجامع الأبيض، يدل على أن حدود المدينة في الفترة الإسلامية المبكرة كانت أوسع مما ظنوا حتى الآن. رغم ذلك، لم تتضح بعد مسألة الترابط البلدي بين هذه المنطقة والمساحات التي تم التنقيب فيها.

المنطقة البلدية ومخططها في الفترة الإسلامية المبكرة

إن المساهمة الكبرى للحفريات الجديدة في الرملة هي بخلق ترابط بين طبقات الأرض والتسلسل الواضح من القرن الثامن وحتى الحادي عشر للميلاد، وفي الإمكانية لاستعادة نمو المخطط البلدي السابق بموجب المكتشفات المعمارية في الحفريات العديدة، التي جرت باختيار عفوي في منطقة المدينة الحديثة.

اتضح من نتائج الحفريات الاتجاه المتشابه لشبكة الطرقات البلدية والمباني السكنية: إنها مبنية باتجاه شمال جنوب، مع الانحراف الطفيف نحو شمال – غرب – جنوب – شرق. لا شك بأن الرملة القديمة كانت مدينة ذات تخطيط طرقات متسلسلة. ربما الانحراف الطفيف غربا للمباني والطرقات متعلق بموقع واتجاه الجامع المركزي في المدينة. كما أن حائط القبلة للجامع، إذا بني بالتوجيه الصحيح نحو مكة، فينبغي أن ينحرف قليلا إلى الغرب، وربما أثّر هذا الانحراف على اتجاهات باقي المباني والطرقات.

أقيمت المباني السكنية ملاصقة للطرقات وغالبا ما شملت منظومة غرف مفتوحة نحو باحة مركزية. وكشفت الحفريات جنوب الجامع الأبيض بعض المباني الرحبة، التي رصفت بالجص أو الفسيفساء. هذه المباني مشابهة بمخططها العام للمباني السكنية في مدينة الفسطاط في مصر. كما كشفت الحفريات باقي منشآت صناعية عديدة التي بنيت بجوار المباني.

وظهرت في عدد من الحفريات أكوام من حطام الأواني الفخارية ذات أشكال مشوهة وقوالب لصناعة الفخار – دلالة على وجود أفران الإنتاج الأواني الفخارية التي انتشرت في المدينة القديمة. وظهرت دلائل لتصنيع المعادن في الحفريات التي أجريت شمال الجامع الأبيض.

كما اكتشف في حفريات مختلفة العديد من منشآت مكسوة بالجص، ولم تتضح ماهيتها، فربما كانت مرتبطة بصناعة صبغ الأقمشة التي اشتهرت بها الرملة. لكن لم تكشف حتى اليوم مصبغة كاملة، ولا يمكن التعرف على مراحل إنتاج هذه الصناعة.

خلافا لما هو مألوف في المدن الرئيسية من الفترة الرومانية والبيزنطية، التي اتبع فيها الانفصال بين المناطق السكنية والمباني العامة وبين المناطق الصناعية، ويمكن الملاحظة بوضوح في الرملة المنشآت الصناعية وإلى جانبها المباني السكنية، وحتى في المناطق السكنية الفاخرة. من الصعب إدراك هذا الجوار، إذ قد تشكل المنشآت الصناعية ضررا بيئيا، رغم انتشار هذه الظاهرة في منطقتنا وفي مدن أخرى من الفترة الإسلامية المبكرة. يبدو إذن أن المكتشفات الأثرية في الرملة تدعم رأي كندي، أن أحد ميزات التغيير المدني في الفترة الإسلامية المبكرة هو عدم وضوح الحدود بين المناطق السكنية ومناطق التجارة والصناعة.

إن مسألة موقع المسجد المركزي في الرملة وإلى جانبه القصر و"دار الصباغين"، غير واضحة للتأكيد بعد. ووفقا للمصادر، لا شك بأن المجمع العمومي كان في وسط المدينة. وفعلا، بموجب انتشار البقايا الأثرية، التي تدل على حدود المدينة، فإن الجامع الأبيض كان كما يبدو في وسط الرملة القديمة. وذلك بحسب الموقع المركزي للمجمع وعلاقته بحدود منطقة المباني في المدينة، يمكن الافتراض أنه أقيمت في هذه المنطقة المباني العامة الأخرى للمدينة القديمة. وقد دمرت هذه كليا بالزلزال القوي في القرن الحادي عشر، وسلبت حجارتها واختلطت بالبناء في أماكن أخرى. أجزاء من كتل الجدران المبنية بالحجر المصقول،

والتي عثر عليها في هذه المنطقة قد تشير إلى وجود المباني الفخمة، لكن الأمر غير واضح بعد.

يظهر دليل آخر لمخطط الرملة القديمة بمجمع المدافن وشواهد القبور التي عثر عليها في ضواحي المدينة. على الرغم من عدم حفر أي قبر بعد من القبور التي كشفت في المدينة، وبموجب شواهد القبور من الفترة الإسلامية المبكرة، والتي عثر عليها باستخدام ثانوي في أماكن متنوعة، يمكن تحديد موقع المدافن البلدية تقريبا: إذ أقيمت خارج نطاق المدينة، وانتشرت في مساحة واسعة، ما يؤكد على استخدامها باستمرار طيلة الفترة الإسلامية المبكرة.

تتيح نتائج الحفريات الجديدة الحصول على معلومات حول حجم الرملة القديمة. ويشير المقدسي إلى أن مساحة المدينة كانت "ميل على ميل"، ووفقا للحسابات المختلفة، فإن طول الميل في الفترة الإسلامية المبكرة هو 1.5 – 2.5 كم. كما تشير المعطيات الأثرية من الحفريات الجديدة إلى أن مساحة المدينة المبنية بلغت 3×2.5 كم.

أحد المواضيع المجهولة في مخطط المدينة القديمة هو موقع ومسار سور المدينة. وتدل الأوصاف التاريخية على أن سور المدينة هو من بين المميزات البارزة في الرملة، لكن لم يكشف بعد عن أي أثر لها رغم الحفريات العديدة. لا يزال موقع الأسوار بمثابة لغز وليس لنا سوى الأمنية أن تكشف إحدى الحفريات المستقبلية دلائل لمكانها.

مصادر التخطيط البلدي للرملة وتطورها

ما هو المصدر المعماري للتخطيط البلدي في الرملة؟ أثارت نتائج الحفريات الحديثة مجالا للشك بالمقاربة التي أجريت في الدراسة بين الرملة وبين عنجر في سهل البقاع اللبناني. ورغم إقامة البلدين، وفقا للمصادر التاريخية في نفس السنوات بالضبط، فإننا نجد ميزات مغايرة تماما. إن الرملة هي مدينة كبيرة، وتنتشر على مساحة واسعة، وميزتها البارزة هي شبكة الطرقات المتعامدة والمتقاطعة والبناء الخاص الفسيح. بينما بنيت عنجر بمخطط المناطق المحددة والمحصنة في الفترة الأموية، وتبلغ مساحتها عُشر مساحة الرملة، وتشمل شارعين متقاطعين وبجانبهما المباني العامة الفخمة.

إن التخطيط البلدي التعامدي المعتمد على شبكة طرقات متقاطعة كان قائما في مدن أخرى في البلاد في الفترة الإسلامية المبكرة – مثلا قيسارية، يوكنعام وطبريا – لكن يبدو أنه في هذه المواقع هو صدى للتخطيط البلدي من الفترة البيزنطية. بينما في الرملة يعكس التخطيط البلدي، الذي يشمل البناء العام، البناء الخاص، والمباني الصناعية، تقاليد البناء الجديدة، التي لا تستلهم وحيا تخطيطيا من مدن الفترة البيزنطية. ويبدو لذلك أنه ينبغي قبول رأي فيتكومب بون ولوز، أن الرملة القديمة كانت نتاجا بلديا جديدا في فلسطين.

وفقا للمكتشفات الأثرية فقد تكونت المدينة الحديثة تطورت تدريجيا. والمكتشفات التي يمكن الاعتماد عليها بوضوح قليلة، ولم يعثر في أي موقع على أي مبنى كامل واحد، الذي يمكن تحديد تأريخه بالتأكيد في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي. يمكن الافتراض أن المدينة في بداية عهدها كانت صغيرة وشملت بعض المباني العامة، بينما المباني الفخمة الخاصة في الرملة تطورت في فترة متأخرة فقط. وقد تكون قلة المكتشفات ناجمة عن هدم الجدران القديمة وإزالتها من المباني الضخمة للمدينة في المراحل التالية – في القرون التاسع – الحادي عشر للميلاد.

إن البقايا المعمارية القديمة ذات الأهمية والتي اكتشفت في الحفريات تم تحديد تأريخها إلى نهاية القرن الثامن ومطلع التاسع للميلاد. وقد أقيم حينها مبنيان في منطقة شمالي الجامع الأبيض وتحيطهما مساحات شاسعة التي استخدمت للبساتين أو الحقول. وتظهر ذات الصورة من الحفريات في شارع ماركوس، حيث عثر على بقايا عدة منازل سكنية، وجنوب الجامع الأبيض، حيث عثر على المنازل السكنية الواسعة من هذه الفترة – وقد شمل أحدهما بالأقل على أرضية فسيفساء ملونة – وإلى جانبهما منشآت صناعية وصهاريج مياه عديدة.

بلغت ذروة الاستيطان المدني في الرملة في القرنين العاشر والحادي عشر. وعثر في كافة الحفريات التي أجريت في المدينة على بقايا المباني السكنية، المنشآت الصناعية ونظام واسع لقنوات المياه من هذه الفترة. وظهر في التنقيبات التي أجريت جنوب الجامع الأبيض شبكة مكتظة من المباني السكنية والمتداخلة في المناطق الصناعية وصهاريج المياه. واكتشفت أرضية فسيفساء ملونة في مبنيين. تميّزت طريقة البناء في هذه الفترة بما يلي: أولا حفروا قنوات أساسية ووضعوا في جوفها طبقة رملية، وفوقها بنيت الجدران من الحجر أو الطوب.

ووفقا للنتائج الأثرية في كافة الحفريات التي أجريت في الرملة، يبدو أن الاستيطان توقف فجأة، في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وكما يبدو فإن ذلك جاء نتيجة للزلازل القوية المدمرة التي ضربت المدينة. لا نجد أي مكتشفات مهمة في المناطق الجنوبية والغربية للمدينة، متأخرة أكثر من منتصف القرن الحادي عشر، ويبدو أيضا أن المباني الفخمة التي كانت قائمة لحقها الدمار الكلي ونهبت حجارتها حتى الأساس. ظهرت مكتشفات الفترة الصليبية، المملوكية والعثمانية فقط في مناطق المدينة القديمة بأيامنا.

إن المشكلة المركزية في كافة الحفريات التي أجريت حتى اليوم في الرملة هي قلة المكتشفات الأثرية وحالة الحفظ الرديئة للجدران. على عكس المدن الأخرى، فإن الرملة في الفترة الإسلامية المبكرة امتدت عمليا فوق سطح الأرض: بعد الدمار الكلي الذي لحق بالمدينة، سلبت حجارة المباني كلها. البقايا الوحيدة التي يمكننا تعقب مخططات العمارة للمباني هي أساسات المباني وقنوات النهب التي حفرت من أجل إخراج حجارة الجدران. واكتشفت في أماكن قليلة فقط أجزاء من الجدران التي تتيح الاطلاع على طبيعة البناء. لكن وفرة المكتشفات من الأواني الفخارية، الزجاج والمعدن تعتبر تعويضا عن قلة المكتشفات الأثرية، وهي تؤكد ازهار المدينة القديمة.

تلخيص

تضيف الحفريات الواسعة التي أجريت في الرملة في السنوات الأخيرة عناصر متعددة الأهمية للفسيفساء الضخمة التي نتعلم منها عن طابع المدينة القديمة، الكامنة كلها تحت الرملة الحديثة. وإن الرملة التي بنيت كمدينة دقيقة التخطيط تبرز بمكتشفاتها الأثرية. يبدو أنها كسائر المدن الأخرى في الفترة الإسلامية المبكرة، فقد أقيمت الرملة كتحفة مدنية وعمرانية جديدة بجوار مستوطنة مركزية قديمة من الفترة البيزنطية – مدينة اللد. إن المخطط الطبقي للمباني السكنية والمساحات العامة حفظت طيلة فترة وجود المدينة، رغم أن المباني اجتازت تغييرات متعددة، بعضها بسبب إضافات البناء وبعضها بسبب الدمار وتجديد البناء. ووفقا للنتائج الأثرية من الحفريات الأخيرة، يبدو أنه لا يمكننا مقاربة المخطط المعماري للرملة بمخططات المركز الأموي في عنجر في لبنان أو مخططات مواقع أخرى من الفترة الأموية. وكذلك المقارنة بمدن مركزية أخرى والتي بنيت في الفترة الإسلامية المبكرة غير واردة بالحسبان. وقد بنيت مدينة الفسطاط مثلا بموجب مبادئ معمارية مغايرة لما استخدمت في الرملة، التي تفتقر إلى التخطيط الطبقي المنظم، بل هي نموذج لأحياء لا ترتبط بالضرورة بعضها ببعض، وربما بنيت اعتمادا على تقسيمات قبلية قديمة. ويبدو أنه يجب اعتبار الرملة في القرون الثامن - الحادي عشر للميلاد تحفة تخطيط مدنية أصيلة، وليس ثمرة نموذج معماري استقى إيحاءه من تقاليد التخطيط والبناء القديمة، والمتبعة في البلاد. ورغم حفظ البقايا المدنية من الفترة الإسلامية المبكرة التي كشفت في الرملة رديء جدا، وتعذر حفظ معظمها وعرضها للجمهور، فلا شك بأن المكتشفات الأثرية الغنية التي ظهرت في الحفريات هي دلالة واضحة على ازدهار وثراء الرملة القديمة.

المآذن الثلاث في الرملة

دكتورة كاتيا تسيترين، معهد الآثار وقسم الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية
الجامعة العبرية في القدس

مقدمة

مئذنة المسجد الأبيض في الرملة هي من أبرز رموز المدينة التي بُنيت عام 1318 ميلادي، في عهد السلطان المملوكي الثالث الناصر محمد بن قلاوون (1310-1340) والتي لا تزال قائمة حتى يومنا هذا. جذبت المئذنة المربعة الواقعة وسط الجدار الشمالي للجامع الأبيض، انتباه الحجاج من جميع الأديان. وكتب المؤرّخ المقدسي الشهير مجير الدين عام 1496: "وفيه (في المسجد) بنى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون مئذنة وهي من عجائب الدنيا في شكلها وارتفاعها، وذكرها المسافرون أنها من الأمور التي لا مثيل لها".
لم تكن هذه المئذنة منفردة في المدينة، بل ارتفعت في السماء مئذنتان أخريان: الأولى التي أضافها السلطان بيبرس إلى المسجد الأبيض عام 1268، ومئذنة أخرى للناصر محمد التي بنيت فوق الجامع الكبير (الكنيسة الصليبية التي تمّ تحويلها منذ عام 1296 في عهد السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري التركي المغلي). وسنركز في هذه المقالة على المئذنة التي ترتفع فوق المسجد الأبيض حتى يومنا هذا (الشكل 1).

وصف المئذنة في المسجد الأبيض

منذ العصور الوسطى، عرفت المئذنة في المسجد الأبيض باسم "برج الأربعين". هذا اللقب ذو مصدرين، أحدهما إسلامي والآخر مسيحي. بالنسبة للمسلمين، فإن "الأربعين" تشير إلى الصحابة الأربعين للرسول. وابتداءً من القرن السادس عشر، انتشر الاعتقاد بين المسيحيين أن أربعين شهيدًا قد عُذبوا من سبسطية ودفنوا في هذا المسجد.
أُعدّ التقارير المهنية الأولى عن المئذنة في السبعينيات من القرن التاسع عشر، أعضاء الصندوق البريطاني (SWP) وكليرمون جنو. وأجروا الأثرين مئير بن دوف،

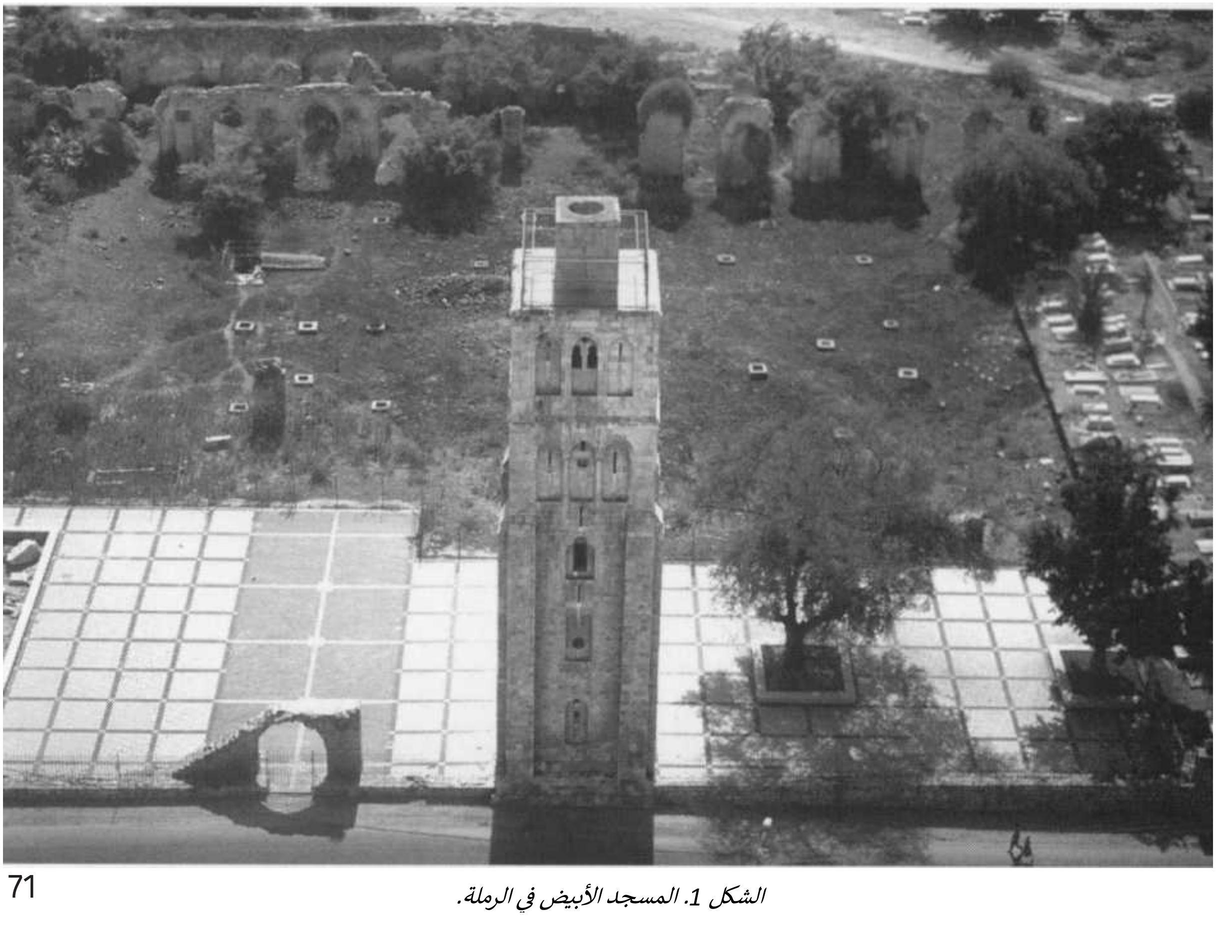

الشكل 1. المسجد الأبيض في الرملة.

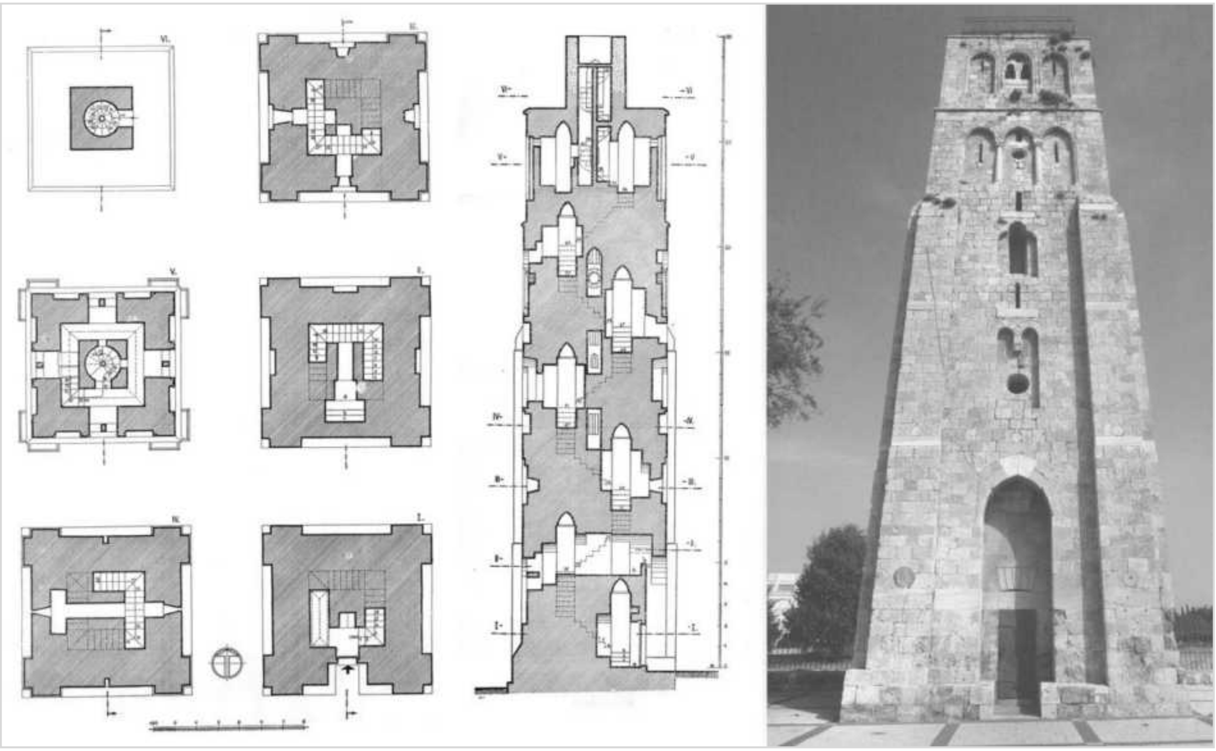

الشكل 2. مئذنة المسجد الأبيض، قاطع لكل ارتفاعها.

فينكرفيلد وهيرشبرغ أول توثيق تفصيلي للمئذنة، قبيل نشر كتاب "المباني الدينية" للمسلمين في الدولة، الذي صدر عام 1950. نقب المهندس وعالم الآثار يعقوب كابلان في المسجد في وقت سابق من عام 1949، وفحص أيضًا أساسات المئذنة بغية تفقّد

الشكل 3. باب المئذنة المسجد الأبيض.

مراحل بنائها. في عام 1984، نشر مئير بن دوف نتائج تنقيب أثري من الأعوام 1980/1979 الذي كان بمحاذات الجانب الشمالي للمسجد وأساسات المئذنة. بالإضافة إلى هذه الأعمال، أجريت دراسات قليلة أخرى التي تناولت المئذنة، ولكن بشكل مختصر عمومًا.

مئذنة المسجد الأبيض مبنية من حجارة مصقولة، بألوان تميل إلى الأصفر والأحمر. يضاف إلى هذه الألوان الناعمة استخدام الرخام الأبيض في أماكن مختلفة، أعمدة، ألواح، فقرات، باستخدام ثانوي في أغلب الحالات.

ترتفع المئذنة إلى 30 متر، وتتألف من ستة طوابق (الشكل 2). مخططها مربّعة طول كل ضلع 6.90 متر. ثماني دعامات مربعة ومدموجة عرض كل دعامة نحو متر ونصف (اثنتان على كل جانب) تدعم المئذنة على امتداد طوابقها الثلاثة الأولى، وتشكّل قاعدة لمئذنة أبعادها 7.80 متر في كل جانب. مدخل المئذنة من الجنوب، عبر بوابة داخلية، كما هو متّبع في العمارة المملوكية، وارتفاعها 5.5 متر، وبجوارها مقاعد حجرية (الشكل 3).

مقارنة بالتقسيم الخارجي للمئذنة لستة طوابق، تنقسم المساحة الداخلية إلى طوابق أكثر. فوق باب المدخل، على سبيل المثال، توجد مساحة عليا أو فراغ، يمكن من خلاله الوصول إلى فتحة على شكل شق (ربما كان بمثابة شرفات الحماية)، وفتحات لصب الزيت وإطلاق الاسهم أو الشقوق الضيقة الواقعة على الجوانب الأخرى (الشكل 4).

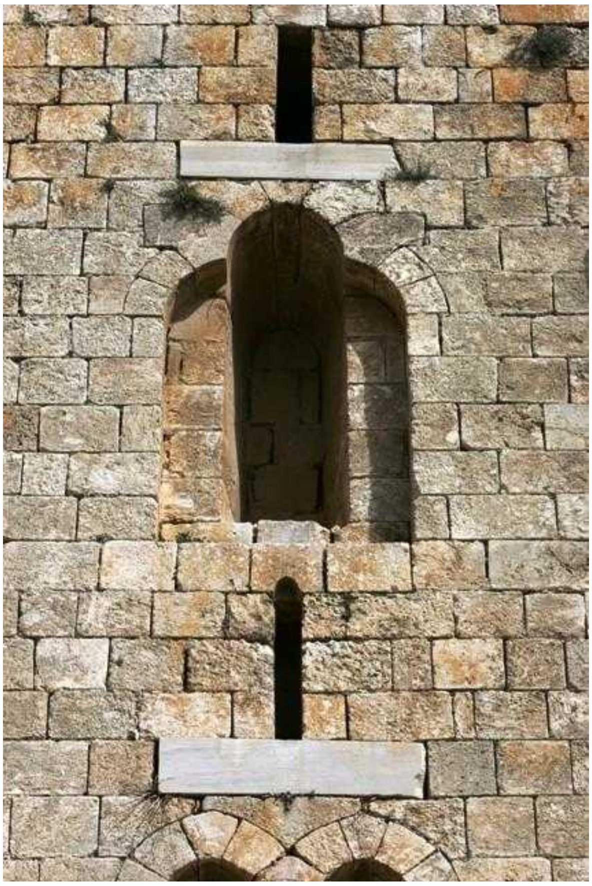

الشكل 4. فتحة للإطلاق على شكل شق.

يمكن صعود من خلال 119 درجة إلى الطوابق المئذنة المختلفة، بما في ذلك الطابق الأخير، وهو أصغر الطوابق، فوق الشرفة الخارجية. هذا الطابق غير مستعمل اليوم، بل تمّ ترميمه جزئيًا. كانت بقايا سقف المئذنة لا يزال ظاهراً، حتى بداية القرن العشرين، لكن غير مؤكد إذا كانت أصلية (الشكل 5).

تبدو المئذنة من الخارج مبنى ضخمًا ومتين إلى حدّ ما - تسهم أزواج الدعامات المربعة، المائلة في نهايتها، بإظهار شكلها الثقيل والمتين. ومع ذلك، أفلح المهندسون بجعل مظهرها يبدو خفيفا بمساعدة الزخارف المعمارية، خاصة التلاعب بالقناطر، الحنيات والنوافذ المختلفة، فيتميّز كل طابق عن سابقه.

يبرز في طراز القناطر، اختيار الأنماط التي كانت مألوفة في البلاد خلال الفترة الصليبية، والتي استمرّت حتى العصر الأيوبي والمملوكي المبكّر. ومن السمات البارزة استخدام قنطرة الوسادة (وهو عنصر بناء قد يكون من أصل أرمني، ظهر سابقًا في العمارة الفاطمية بالقاهرة) ويبرز استخدامه في الطابق الرابع، وقنطرة معقّدة في الطابق الخامس.

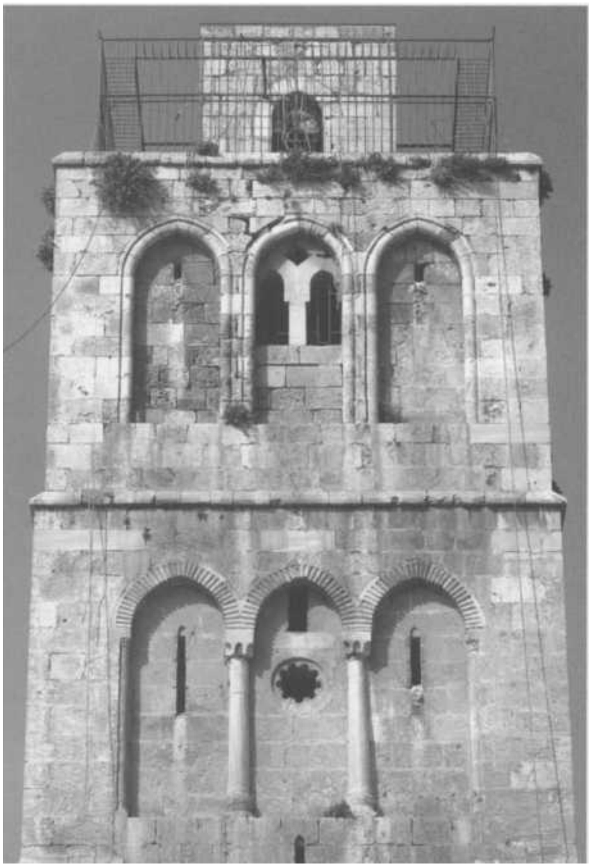

الشكل 5. الطوابق العلوية للمئذنة.

نقش بناء

يظهر فوق مدخل المئذنة نقش من ثلاثة أسطر يبلغ طوله 3.75 مترًا. نحت على ثلاث بلاطات رخامية رمادية ارتفاعها 0.6 م. يبدأ النقش بالجدار شرقي المدخل، ويستمر فوق المدخل، وينتهي في الجانب الغربي (الشكل 6).

النقش:

"بسم الله الرحمن الرحيم إنّما يعمّر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصّلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله أمر بإنشاء هذه المأذنة المباركة مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر سلطان الإسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين قاتل الكفرة والمشركين، ملك العرب والعجم، مالك رقاب الأمم حافظ بلاد الله ناصر الدنيا والدين أبو الفتح محمد بن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين

الشكل 6. نقش تأسيسي فوق مدخل المئذنة.

أدام الله أيامه، ونشر بالنصر ألويته وأعلامه. وكان الفراغ من بنائها في نصف شهر شعبان سنة ثمان عشرة وسبع مائة"

تظهر على جانبي مدخل المئذنة بدايات لنقوش غير مكتملة. يفترض أن تكتب هذه النقوش على شكل ميدالية مستديرة. على يمين المدخل ميدالية منحوتة جزئياً، وفي الجزء الأعلى زخرفة نباتية، ونقش تحتها سطران، بما في ذلك الشهادة، ومقطع من الآية 33 من سورة التوبة (الشكل 7):

لا إله الّا الله محمد ر

سول الله ارسله بالهدى ود [ين]...

الشكل 7. نقش على يمين مدخل المئذنة.

ويظهر إلى اليسار سطر واحد، يبدو أن الكاتب لم يتمكن من حفر الزخرفة فوقه. وجاء في السطر المقطوع (الشكل 8):

وكانت عمارة هذه المأذ[نة]...

الشكل 8. نقش على يسار مدخل المئذنة.

البيانات الأثرية

تقع مئذنة المسجد الأبيض على محور المحراب غرب المدخل الذي بُني لاحقًا للمسجد. أصبح مكان المئذنة على المحور ممكنًا لأنه أثناء بناء المئذنة، لم يكن دخول المسجد مقابل القِبلة، بل استمرّ نحو الجانب الشرقي، كما كان في مخطط المسجد الأصلي.

استنتج بن دوف في اختباراته الأثرية عام 80/1979، أن المدخل الشمالي لم يستخدم كمدخل للمسجد في أيام المماليك، ولكنه كان فتحة لمبنى قبر مزدوج، ربما من الفترة العثمانية، حين كان الجدار مهدما.

إضافة إلى ذلك، أكّدت نتائج التنقيبات بمحاذات جدار المسجد الشمالي أن هذا الجدار قد بني فوق جدار أساس المئذنة. لذلك، يبدو أن المئذنة انتصبت لوحدها لبعض الوقت في المنطقة الشمالية من المسجد، أو أن الجدار شُيِّد فور بدء بناء المئذنة. إذا كان التحليل الأثري لبن دوف صحيحًا، فيحتمل أن بناء الجدار الشمالي تمّ بعد عام 1318، وليس قبله.

أوضحت الاكتشافات الأثرية نظرة هامّة أخرى - لا توجد بقايا لمئذنة قديمة في منطقة الجدار الشمالي، والتي يمكن لبنّائي الناصر محمد إقامة المئذنة الجديدة. إذًا أن بُنيت المئذنة التي أضاف عليها بيبرس قبة عام 1268، كما يتضح من نقش اكتشف بالقرب من الرواق الغربي:

"بسم الله الرحمن الرحيم إنّما يعمّر مساجد الله من آمن [...] بالله واليوم الآخر. ولمّا أراد الله جلّ جلاله انفاذ حكمه لما سبق في علمه أذن لعبده [الفقير]

المتوكّل عليه والآئب في أموره عليه، المجاهد في سبيله الناصر لدين نبيّه وحبيبه وخليله السلطان الأجلّ الكبير المجاهد المرابط المثاغر الغاز(ى) ركن الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسـ[لمين]

بيبرس بن عبد الله قسيم أمير المؤمنين أمتع الله ببقائه فخرج بجيشه المنصور في العاشر من [شه]ر رجب الفرد من الديار المصريّة عاقدا نيّة الجهاد غازيا أهل الشرك والعناد فنزل بثغر يافا بكرة النهار وفتحها بإذن الله في ثالث ساعة [منه]
ثمّ أمر بإنشاء هذه القبّة فوق المنارة المباركة وهذا الباب على الجامع المبارك على يد العبد الفقير ال[...] [سنة ستّ وستّين] وستّمئة غفر الله له ولوالديه ولجميع المس [لمين]"

وبحسب النقش الموجود عند مدخل الجامع الكبير (الجامع العمري)، فإن السلطان بيبرس "أمر بإقامة هذه القبّة فوق هذه المئذنة المباركة وبوابة هذا المسجد". في نهاية القرن الخامس عشر، كتب مجير الدين أن بيبرس أمر ببناء القبّة فوق المحراب والبوابة التي أمامه. وأضاف أيضًا وكتب أن بيبرس هو الذي أمر بإقامة المئذنة، التي كانت موجودة حتى في أيامه، بدلاً من القديمة المهدّمة. يثير هذا الوصف لمجير الدين بعض الأفكار، خاصة أن حقيقة المئذنة التي كانت قائمَة في ذلك الوقت هي الموجودة في يومنا هذا. لا يُعقل أن يخلط مجير الدين بين مشروع بيبرس ومشروع الناصر محمد، لأنه يذكر صراحة في ربطه مئذنة الناصر محمد كواحد من عجائب الدنيا. وعليه، ربما كانت هناك مئذنة أخرى في المبنى. على أي حال، من الصعب الموافقة على رأي غات، الذي أرفق هذين المصدرين للمعلومات - مجير الدين – وخلُص إلى أن المئذنة، التي رمّمها بيبرس، كانت فوق المحراب.

برج عسكري؟

تساعد قراءة النقش وإعادة النظر في المئذنة على فهم المبنى وتوضيح بعض القضايا التي أثيرت على مرّ السنين. أولاً، موضوع دور البرج - ديني أم عسكري؟
إن الإشارة إلى النقش الموجود فوق البوابة وذلك الموجود في الميدالية اليسرى تشير بوضوح أن هذه هي مئذنة، الذي يُرفع منها الأذان والدعوة للصلاة.
رغم أن تصميم المئذنة يعطي انطباعًا دفاعيًا، لكن يمكن القول إنه باستثناء فتحات الإطلاق فوق بوابة المدخل، والذي يذكّرنا بالفتحات والشقوق الدفاعية، كتلك التي فوق بوابة خان يونس، فإن جميع العناصر الأخرى تظهر أيضًا في المباني الدينية والعلمانية، ليس دائمًا بالمستويات المتاحة. ينبغي في كثير من الحالات، تفسير فتحات الإطلاق على أنها فتحات للضوء والتهوية، وليست بالضرورة فتحات لإطلاق الأسهم. الفتحات الضيقة من الخارج والواسعة من الداخل هي استجابة مناسبة لتغيير المناخ وتنظيم الإضاءة، دون كشف المبنى بما يتجاوز المرغوب فيه.
كما أنه لا ينبغي بالضرورة تفسير الدعامات في الجدران، والتي تساهم في المظهر المحصّن على أنها دفاعية، ولكن كحاجة هيكلية من جهة، أو عنصر جمالي من جهة أخرى.

وفي نفس الوقت لا يُستبعد أن تكون التجهيزات المسبقة للمئذنة في الرملة ذات المساحة العلوية فوق طابق المدخل، وفتحات الإطلاق فوق البوابة، نتجت عن رؤية البنائين وقدرة المبنى الدفاعية عند

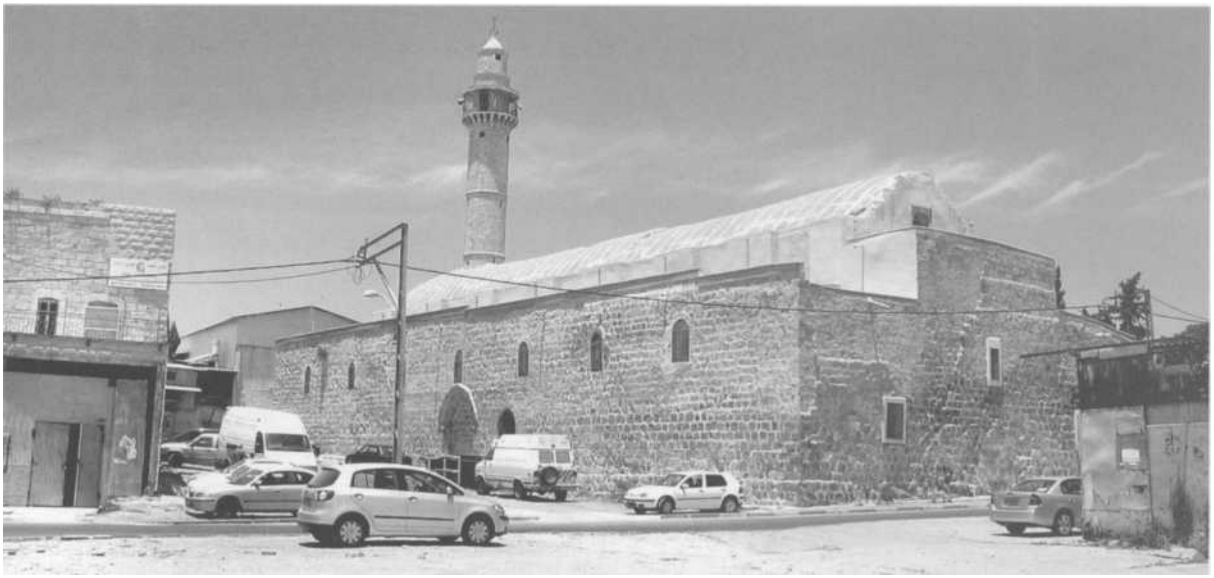

الشكل 9. المسجد الكبير بالرملة.

الحاجة.
كما يجب أن يُنظر إلى هذه المئذنة، كما في سائر المآذن التي تستخدم على نطاق واسع، واقتنصت من أصل صليبي مثل الأعمدة الرخامية والتيجان والقناطر وغيرها، كرمز لانتصار الإسلام على المسيحية.

من بنى المئذنة للناصر محمد؟

يظهر في نقش البناء فوق مدخل المئذنة، اسم صاحب الرعاية وتاريخ الانتهاء من البناء. وفي الوقت ذاته لم يُذكر من كان مسؤولا عن البناء، على عكس نقوش أخرى من فترة الناصر محمد، مثل تلك التي كانت فوق مدخل مئذنة الجامع الكبير (الجامع العمري; الشكل 9)، والتي شاهدوها أيضًا أعضاء الصندوق البريطاني في أواخر القرن التاسع عشر في موضعها لأصلي. واليوم، تمّ تثبيت هذا النقش فوق البوابة الصليبية من جهة الغرب، لكن سطرين عموديين مفقودان على اليمين، حيث فيهم ظهرت أسماء المشرفين والمخطّط (الشكل 10).

الشكل 10. مدخل المسجد الكبير بالرملة.

نصّ النقش كاملا كما قرأها وايت على النحو التالي (الشكل 11):
"بسم الله الرحمن الرحيم. صلاة الله على سيّدنا (نبيّنا) محمد. بنيت هذه المئذنة المباركة من جديد في العهد الزاهر لسلطان المملوكية الناصرية (سلالة الناصر محمد بن قلاوون)، حامي هذا العالم والدين، أبو الفتح محمد نجل السلطان الشهيد الملك منصور قلاوون - أطال الله حكمه على الإسلام – بمندوبية حضرة علم الدين الجولي، في عهد حسن بن الياس السلاوي [السين غير واضحة] – المحتاج إلى الله تعالى - خلال أشهر سنة 714 هـ (1314 م)، وتحت الإشراف المباشر ليعقوب الشاوري - المحتاج الله تعالى - أعدّ برسم أحمد بن الياس عن المحتاج إلى الله محمد بن وزير العدوي – يغفر الله لهم جميعا!"

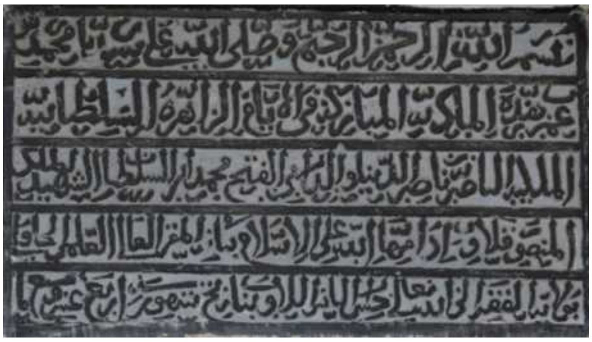

الشكل 11. نقش بناء مئذنة الناصر محمد في المسجد الكبير بالرملة.

إذن، مئذنة الجامع الكبير، التي كانت كنيسة صليبية من القرن الثاني عشر، التي حوّلها بيبرس إلى مسجد (وبعضهم يحيلها إلى العصر الأيوبي)، سبقت مئذنة المسجد الأبيض بأربع سنوات. تعتبر المئذنة اليوم عصرية، بعد تجديدها في أوائل القرن العشرين. كتب كليرمون جنو في كتابه الدراسات الأثرية في فلسطين بين الأعوام 1873-1874 ما يلي (بالإنجليزية):
"كان من المفترض أن تكون المئذنة هي برج الجرس القديم للصليبيين. الأمر ممكن؛ القنطرة الرئيسية فوق الباب، مع مفصل الرأسي في الوسط، يجب أن يكون من العصور الوسطى في موادّه، إن لم يكن في الترتيب أو إعادة الترتيب، ولكن على أي حال، يجب أن يكون قد أعيد بناء برج الجرس هذا، على الأقل جزئيًا، بواسطة المسلمين. في الواقع، لقد لاحظت فوق الباب تاريخًا عربيًا، والذي أغفل للأسف نسخه بالكامل، قائلين إن هذه المئذنة بنيت عام 714 (= 1314 ميلادي)، في عهد السلطان ناصر الدين والدنيا محمد بن الملك المنصور قلاوون. ربما يجب أن نشير

إلى أن هذه الحقبة اتّسمت بتشويه النقش المنحوت فوق الباب".
هكذا يصف كليرمون جنو المئذنة الأصلية للمسجد الكبير، الذي كان مدخله من خلال سطح الكنيسة. على بابه دمجت عناصر معمارية مزخرفة ذات أصول مسيحية، وكذلك النقش الذي نحن بصدده. مشيرًا إلى أن المئذنة تشبه برج الجرس، وربما كان من بقايا الكنيسة الصليبية، ألمح الباحث الفرنسي إلى شكله، الذي لم يتم توثيقه في كتب الآثار والفنون.
يظهر في نقش ناتالي بونيفاسيو دالماتا، في وصف رحلة الحاج للإيطالي جيوفاني زوالاردو من نهاية القرن السادس عشر، بالإضافة إلى يوميات سفر مسيحيين آخرين، وصف مدينة الرملة، مع رسم تخطيطي للمسجد الكبير. ويظهر فوقه برج يشبه تقريبًا مئذنة المسجد الأبيض. نرى هنا أيضًا الطوابق ذات النوافذ ودعامات الزوايا والطابق الأخير بدون شرفة ويبدو أنها هدمت جزئيًا. هل خلط الرسام الإيطالي بين الجامع الكبير والمسجد الأبيض؟
لحسن الحظ، تساعدنا صورة من بداية القرن العشرين في فهم لوحة ناتالي. وفقًا لهذه الصورة، التي يمكننا فيها رؤية المئذنة المملوكية بوضوح فوق الجامع الكبير، كان شكلها مشابهًا جدًا لتلك التي على المسجد الأبيض! مخطّطها مربع، في كل ركن دعامة بختام مائل وطابق أخير مع شرفة.
حسنًا، نحن نواجه بعض الحقائق:

1. تفصل أربع سنوات فقط بين مئذنتي الناصر محمد في الرملة.
2. كان والي المملكة في تلك الأيام علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي، الذي نعرفه من البناء في القدس والخليل وغزة، وبناء الخانات على الطرق، وربما في اللد أيضًا.
3. أسماء المسؤولين مباشرة عن بناء المئذنة عام 1314 معروفة في النقش. أيكونون مسؤولين أيضًا عن مئذنة المسجد الأبيض؟

كان سنجر الجاولي واليًا على غزة، وناظرًا على الأماكن المقدسة في القدس والخليل (ناظر الحرمين) بين الأعوام 1313/712 و1320/720، وهو العام الذي سُجن فيه بأمر السلطان. أُفرج عنه فقط في عام 1328، ولكن يبدو أنه لم يعد إلى منصبه السابق واليًا على غزة، ولكن تمّ تعيينه واليًا لمدينة حماة في سوريا. وفقا للتشابه الظاهر بين المئذنتين في الرملة، وكذلك حسب سنوات بنائهما في فترة ولايته ومحي المداليات الجانبية.

ملخص

تعتبر مئذنتين الناصر محمد بن قلاوون في الرملة مثالاً لأسلوب معماري ميّز لفترة طويلة نسبيًا، من انتصار الأيوبيين على الصليبيين في قرون حطّين (1187) إلى العصر المملوكي، وعلى الأقل حتى القرن الرابع عشر (فترة الناصر محمد). استمر البناؤون المحليون في نهج البناء هذا باستخدام الأساليب التي تجذّرت في بلادنا خلال الفترة الصليبية (1099-1187، منطقة الساحل الشمالي حتى عام 1291)، بأسلمة العناصر المختلفة واستخدامٍ على نطاق واسع لمركّبات المباني المسيحية المهدمة.
على الرغم من ضخامة المئذنتين في الرملة (أعيد بناء المئذنة في الجامع الكبير حسب نموذج مئذنة المسجد الأبيض)، لم يكن هدفهما الأساسي دفاعيًا، بل دينيًا - فقد تمّ استخدامهما كأبراج للآذان، للدعوة إلى الصلاة. بالإضافة إلى تفسير بناء مئذنتين عاليتان (يصل ارتفاعها الى حوالي 30 متراً)، وتظهران من جميع الجهات، على أنهما رمز للنصر والهيمنة.
إن دراسة تفاصيل مئذنة المسجد الأبيض، وخاصة مضامين النقوش في المسجدين، تتيح لنا متابعة عمليات الرعاية السلطانية في مدينة مركزية في جنوب بلاد الشام، وسير أعمال والي غزة سنجر الجاولي.

اثنا عشر موسم تنقيب أثري في وسط مدينة طبرية القديمة

دكتورة كاتيا تسيترين، معهد الآثار وقسم الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية
الجامعة العبرية في القدس

تجرى منذ عام 2009 في وسط مدينة طبرية القديمة، تنقيبات أثرية من قبل معهد آثار الجامعة العبرية بإشراف كاتبة هذه السطور. تتركز التنقيبات بين سفح جبل برنيكي وبين شواطئ البحيرة. وتمحور المشروع على مدار المواسم بالكشف عن مسجد طبرية الكبير وأقسامه، والذي كان يُعرف عن طريق الخطأ سابقًا باسم "السوق البيزنطية"، بالإضافة إلى التنقيب في مناطق حول هذا المبنى الضخم، بما في ذلك شارع الأعمدة ومحوره شمال - جنوب (الكاردو) المار غربي المسجد، والكنيسة البيزنطية الواقعة شمال المسجد، وحي سكني جنوب المسجد، ومبنى له علاقة بصناعة السكر من الحقبة الصليبية في منطقة المسجد، ومقبرة مسيحية من الفترة الصليبية واقعة غرب جدار المسجد وفوق حوانيت الكاردو، وحنية ربما لكنيسة صغيرة (كابيلا) من الفترة الصليبية (الشكل 1).

المسجد

كُشف أثناء التنقيبات الاختبارية التي أجراها راباني بين عامي 1952 و1959، عن جزء من مبنى دعامات عرضية مع فناء في وسطه، والذي فسّره الأثري بأنه سوق بيزنطي مسقوف، وربما يشطره شارع. تم تحديد هذا التعريف على مرّ السنين، وفي مقال من عام 2004 مشترك لهيرشفيلد وغالؤر أطلق على المبنى اسم "مكيلوم" أي سوق قديم، وتم تحويله إلى مسجد في الفترة الإسلامية المبكرة. يأتي هذا التفسير في الواقع للتوافق مع الاكتشافات الواسعة لبقايا السلاسل البرونزية المستخدمة لتعليق مصابيح المساجد، والتي اكتشفت منذ خمسينات القرن الماضي.

بعد دراسة مخطط المبنى ومقارنته بمخطط مساجد من العصر الأموي في المدن والمواقع المختلفة في بلاد

الشكل 1. مناطق التنقيب في المشروع المتجدد للجامعة العبرية في وسط طبرية القديمة (تصوير: ديفيد سلبرمان ويوفال ندال).

الشام، ثبت أن "السوق" في الواقع هو مسجد طبرية الكبير، عاصمة جند الأردن. يمثل مخطط مسجد طبرية جيدا تخطيط "المسجد السوري" النموذجي المشابه للمسجد الكبير في دمشق، أي مبنى عرضي، يتكون عادةً من ثلاثة أروقة موازية لجدار القِبلة (اتجاه مكة المكرمة)، وفي حالة المساجد الكبيرة، فهي مشطورة برواق طولي (ترنسبت) المؤدي من المدخل إلى المحراب الرئيسي (قد يظهر في بعض المساجد أكثر من محراب واحد).

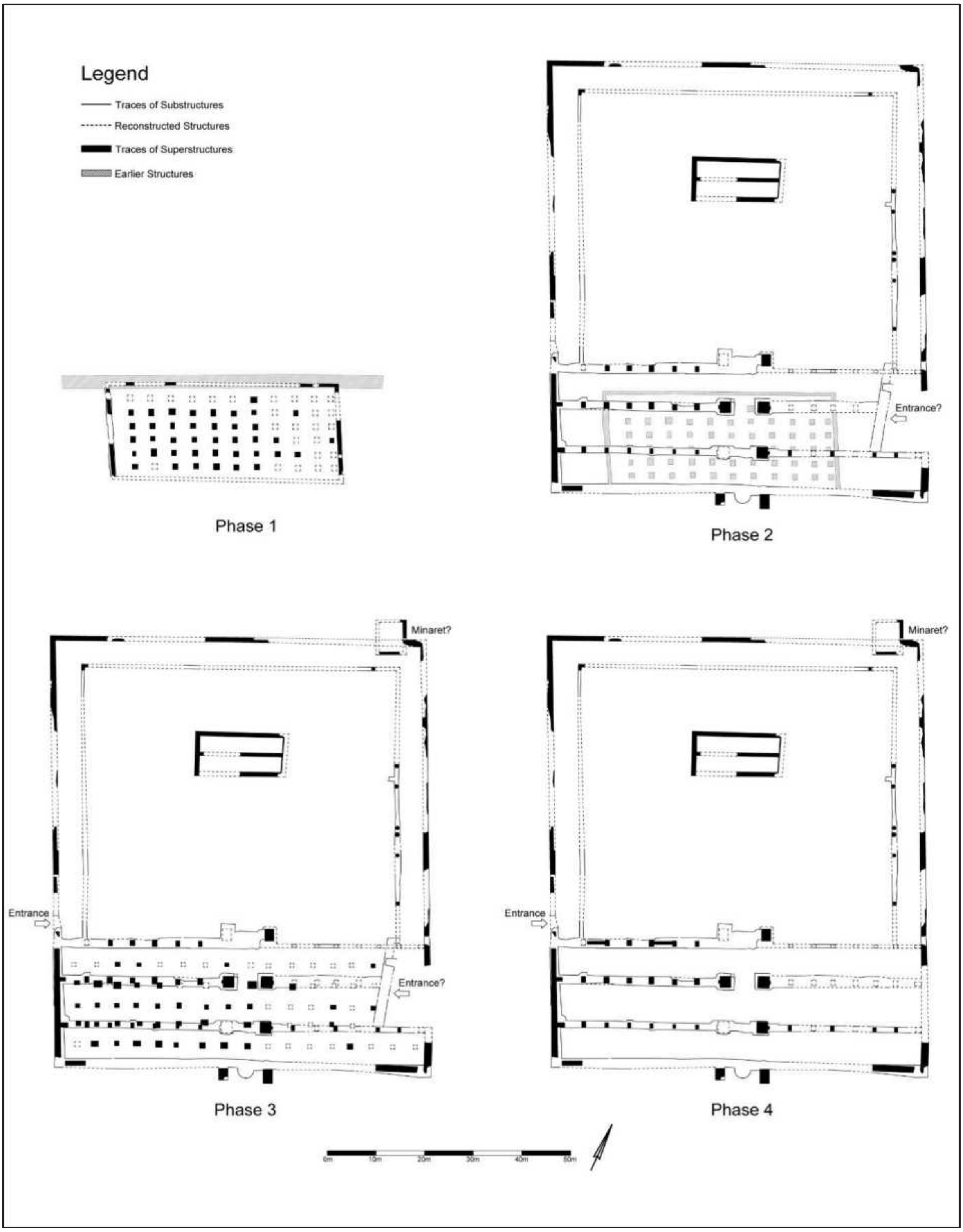

الشكل 2. مخطط مسجد طبرية في مراحل بناءه الأربع (رسم: دانيال ليفياتان).

حدد تاريخ مسجد طبرية على مدار مواسم التنقيب في ثلاث مناطق: المنطقين M1 وM6، شمال القاعة المسقوفة، M1 وكان الغرض منها الكشف عن محيط المسجد والفناء، ومنطقة M6 عبارة عن مقطع باتجاه شرق – غرب، يمر من منطقة مدخل فناء المسجد بمحاذاة القاعة المسقوفة وحتى رواق الكاردو الغربي؛ المنطقة M2، تقع في نطاق القاعة المسقوفة التي تم كشف معظم مساحتها خلال تنقيبات سنوات الخمسين؛ والمنطقة M3، تقع في الفناء أمام القاعة المسقوفة، وهدف التنقيب التعرف على المراحل المختلفة لرصف فناء المسجد (أنظر الشكل 1).

بالإضافة إلى مخطط المسجد المناسب للطراز "السوري" الأموي، فإن أبعاد القاعة المسقوفة - 78 x 26 متر - تتناسب مع أبعاد الجامع الكبير في دمشق (156 x 97 متر). بعد العثور على الركن الشمالي الغربي للمسجد في منطقة M1، حدد الطول الإجمالي (بما في ذلك الفناء الخارجي) نحو 90 متر. تبين أن مسجد طبرية يتناسب مع المساجد في قصر الحير الشرقي (شرقي بالميرا/ تدمر - سوريا) وجرش في الأردن، كلاهما نحو 39 متر عرضًا و45 متر طول. مساحة هذه المساجد تبلغ ربع مساحة مسجد طبرية، ويمكن الاستدلال على أن المخططين أشاروا في فترة معينة إلى مكانة المدن بموجب كبر مساجدها. يحتمل أن هذه هي فترة هشام بن عبد الملك (724-743 ميلادي)، والمؤرخة للمبنيين الآخرين. كما أن الكشف عن خزان مياه تحت أرضية الفناء (17 × 7.5 متر وعمقه 4 أمتار) يذكرنا بمسجد آخر فيه ثلاث خزانات مياه بنيت تحت الفناء وأبعادها متقاربة (84 × 93 متر)، والتي حسب شهادة الجغرافي المقدسي في كتابه *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* (985)، أنجز بناؤه في عهد هشام.

جدير بالذكر أن التفسير لطبقات البناء الدقيق أوضح تسلسلًا زمنيًا أكثر تعقيدًا (الشكل 2): يعكس المبنى في الواقع المرحلة الرابعة والأخيرة لبناء المسجد الكبير، الذي انهار بزلزال عام 1068. مخطط المسجد يعتمد ومطابق لمخطط المبنى الأموي (المرحلة الثانية)، حيث تم رفع مستوى جدار أساس الأعمدة (الستيلوبات) وإلغاء العناصر الهندسية التي أضيفت بعد زلزال عام 749. تاريخ هذا الترميم غير واضح تمامًا، ولكن وفقًا لاكتشافات الأواني الفخارية المزججة باللون الأصفر والأخضر مع سجرفيتو نموذجي للقرن التاسع حتى القرن الحادي عشر في نقطتين رئيسيتين - في أساس جدار المدخل من الغرب وفي الزاوية الشمالية الشرقية (والتي تضمنت على ما يبدو إضافة مئذنة) - وكذلك وفقًا لوصف المقدسي للمسجد، يبدو أمامنا بقايا ترميم المسجد من القرن التاسع، ويتوافق هذا مع التغييرات التي حدثت في بعض مساجد بلادنا مثل مسجد جرش (بما في ذلك إضافة المئذنة).

الشكل 3. باب بازلتي استخدم أساس لبناء الدعامات.

الشكل 4. صورة جوية لدعامات في النصف الغربي من المسجد.

مسجد طبرية في مرحلته الرابعة والأخيرة كان مبني من دعامات مقنطرة: بنيت هذه الدعامات في الرواقين الأماميين، فوق أبواب بازلتية باستخدام ثانوي، في الأصل تابعة لمدافن يهودية، وفي الرواق الجنوبي فوق ألواح من الحجر الجيري (الشكلين 3، 4). كانت هذه الدعامات المقنطرة تحمل سقف المسجد المكسو بالقرميد والذي انهار بزلزال عام 1068، وأغلقت طبقة الهدم المسجد ولم يجدد استخدامه حتى يومنا هذا.

عثر داخل طبقة الهدم فوق أرضية الجص الرمادي على شظايا زجاج وسلاسل برونزية التي استخدمت لتعليق مصابيح الزجاج في المسجد. يبلغ طول أطول سلسلة 7.39 مترا، وتتيح لنا بعد حساب متوسط ارتفاع الشخص والمصباح المعلق، ومعرفة ارتفاع العارضة التي تدلّت منها السلسلة والذي يصل الى حوالي 10 أمتار (الشكلين 5، 6).

الشكل 5. سلاسل برونزية استخدمت لتعليق مصابيح الزجاج.

دعمًا لتأريخ الحدث الذي أنهى استخدام المسجد، عثر تحت مسطبته على أسطوانة فضية من زمن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (1036-1094)، ويدل هذا الاكتشاف بوضوح أن المسجد هدم بزلزال عام 1068، وينفي أن يكون المسجد قد خرج من الاستخدام بعد الزلزال الذي حدث عام 1033.

إن تحديد معالم المسجد من الفترة الأموية والمراحل التي أدّت إلى هدمه مهمة لفهم المرحلة الأولى لبنائه (أنظر الشكل 2: 1). أقيم المسجد لأول مرة فوق طبقة ردم من التراب التي أحضرت إلى الموقع وأغلقت بقايا مبنى ضخم من الفترة الرومانية. عثر داخل هذه الطبقة على موجودات، وخاصة عملات كثيرة وأواني فخارية مؤرخة لمنتصف القرن السادس حتى منتصف القرن السابع الميلادي. تم بناء الصف الأول من دعامات مبنى المسجد فوق جدار من الفترة الرومانية، الذي أكمل بنائه لارتفاع واحد قبل بناء المسجد. استخدم المعماريون من أجل بناء صفوف الدعامات الأخرى، تقنية بناء لم تكن معروفة في منطقتنا حتى الفتح الإسلامي، وهي صب أساسات مستقلة في حفر عميقة غير متناظرة، ووضعوا فوقها أعمدة في استخدام ثانوي وأضيف لها عناصر معمارية لم تكن مرئية وخرسانة حتى بلغت علوا موحدا.

الشكل 6. رسم افتراضي لقاعة المسجد.

هذا النمط من البناء تسميه كاتبة هذه السطور "البناء البراغماتي للفترة الإسلامية المبكرة" حتى لو لم يكن أنيق التنفيذ، فهو رخيص وسريع وثابت (الشكل 7).

الشكل 7. أساس دعامة من الفترة الإسلامية المبكرة.

أصبحت طريقة البناء هذه مقبولة في البناء الإسلامي القديم في المنطقة، إلى جانب طريقة البناء "الكلاسيكية" بمساعدة بناء دعامات ضخمة من الحجر والخرسانة التي ينتصب فوقها بنايات ضخمة وشاهقة.

تم الكشف عن بقايا أساسات الدعامات أثناء أعمال التنقيب التي قام بها راباني، ولم يُدرَك أنها أساس لمبنى أقدم من مبنى الدعامات الكبيرة. لم يتمكن هيرشفيلد ولا غالؤر من التعامل مع جوهر هذه العناصر، واقترحوا إسنادها إلى بناء من الفترة العباسية (والذي، كما ذكرنا، اعتبر آنذاك من الفترة البيزنطية).

أتاحت تنقيباتنا إعادة فحص الطبقات الأثرية لعدد من أساسات الدعامات. واتضح أن هناك منظومتين من الدعامات، واحدة تابعة إلى مرحلة بناء المسجد الأموي، والثانية تابعة إلى مرحلة إصلاح المسجد الأموي أعقاب زلزال عام 749. حري بالذكر أن البنائين خلال تصليح المسجد استخدموا في بناء الدعامات بمركز الأروقة طريقة البناء "البراغماتية"، ربما جاءت لدعم سقف المسجد الذي تصدع بعد الزلزال (الشكل 8).

الشكل 8. منظومة الدعامات من مرحلتي بناء المسجد.

يشير النظام المبكر (المرحلة أ) من الأساسات المصبوبة من الخرسانة إلى مبنى مستطيل أو شبه منحرف قليلاً، عرضه 48 مترًا وطوله 21 مترًا، أي أنه مبنى عرضي. رغم عدم وجود أي عمود في مكانه، إلا أن بعض آثارها لا تزال مرئية على الأساسات، مما يجعل تحديد موقعهم الدقيق ممكنا. تشكل هذه الأعمدة بهو معمد (Hypostyle) يتكون من 11 رواقا طوليا و7 عرضية. كشف في عدة مقاطع عن مسطبة المسجد المبنية من طبقة الجص وأحيانًا فوقها حصى صغير (الشكل 9).

اكتشاف هذه المرحلة أمر غير عادي على الصعيد العالمي – إننا لا نعرف بقايا مساجد التي سبق تاريخها القرن الثامن، وأقدم مسجد تم كشفه حتى الآن هو مسجد الحجاج بن يوسف في الواسط في العراق والمؤرخ الى عام 703 ميلادي. ورد ذكر مساجد قديمة في المصادر التاريخية مثل: المسجد النبوي في المدينة المنورة، قبل ترميمه أيام الوليد الأول عام 707 ميلادي، ومساجد من عام 638 في مدن الأمصار البصرة والكوفة، ومسجد عمرو بن العاص في الفسطاط المؤرخ لعام 643، والمسجد الأثري لعقبة بن نافع في القيروان الذي بني بعد عام 670، وكذلك المسجد الأول في القدس الذي أقيم قبل عام 680 ميلادي.

الشكل 9. مقطع لطبقات مسطبة المسجد بمراحله المختلفة.

ليس واضح تأريخ بناء مسجد طبرية، رغم أن البلاذري (المتوفى عام 892) يذكر أن القائد شرحبيل بن حسنة فتح مدينة طبرية عام 635 ميلادي، وحدد موقع بناء المسجد، لكننا لا نعلم إذا تم ذلك على الفور بعد الفتح، خاصة أن عمرو بن العاص فتح المدينة مرة ثانية بعد فترة. إن الافتراض أنه قبل تولي الخليفة الأموي عبد الملك السلطة عام 685 كانت طبرية بالفعل عاصمة جند الأردن، وهذا يسمح لنا بالافتراض أنه تم بناء المسجد قبل هذا العام، ربما حتى في عهد الخليفة الأموي الأول معاوية (661-680)، الذي شغل منصب حاكم المنطقة منذ عام 640 ميلادي.

استيطان الفرنجة وصناعة السكر في المنطقة

لم يتم إعادة بناء المسجد وترميمه بعد انهياره، لا لتوقف الاستيطان في هذه المنطقة من طبرية، ولكن نظرا لضعف قبضة السلطة المركزية الفاطمية في منطقة سوريا وعدم توفير الظروف والتمويل. عثر في التنقيبات المحدودة في المبنى الواقع غربي شارع

الشكل 10. المبنى الصليبي الذي أقيم فوق أنقاض المسجد.

الكاردو على درهمين للخليفة الفاطمي المستنصر بالله، أحدهما يعود تاريخه إلى عام 1079 والآخر إلى عام 1087، وهذا يشير أن الحياة المدنية استمرت في هذه المنطقة حتى نهاية القرن الحادي عشر.

اكتشف في الزاوية الشمالية الغربية للمنطقةM1، بقايا مبنى من الفترة الصليبية أقيم فوق أنقاض جدران المسجد التي كانت لا تزال قائمة على أشدّها (الشكل 10). تم تحديد مستوى مسطبة المبنى الصليبي حسب ارتفاع بقايا جدران المسجد، أي نزولا بمساعدة درج في البدرون مثل المرافق تحت الأرض (صهريج مياه)، أو إضافة درج للوصول الى الأماكن التي لم يتم إزالة طبقة الهدم المتراكمة عنها وشكلت ارتفاعا أعلى.

يقع مدخل المبنى الصليبي في الزاوية الشمالية الغربية لمنطقة المسجد، نحو 25 سم فوق المدماك الأول لحائطه الشمالي، ونحو متر فوق الممر الذي محوره شرق غرب وينتهي بجدار المسجد (شكل 11). ينتصب بجانب المدخل جزء من عمود وفي الجانب الآخر حوض بازلتي. داخل المبنى، بمحاذات المدخل، منصة مرتفعة، وممر يوصل الى الغرف.

كشفت حتى الآن بجوار الجدار الغربي للمسجد عن غرفتين من المبنى الصليبي. بنيت الغرفة الأولى بعد

الشكل 11. مدخل المبنى الصليبي فوق بقايا المسجد

ملء فراغ تحت الأرض، كما يبدو صهريج مياه، الذي أغلق بسبب انهيار مسطبة الرواق الغربي للمسجد داخله، كما تحتوي الغرفة على باب في الجانب الغربي.

بنيت الغرفة الثانية داخل البدرون، وتم الوصول إليها عن طريق درج، دمج في بنائه باب حجري بازلتي كان

بالاستخدام للمرة الثالثة (الشكل 12). هذا الباب جلب من مدفن يهودي، مزين بشمعدان ذي سبعة أذرع. والسؤال: هل دمج الباب الحجري في البناء يحمل دلالة سلبية، أم أنه يشير إلى غرفة ذات وظيفة خاصة؟ في الوقت الحالي ليس لدينا إجابة واضحة، ولكن في هذه الغرفة تمت بالفعل إضافة منصة مستديرة في الزاوية الغربية، وعثر على مواقد تحت طبقة الهدم في أنحاء الغرفة. شرق هذه الغرف يوجد فناء صغير وبداخله طابونين صغيرين، وممر مرصوف بألواح بازلتية يفضي إلى غرفة أخرى.

الشكل 12. باب حجري بازلتي مزين بشمعدان ذي سبعة أذرع.

يصعب تحديد تاريخ بناء هذا المبنى، يمكن الافتراض أنه أقيم في النصف الثاني من القرن الثاني عشر وفقًا للسياق العام للموقع ووفقًا لوثيقة فرنجية من عام 1182. هذه الوثيقة متعلقة بطلب شحن منتوج السكر من طبرية إلى المستشفى في القدس. لا تثبت الوثيقة أن المقصود هذا الموقع، لكنها تشير إلى صناعة السكر المزدهرة في طبرية وضواحيها في هذه السنوات.

انهار المبنى في أوائل القرن الثالث عشر، وهو تاريخ مقبول ويعتمد على الموجودات المحمولة ومنها العملات المختلفة التي عثر عليها تحت طبقة الهدم ومنها عملات من عهد العزيز عثمان (1193-1198) والملك العادل (1196-1218)، وكذلك أواني فخارية مستوردة من قبرص، وأمفورات، أسرجة، والعديد من الأواني الفخارية المحلية وخاصة شظايا أواني خاصة بصناعة السكر (الشكل 13).

الشكل 13. أواني فخارية من المبنى الصليبي.

الشارع بمحور شمال-جنوب، من الكاردو الروماني ومتاجره حتى طريق الفرنجة والمقبرة

تم الكشف عن كاردو طبرية غرب المسجد والحمام المجاور له من الجنوب. التنقيبات في المنطقة (M6)، هدفها الكشف عن البوابة الغربية للمسجد، وعن الجانب الغربي من الكاردو، كي نتعرف على مراحل بناء الشارع وعلاقته بالمسجد (الشكل 14).

كشف عن جزء صغير من بلاط الكاردو الروماني المصنوع من الألواح البازلتية والمرتبة بشكل مائل، على غرار ما كشف منه بالقرب من بوابة المدينة الجنوبية. وكشف تحت بلاد الكاردو عن جزءً من قناة الصرف، وعثر على شظايا فخارية من القرن الثاني وهو تاريخ بناءه.

عثر على شارع عباسي مرصوفا بألواح حجرية فوق الكاردو بنحو 30 سم. وكشف غرب الشارع عن عمود من الرواق الغربي لا يزال قائما في موقعه الأصلي مقابل غرف المتاجر الذي كشف منهم عن غرفتين. وعثر في الجهة الشرقية من الشارع على درج أدى إلى مدخل جانبي للمسجد العباسي، وتم اقتلاع ألواح البازلت من الممر المؤدي إلى مدخل المسجد، وبقيت أثارها بارزة على الجص.

بناء الشارع من الفترة العباسية فوق الكاردو الروماني مباشرة، وعدم وجود شارع بينهما، يشير إلى أنه كما هو الحال عند مدخل المدينة الجنوبي، استمر الكاردو في الاستخدام خلال الفترات البيزنطية والأموية. بعد ارتفاع مستوى الشارع، كان من الضروري إنشاء مجموعة جديدة من المحلات التجارية فوق القديمة.

الشكل 14. منطقة التنقيبات M3 وشارع الكاردو الروماني.

فوق الشارع العباسي بحوالي 1.30 متر بنيت طريق جديدة مصنوعة من التراب المضغوط فوق طبقة من الحجارة الصغيرة، والتي أوصلت شمال المدينة بمبنى الفرنجة والمقبرة المسيحية. من بين الموجودات المميزة التي عثر عليها في قبور المقبرة، عملة بيزنطية مثقوبة لقسطنطين الثاني 337-361، وخيط كتان منسوج وعليه بقايا طبقتين من القماش المصنوع من الكتان والحرير، من نوع غير معروف قبل العصور الوسطى. كانت العملة موضوعة تحت هيكل عظمي لطفل يبلغ نحو سنتين أو ثلاث، ويمكن الافتراض أن العملة هي قلادة كانت فوق غطاء الجسم وفوقه الكفن (الشكل 15).

الشكل 15. عملة قسطنطين الثاني عليها بقايا قماش.

كشف عن حنية وأمامها حوض بازلتي (مثقوب في الزاوية وأغلق الثقب عمدًا) مباشرة شمالي المقبرة بجوار الجدار الغربي للمسجد. في البداية، ترك هذه الحنية انطباعًا أنها استخدم للوضوء قبل دخول المسجد، ولكن عثر تحت الأرضية التي ينتصب عليها الحوض على شظايا فخارية واضحة من القرن الثاني عشر (الشكل 16).

الكاتدرائية البيزنطية في طبرية

ساد انطباع لسنوات عديدة بأن طبرية البيزنطية استمر طابعها اليهودي، وأن السمات المسيحية المميزة مثل الكنائس لم تُبنَ بقلب المدينة حتى لا تتعارض مع النسيج المدني القائم. وأكد التنقيب في "كنيسة المرساة" على جبل بيرنيكي هذا النهج.

الشكل 16. حنية تتجه الى الشرق بمحاذات الجدار الغربي للمسجد وفي مركزها حوض، ربما كابيلا صليبية.

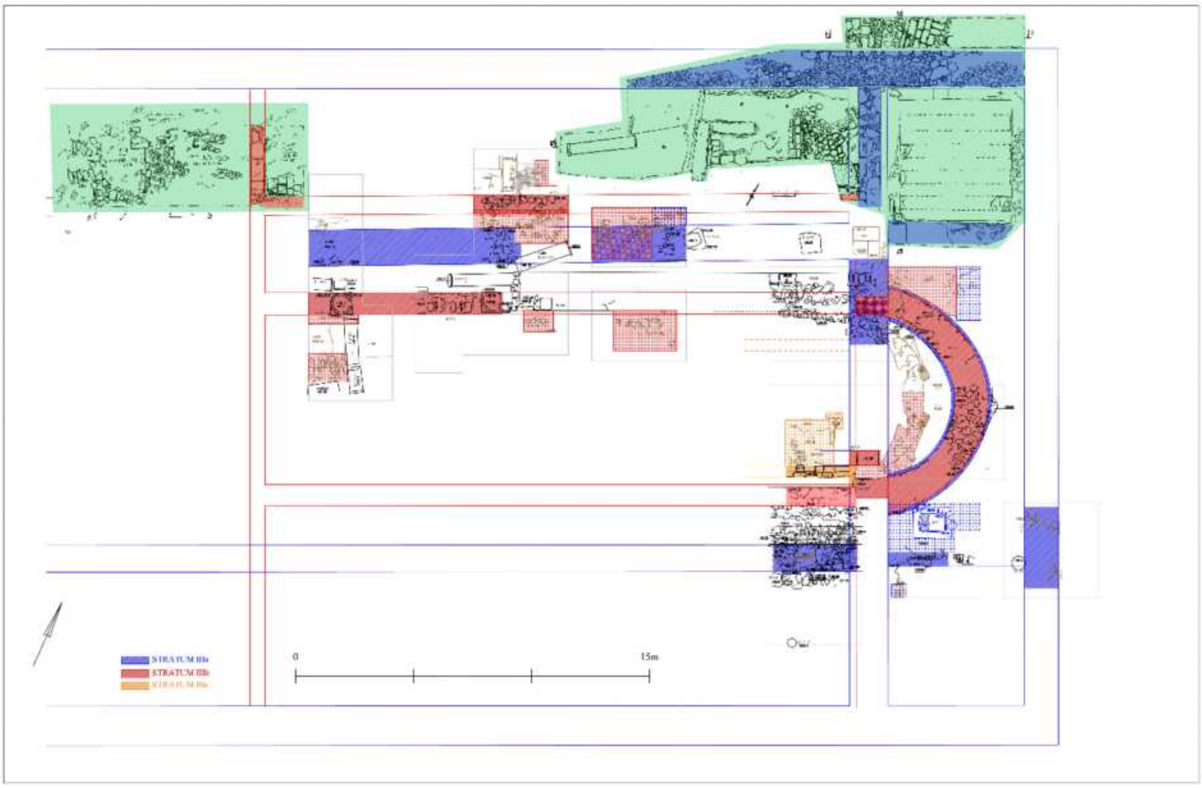

الشكل 17. مخطط الكنيسة.

كان لابد من تغيير هذا المفهوم من النقيض إلى النقيض على ضوء نتائج تنقيبات الإنقاذ التي قامت بها سلطة الآثار، وكشف عن جزء من الرواق الشمالي وردهة مدخل الكنيسة (نرتكس). أقيمت الكنيسة خلال القرن

الخامس ميلادي وذلك اعتماد على النقوش اليونانية التي تزين الفسيفساء الملون وذات الجودة العالية والمزخرف بأنماط هندسية وصلبان.

خلال عام 2011 ضمت إلى منطقة الحفريات المتجددة من قبل الجامعة العبرية (منطقة M5) بقايا الكنيسة، وجرى حتى الآن ثلاثة مواسم تنقيبات فيها. يحظى مبنى الكنيسة باهتمام كبير، لأن طبرية كانت مقر للأسقف كما ورد في المصادر، ولأن الكنيسة استمرت بالاستخدام وكان لها دورا هاما خلال الفترة الإسلامية المبكرة. تقع الكنيسة شمال المسجد ويفصل بينهما زقاق ضيق.

مخطط الكنيسة، عبارة عن مبنى بازيليكا ذات حنية واحدة (30 مترًا عرض، و40 مترًا طول بما في ذلك ردهة المدخل النرتكس)، وعرض الرواق المركزي 7 أمتار، ولم يتضح بعد امتدادها نحو شارع الكاردو (الشكل 17). يوجد بجانب الحنية (قدس الأقداس) غرفتان صغيرتين، الشمالية مرصوفة بالفسيفساء الأسود والأبيض وتحتها خزان مياه. واكتشف بين الغرفة الجنوبية والحنية حوض مبني كسيت جدرانه بالطلاء، وجواره علامات لاقتلاع منشأة ما. واكتشفت في الركن الجنوبي الغربي من الغرفة الجنوبية بقايا مسطبة فسيفساء ملونة ومزينة بأشكال متشابكة.

تمكنا من التعرف على مراحل بناء الكنيسة العديدة: المرحلة القديمة تعود إلى القرن الخامس الميلادي تكونت الكنيسة من ثلاث أروقة. أما مرحلة البناء الثانية يرجع تاريخها ربما الى عهد جستنيان (527-565) حيث قسمت أروقة الكنيسة الى قسمين. ورممت الكنيسة مرة أخرى في أوائل القرن السابع، وفقًا للعملات التي عثر عليها في أساس جدار الأعمدة (الستيلوبات) ومنها عملة فوكس (602-610). بينما تعود مرحلة البناء الأخيرة إلى الفترة الإسلامية المبكرة، ربما الى منتصف القرن العاشر، في نفس الوقت الذي نشهد فيه هجرة المنازل بشكل منظم في منطقة التنقيبات M4، وكذلك في الحي السكني المقام فوق أنقاض المسرح الروماني التي قام بحفره وليد أطرش من قبل سلطة الآثار. تأكيدا لهذا الحدث، عثر على قبر رجل مسيحي خارج الحنية، وعثر في طبقة الردم الموجودة فوق القبر على جزأين من شاهد يحمل نقشا تاريخه 970 ميلادي (الشكل 18).

الشكل 18. نقش على شاهد قبر مسيحي.

الشكل 19. حنية الكنيسة.

بقي في النصف الجنوبي من مسطبة الحنية، مبلطة بالفسيفساء الملون ومزين بلوحة نباتية بقي منها أغصان وورق على شكل قلب يخرج من أمفورا (الشكل 19). أما النصف الشمالي من مسطبة الحنية فقد دمرت خلال بناء جدارٌ متأخرة. كما اكتشفت مسطبة المنصة وهي من فسيفساء وبنيت فوقها مسطبة مبنية من ألواح حجرية التي استخدمتها الكنيسة في فترة متأخرة أو ربما تابعة الى مبنى آخر. وعثر تحت الجدار الذي بني في الحنية، على حجر بازلت مثقوب، يذكرنا بالمراسي المعروفة لفترات طويلة. على ضوء اكتشاف حجر بازلت شبيه بالمرساة في كنيسة جبل بيرنيكي، يمكن الافتراض أن اكتشاف حجر بازلت مثقوب في الحنية في منطقة M5 مرتبطًا بطريقة ما بالعبادة في الموقع.

الحي السكني - "مبنى 138"

بعد موسمين من التنقيب في منطقة M4، اكتشفنا مبنى مستطيلًا 9.5 × 10.5 م (الشكل 21). يحتوي هذا المبنى على باحة مكشوفة مرصوفة بالحصى الصغيرة وقد دخلوا إليها من الجنوب. في الزاوية الشمالية الغربية نجد منشأة دائرية يبدو أنها بئر مياه. وكشف جنوبي المبنى زقاق على محور شرق - غرب مسطبته مغطى بالحصى، والذي كان يفصله على ما يبدو عن مبنى آخر، ظهر جزء صغير منه في نهاية موسم التنقيبات. تشطر هذا الزقاق قناة مياه مفتوحة ومبطنة بالحجارة على الجانبين.

تاريخ إقامة المبنى غير واضح تمامًا، ولكن إذا اعتمدنا على ظهور أساسات الخرسانة في المرحلة الأولى، فإن هذا المبنى لم يسبق القرن السابع الميلادي. وفق لندرة

الشكل 20. نقش على جزء من المذبح.

عثر على جزء من مذبح مصنوع من الرخام قرب الكنيسة، عليه نقش: "في ذلك الوقت/تحت... الأسقف آن ... [تم التبرع/إقامة هذا المذبح]" (الشكل 20). نظرًا للأبعاد الكبيرة للكنيسة، وأرضية الفسيفساء ذات الجودة العالية، والعثور على أجزاء المذبح، يمكن الافتراض أن الكنيسة التي نتحدث عنها هي مقر الأسقف، أي أنها كاتدرائية طبرية.

الشكل 21. صورة جوية لمبنى "138".

الموجودات الصغيرة فوق مسطبة المبنى، والعثور على أواني من الحجر البازلتي التي هي أثقل من أواني الفخار والمعدن والزجاج، نستدل على أن سكان المبنى رحلوا عنه بطريقة مرتبة، ربما في النصف الثاني من القرن العاشر أو أوائل القرن الحادي عشر.

"المبنى المتدرج"

تم الكشف عن مبنى ضخم على شكل حرف L في عام 1935، على طول مسار القناة التي بنيت لمنع الفيضانات في اتجاه المدينة الواقعة على بعد حوالي 400 متر شمالًا. لهذا المبنى الضخم درج من خلاله يمكن النزول نحو الشرق، غرب الدرج جدار أساس (ستيلوبات) وفوقه قاعدتي أعمدة. بالإضافة إلى ذلك، وعلى بعد أمتار قليلة جنوب غرب المبنى، تم اكتشاف مقطع من شارع محوره شمال - جنوب، مرصوف بألواح البازلت مبنية بشكل مائل، في شكل يشبه بقايا الكاردو الروماني. يشير جزء من هذا المبنى الضخم، وصلته بالشارع الذي يبدو أنه من الفترة الرومانية، إلى احتمال امتداده باتجاه الشمال، وربما هذا مبني عام أو مبنى ديني.

في موسم التنقيبات عام 2016 تم حفر عدد من المربعات في منطقة (M8) شمال قناة 1935 و"المبنى المتدرج"، ولم يتم العثور على استمرار بقاياه. وتم الكشف عن عدد من الجدران ومساطب اتصلت بهم، تعود إلى الفترة الإسلامية المبكرة، بين القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر، وفقًا لسراج فخاري كامل وجد في حشوة أحد الجدران (الشكل 22).

الشكل 22. سراج فخاري عثر عليه داخل حشوة الجدار.

تشكل الجدران الثلاثة المؤرخة الى الفترة الإسلامية المبكرة مخططا جزئيا لمبنى، له عتبة باب في أقصى الجنوب، متاخمة للجدار القديم، وغرفتين في الغرب. وفقًا لسقوط الحجارة في الزاوية الجنوبية الغربية للمنطقة، من المحتمل أن يكون هذا المبنى قد انهار خلال أحد الزلازل التي ضربت المنطقة في القرن الحادي عشر.

ملخص

أوضحت التنقيبات الجديدة قضايا مهمة تتعلق بتطوير المركز المدني من الفترة الرومانية وحتى تم نهب بقايا مواد البناء والأجزاء المعمارية لإنشاء مدينة طبرية العثمانية في الشمال. بالإضافة إلى تحديد القضايا التي تم التنقيب عنها سابقًا، مثل تأريخ مراحل شارع الكاردو، والمحلات التجارية والكنيسة والمباني الخاصة وحتى مقبرة الفرنجة، فقد ساهمت الحفريات في فهم التحولات خلال الفترة الإسلامية المبكرة، ومركزية وأهمية مسجد الجمعة وإلحاقه بالكاتدرائية البيزنطية التي بقيت فعالة، حتى لو بصورة مقتضبة - حتى القرن العاشر أو الى أوائل الحادي عشر ميلادي. كذلك أضافت نتائج التنقيبات جزء مهم عن استيطان الفرنجة في طبرية، وتشييد مجمع مباني متعلقة بصناعة السكر التي كانت معروفة في طبرية وضواحيها في وقت مبكر من العصر الإسلامي المبكر، لكنها تطور بشكل ملحوظ مع وصول الصليبيين. ولعل الشيء الأكثر خصوصية هو أن هذه التنقيبات كشفت على ما يبدو عن بقايا أقدم مسجد تم التنقيب عنه حتى الآن، حتى أقدم من المباني التي تم التنقيب عنها في العراق (الكوفة والواسط). إن المقاييس المتواضعة لهذا المسجد القديم مقارنة بضخامة الكاتدرائية، وتضخيمه في وقت لاحق في القرن الثامن وتقليص حجم الكنيسة خلال القرن العاشر، تعكس العمليات الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية التي ميزت طبرية لكونها عاصمة جند الأردن لمدة 400 سنة.

مدينة طبرية كمركز متعدد الثقافات في القرن التاسع الميلادي

كنيسة المرساة كحالة اختبار

دكتورة ياعيل أرنون – الكلية الأكاديمية صفد،كلية التربية أورانيم

مقدمة

لم تحظ مدينة طبرية بأي قداسة في الديانة المسيحية، كما هي عليه المواقع الأخرى حول بحيرتها، لكننا نعرف أن مجتمعًا مسيحيًا عاش في المدينة منذ القرن الخامس الميلادي. فقد كانت المدينة في القرن السادس، في عهد الإمبراطور جستنيان (527-565 ميلادي)، محاطة بسور طوله 2.8 كم، سمكه 2.5 مترا، وارتفاعه حوالي 8-10 مترا، وفيه أبراج مربعة كشف عن برجين في جبل برنيكي. في ذلك الوقت، بنيت كنيسة ودير على قمة الجبل لرفاهية العديد من الحجاج الذين زاروا منطقة بحيرة طبرية (الشكل 1).

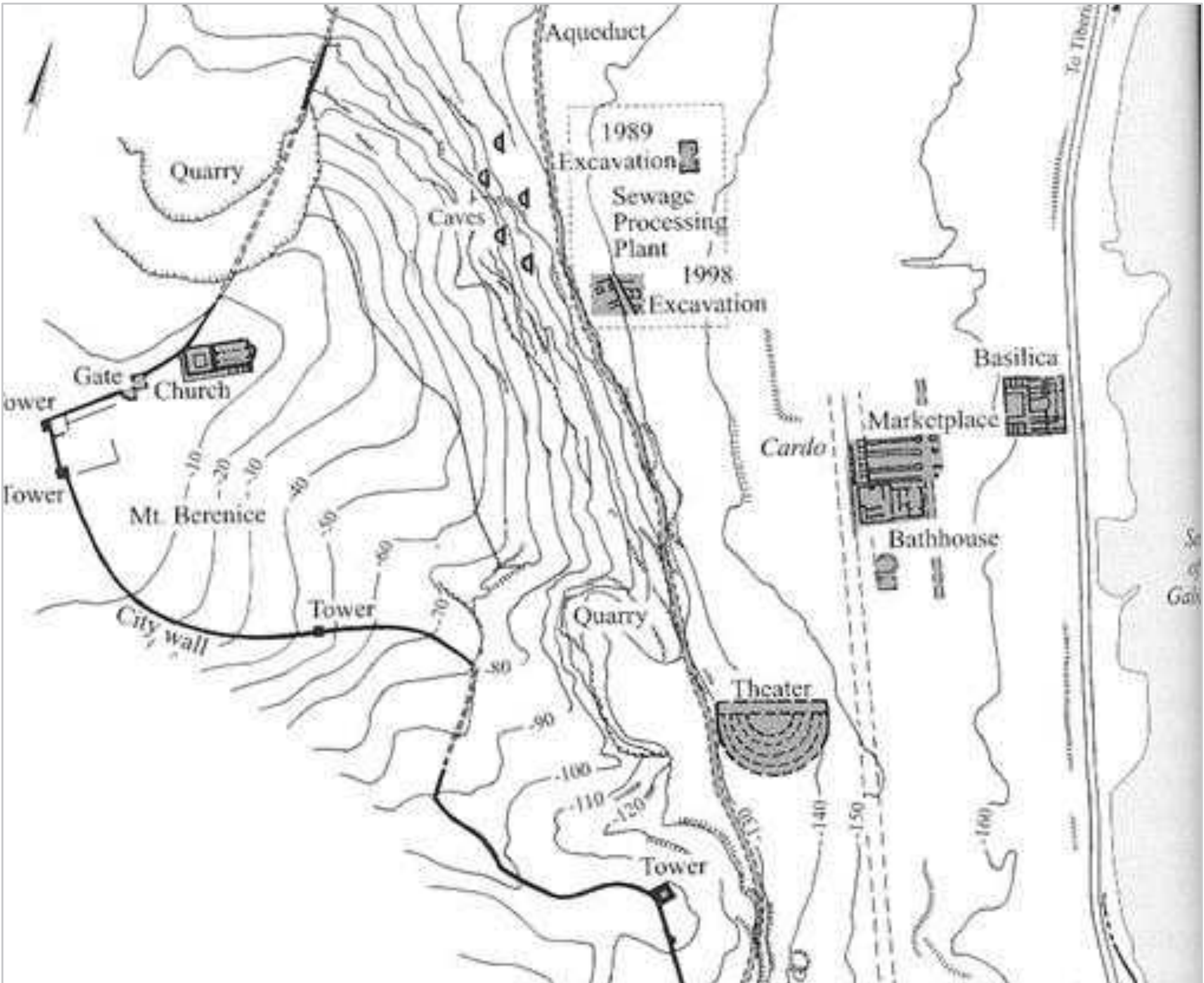

الشكل 1. مدينة طبرية في العصور القديمة (Hirschfeld 2004: fig.1.2)

البيانات الأثرية الواردة في هذا المقال مأخوذة من بيانات الحفريات التي أجريت في كنيسة المرساة والتي قام بها البروفيسور الراحل يزهار هيرشفيلد بين 1990-1994 من الجامعة العبرية وسلطة الآثار.

موقع كنيسة المرساة

يرتفع جبل برنيكي فوق بحيرة طبرية، في الجزء الواقع بين مدينة طبرية وبين حمة طبرية. شكل الجبل يشبه الهرم الضخم، قاعدته مقابلة لبحيرة طبرية ورأسه يرتفع حوالي 200 مترا فوقها. كانت بقايا المباني على الجبل ظاهرة ومعروفة باسمها العربي "قصر بنت الملك" (قصر الأميرة). كان أول من اكتشف البقايا هو الجغرافي الفرنسي فيكتور غرن الذي زار طبرية عام 1875 وكتب ما يلي:

"على طول الطريق في نفس الاتجاه، نصل إلى سفح تل صخري مرتفع، يعلوه سور نحو الأعلى رغم الانحدار الشديد. تسلقتُ الجدار على طول شفا هذا التل، الذي يحتوي على قمتين رئيسيتين، واحدة على الحافة الشمالية الشرقية والأخرى على الحافة الجنوبية

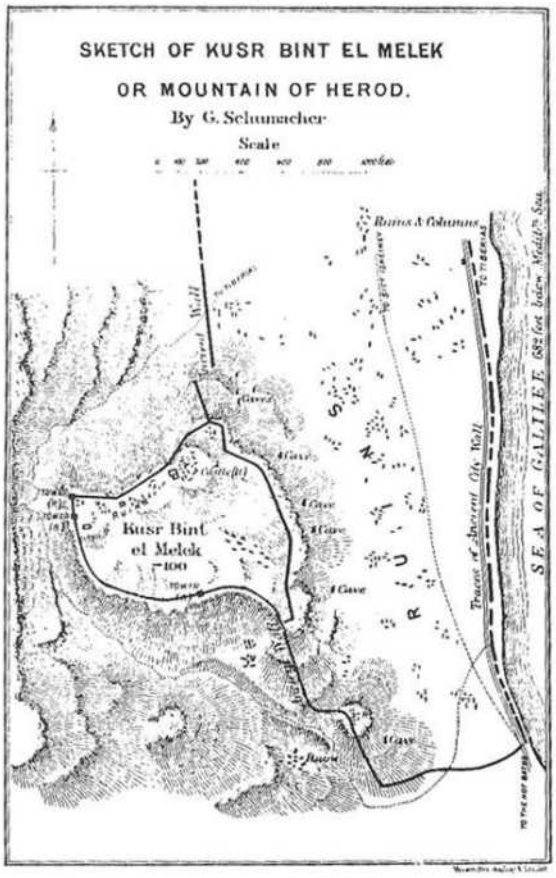

الشكل 2. الخريطة كما رسمها شوماخر (شوماخر 1887: 89).

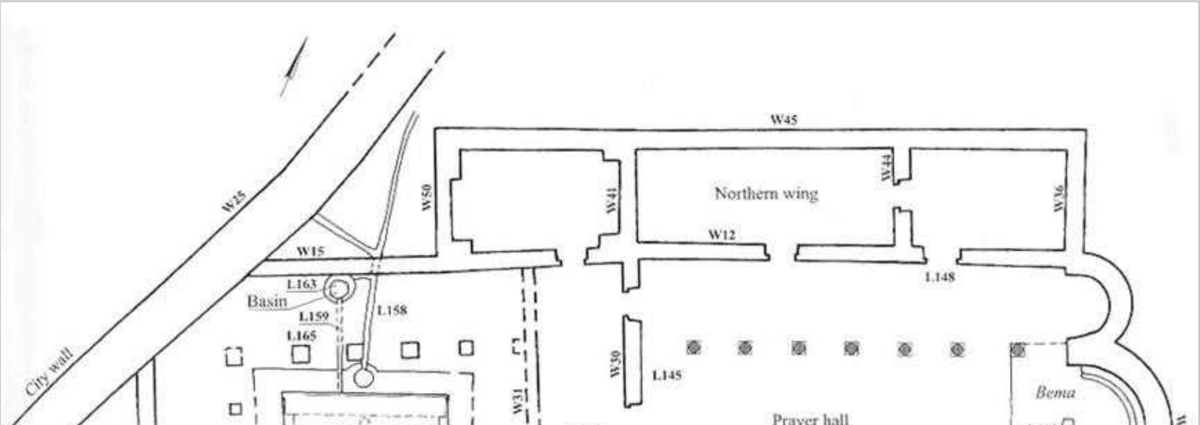

الشكل 3. مخطط الكنيسة من القرن السادس الميلادي (Hirschfeld 2004: plan 7.5).

الغربية. وتغطيهما الخرب وبقايا قلعة قديمة وقد حفرت فيهما عدة آبار للمياه".

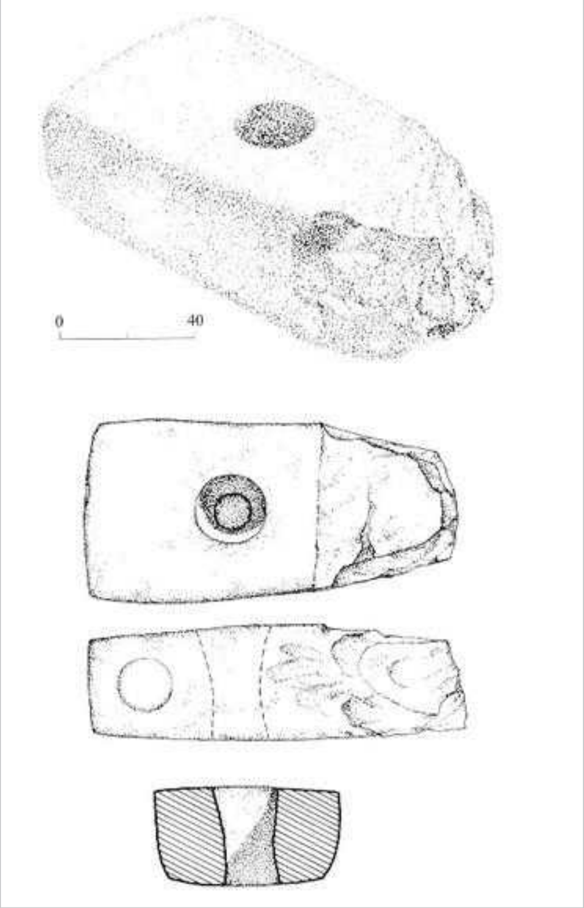

الشكل 4. حجر المرساة (Hirschfeld 2004: fig.7.46).

بعد حوالي عشر سنوات زار الموقع غوتليف شوماخر، وترك وراءه خريطة تفصيلية للبقايا التي على الجبل، بما في ذلك بئر ماء وبركة مستديرة (الشكل 2). وافترض أن البقايا تعود إلى أكروبوليس طبرية استنادًا إلى الاسم العربي، معتقدًا أنه قصر برنيكي، أخت هيرودس أنتيباس مؤسس المدينة.

كنيسة المرساة

كشف خلال التنقيبات الأثرية (1990 – 1994) عن كنيسة ضخمة على قمة الجبل الشرقية، يعود تاريخها إلى القرن السادس الميلادي. بنيت الكنيسة، التي يبلغ طولها 48 مترًا وعرضها 28 مترًا، على طراز الكنائس في الفترة البيزنطية، وتضمنت عناصر أساسية مثل: فناء (أتريوم) يحتوي على صهريج ماء مسقوف بألواح حجرية (البئر التي رآها شوماخر)، ممر أمام واجهة الكنيسة (نارثاكس)، وكنيسة صحنها مقسم الى ثلاثة أروقة وبنيت في نهاية كل رواق حنية نصف دائرية. أمام الحنية في الرواق المركزي المنصة والمذبح (قدس الأقداس). تحت بقايا المذبح عثر على لوح حجري كبير من الرخام وفي مركزه ثقب دائري، وتحته حجر بازلت يزن حوالي 480 كغم، طوله 1.1 مترا، عرضه 55 سم وسمكه 35 سم، وحُفر ثقب ذو اتجاهين في وسطه قطره 18 سم. تظهر بيانات التنقيبات أن الحجر قد

الشكل 5. حجر المرساة في الموقع (صفحة غلاف نون Nun 1993).

وضع في مكانه أثناء بناء الكنيسة وربماكان يحتوي على عظمة قديس الكنيسة (ريلكفاريا; الأشكال 3-5).

يذكرنا شكل الحجر بمراسي العصر البرونزي المبكر (الألف الثالث قبل الميلاد) التي اكتشفت حول بحيرة طبرية، وخاصة في جزئيه الجنوبي والغربي (الشكل 6). لا شك بأن حجر المرساة، نظرا لوزنه الكبير لم تستخدمه السفن فعليا، بل أحضر إلى الكنيسة كرمز قديم للأمان والأمل بالخلاص في ملكوت السماوات، وكشيء مرتبط بحياة يسوع والرسل الذين عملوا بالصيد على ضفاف البحيرة. كان تأسيس الكنيسة على جبل برنيكي، المشرف على طبرية ومحيطها، بمثابة إعلان انتصار للديانة السائدة على المستوطنة اليهودية في الأسفل.

الشكل 6. حجر المرساة البازلتية (Nun 1993:22).

فتح المسلمون مدينة طبرية عام 635 ميلادي بعد انتصارهم في معركة أجنادين. تروي التقاليد الإسلامية عن الاتفاقيات الموقعة مع المدن التي لم تُظهر مقاومة ومن بينها طبرية التي أصبحت في نهاية القرن السابع عاصمة جند الأردن بدلاً من سكيتوبوليس (بيسان) التي كانت عاصمة فلسطين الثانية في الفترة البيزنطية. في عام 749، ضرب المنطقة زلزال عنيف أدى إلى انهيار مدن كاملة ومباني عامة برمّتها. كما تعرضت كنيسة المرساة الواقعة على قمة جبل برنيكي لأضرار بالغة، لكن مصيرها اختلف عن مصير المباني الأخرى في المدينة لأنه أعيد بناؤها في النصف الثاني من القرن الثامن فوق أساسات الكنيسة البيزنطية.

أمامنا إذن، كنيسة من الفترة العباسية، وهي الأولى من نوعها التي كُشفت حتى الآن في البلاد (الشكل 7). استخدمت الكنيسة حتى نهاية الفترة الصليبية. وكانت بحالة ممتازة من الحفظ، وفي بعض الأماكن حفظت جدران بشكل جيد، ووصل ارتفاعها إلى 3 أمتار، كما

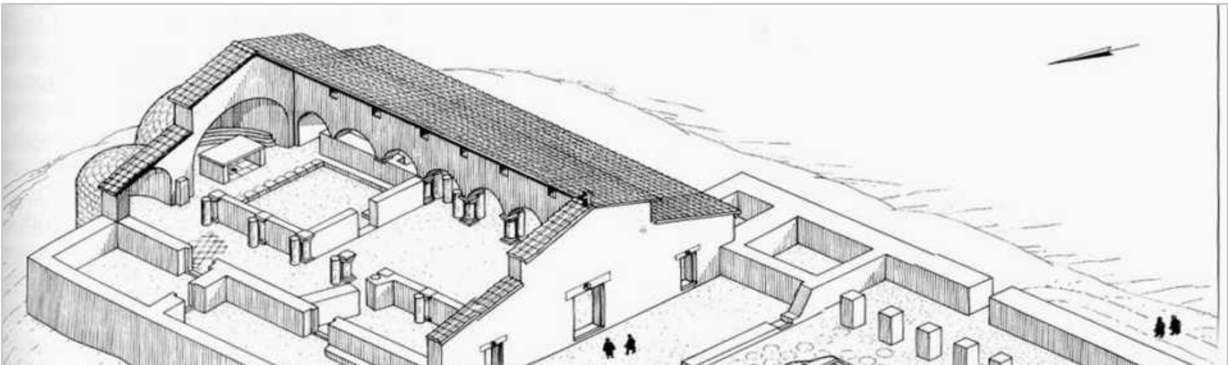

الشكل 7. كنيسة المرساة في الفترة العباسية (Hirschfeld 2004: Fig. 7.79).

حفظت أعمدة الكنيسة في موقعها بما في ذلك القناطر. يبدو أن حالة الحفظ غير العادية هذه هي نتاج لموقع الكنيسة، وهو موقع حال دون السطو على حجارته في فترات لاحقة. بشكل عام، فإن مخطط الكنيسة العباسية مطابق لمخطط الكنيسة البيزنطية، وغالبًا ما استخدم البناؤون في بنائها مواد من الكنيسة السابقة. ولكن رغم احتفاظ الكنيسة التي تم تجديدها بطابعها البيزنطي، إلا أنها تمجدت بعناصر معمارية جديدة غير

الملاط المطلي بألوان اصلية، على عكس فسيفساء الجدار، وهو النمط الذي كان سائدًا في الفترة البيزنطية. وبجوار اللوح الحجري الرخامي الموضوع فوق "حجر المرساة" كان هناك جزء من الملاط الملوّن يحمل وجها بشريا. لكن التجديد الرئيسي في الكنيسة كان الأعمدة وفوقها القناطر المدببة. ترتفع في العمارة البيزنطية أعمدة الكنائس إلى ما لا يقل عن 3-4 أمتار، بينما بلغ ارتفاع الأعمدة الجديدة في كنيسة المرساة الى

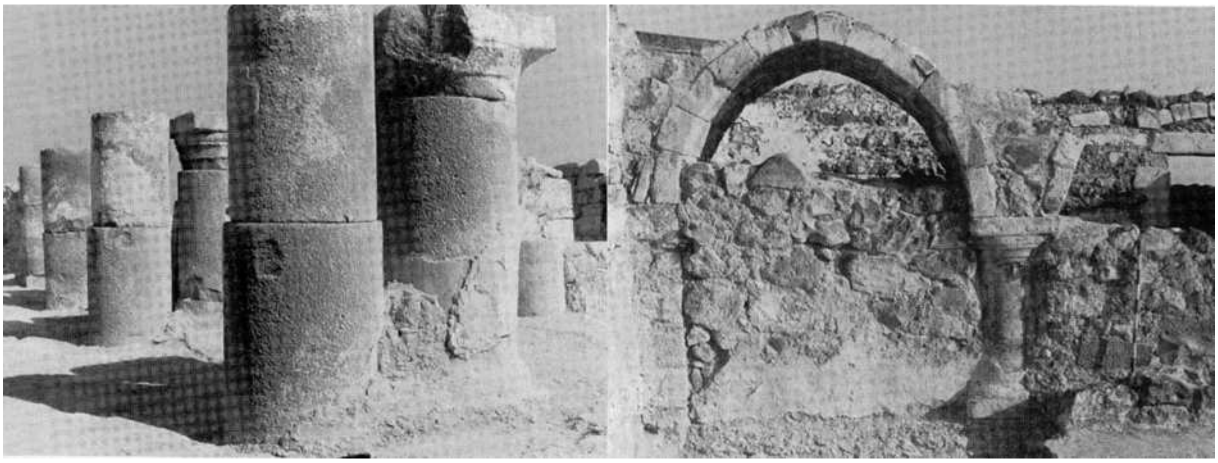

الشكل 8. كنيسة المرساة، الأعمدة والقناطر المدببة (Hirschfeld 2004: figs 7.58 and 7.59).

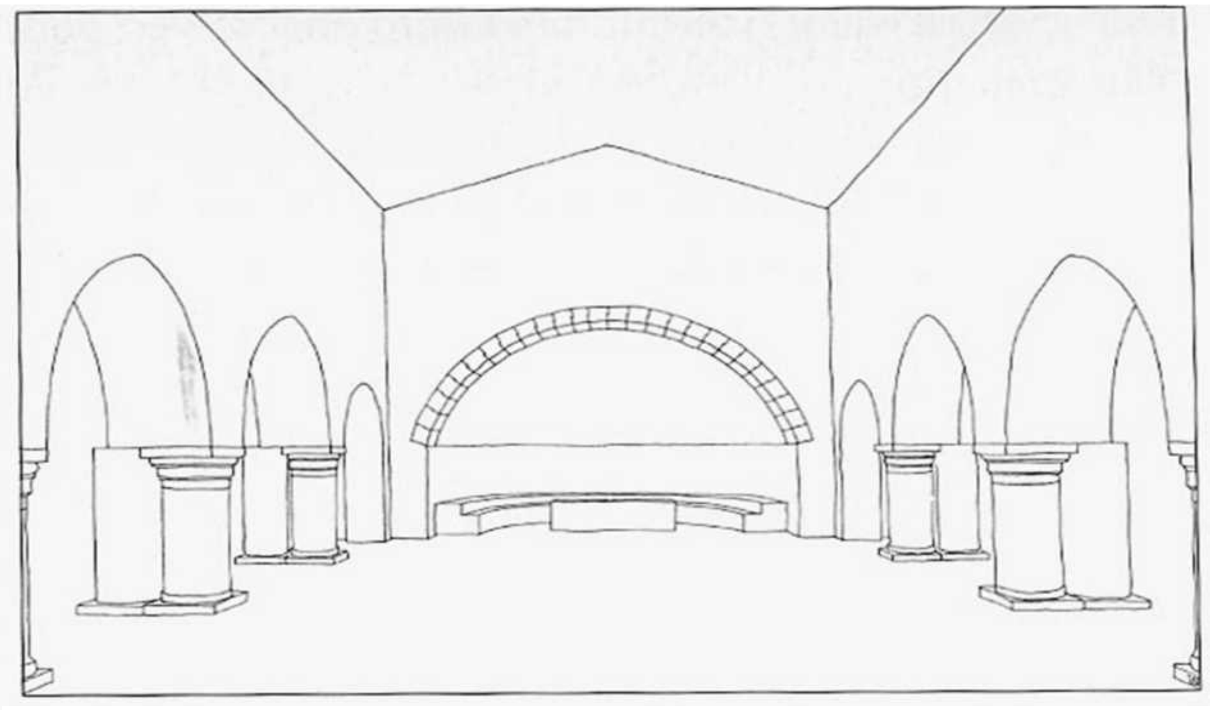

الشكل 9. رسم افتراضي لقدس الأقداس (Hirschfeld 2004: fig.7.68).

مألوفة، التي أحضرت مباشرة من بلاط الخلفاء في بغداد. لذلك يمكن القول أمامنا مبنى جديد تمامًا.

الباحة مرصوفة بفسيفساء مزينة بدوائر سوداء وبيضاء. كانت الجدران مكسوة بطبقة أصلية من

1.5 متر. كانت هذه الأعمدة قصيرة، ضخمة ومتوجة بتاج مستطيل (الشكلين 8-9). هذه الأعمدة هي نموذجية للعمارة الفخمة في الفترة العباسية، كما يمكن

رؤيتها في قصر أخيضر في العراق والمسجد الكبير فهرج في محافظة يزد الإيرانية (الأشكلين 10-11).

وتفصلها مساحة ضيقة (أنظر الشكل 8). هذا الطراز من البناء نموذجي للعمارة العباسية، ويمكن رؤيته في

الشكل 10. المدخل إلى قصر أخيضر (Ettinghausen and Grabar 1991: 82).

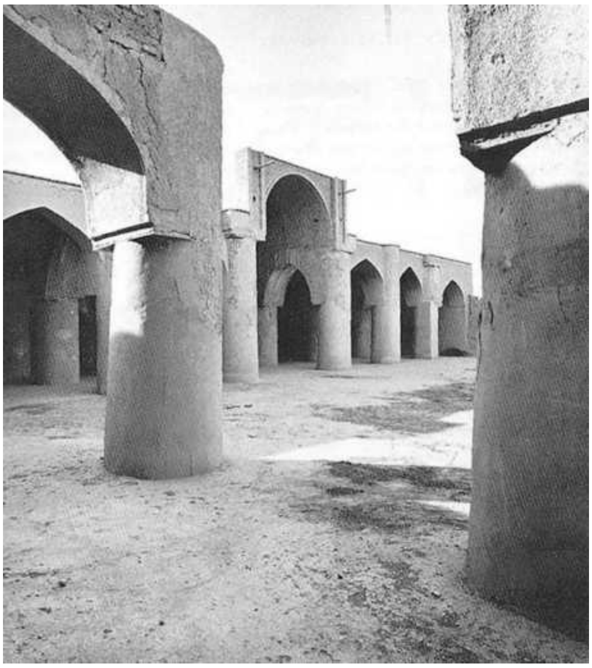

الشكل 11. مسجد فهرج إيران (Ettinghausen and Grabar 1991: 211).

نرى أن طريقة بناء الأعمدة في كنيسة المرساة مميزة وغير عادية. إذ أقيمت في أزواج بجانب بعضها البعض

مسجد الرقة-الرافقة الكبير في سوريا. حملت هذه الأعمدة قناطر مدببة، وأصبحت تلك القناطر فيما بعد السمة المميزة للعمارة القوطية في أوروبا. هذه القناطر مميزة من الناحية الهندسية حيث تخفف القوى الفاعلة على الأعمدة، وتقوي قدرة الأعمدة والجدران الداعمة، وتتيح البناء الخفيف ذا التهوية الحسنة للارتفاع. ظن العلماء في بداية القرن، أن القناطر المدببة ربما نشأت في المعابد الهندية في القرن السابع، وانتقلت من هناك غربًا واحتلت مكانة مرموقة في العمارة العباسية. لكن البيانات الأثرية تظهر أن القناطر المدببة ظهرت لأول مرة على مسرح التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن على بوابة بغداد، في سور مدينة الرقّة في شمال شرق سوريا (الشكل 12). ومن ثم فإن أصلها الإسلامي ليس موضع شك، فقد ظهرت قناطر مماثلة فيما بعد في الرملة (شكل 13)، وفي قصور سامراء "الجوسق الخاقاني"، أو دار الخلافة (سر من رأى) (الشكل 14) على ضفاف نهر دجلة.

الشكل 12. بوابة سور مدينة الرقة (Ettinghausen and Grabar 1991:80).

الشكل 13. بركة القناطر في الرملة (روزين أيالون 2008: 53).

يظهر في كنيسة المرساة مزيج مثير للاهتمام من العمارة البيزنطية مع التأثير القوي للعمارة الإسلامية في كنيسة من القرن التاسع. وتشهد إعادة بناء الكنيسة على أهميتها بالنسبة للمجتمع المسيحي في المدينة، وعلى القوة السياسية والاقتصادية لهذا المجتمع، بالإضافة إلى الحرية الدينية التي سادت المدينة في

القرن التاسع الميلادي وما بعده تحت الحكم الإسلامي. بينما يعزز أسلوبها المعماري الافتراض المتعلق بالعلاقات المتبادلة بين المجتمعات، ليس فقط على المستوى الرسمي، ولكن أيضًا على المستويين الثقافي

الشكل 14. بوابة باب الإمامة، قصر الجوسق الخاقاني بسمراء (Ettinghausen and Grabar 1991: Fig. 60).

والفني. إن أسلوب البناء ليس عرضيًا ولا ينبع من قيود معمارية، وربما يلبي متطلبات وأذواق بناة الكنيسة الذين تأثروا بلا شك "بالطراز الجديد" الذي جاء مباشرة من الشرق مع استيلاء العباسيين على الخلافة. تشير الفترة الزمنية الطويلة التي عملت فيها هذه الكنيسة (حتى القرن الحادي عشر الميلادي) أيضًا، بما لا يدع مجالاً للشك، إلى نفس العلاقات المتبادلة المذكورة أعلاه.

نقاش

تمتد الفترة الإسلامية المبكرة من القرن السابع الميلادي حتى ظهور الصليبيين في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر، أي نحو 450 عامًا. اعتبرت هذه الفترة لسنوات عديدة "الفترة الشاذة" لعلم الآثار في بلادنا، وخصصت لأجلها دراسات قليلة. وكان متبعا حتى قبل عشرين عاما، الاعتقاد في الأبحاث بحدوث تراجع في انتشار الاستيطان وظهور التصحر بعد الفتح الإسلامي بشكل عام، وخاصة مع تولي الخلافة العباسية في النصف الثاني من القرن الثامن. نقل هؤلاء الخلفاء مركز السلطة الحكومية من دمشق إلى بغداد، وبالتالي ساد الاعتقاد أنها لم تمنح أي أهمية للمناطق الواقعة في أطراف الإمبراطورية. استند هذا الافتراض بشكل أساسي على الافتقار إلى المصادر التاريخية التي توثق الفترة في هذا الجزء من الإمبراطورية العباسية، مما جعل العديد من المؤرخين يفسرون "مفقود" بأنه غير موجود وشرحوا سبب ذلك أيضًا.

كما تبنّى البحث الأثري القائم على التأريخ الفخاري هذا الافتراض وأخطأ بتحديد تأريخ طبقات الاستيطان من الفترة العباسية إلى طبقات الاستيطان في الفترة الأموية، وبالتالي ساهم في الافتراض التاريخي المذكور أعلاه. تغيرت هذه الصورة تمامًا في العقدين الأخيرين مع انتشار الحفريات الأثرية في البلاد وعبر الأردن. ويظهر في هذه الحفريات وجود استمرارية استيطانية في معظم الحالات حتى في الفترة العباسية، وإن كان ذلك أحيانا بقالب مختلف. علاوة على ذلك، في العديد من الدراسات تتميز هذه الفترة بالازدهار المدني والنمو الاقتصادي.

إن إعادة بناء كنيسة المرساة تنتمي إلى نفس الفترة التاريخية، وهي تعزز الدراسات السابقة وتضيف معلومات مهمة عن الفترة العباسية، وهي معلومات تكمل المصادر التاريخية القليلة.

رموز الحج من الفترات الصليبية والعثمانية

الدكتورة عنبر قطلب - سلطة الآثار
ترجمة الدكتور وليد أطرش

مقدمة

في بعض المجتمعات المسيحية من العصور الوسطى، تقاليد اجتماع مرتبطة بالقديسين، ويعتبر التواصل معهم وزيارتهم دعوة للعبادة والعمل في عالم مليء بالشر والصعوبات. كان الإيمان ان القديسين ينعمون بقوة غير مرئية امتدوها من الله ليس فقط لإمكانية الخير. كان يعتقد أن القديسين ينقلون النعمة والمعرفة والقوة من الله إلى المجتمع، ويحولون الطلبات والأسئلة والمطالب من الناس إلى الله، أي وسطاء بين الله والناس. روا الناس قصصًا رائعة عن القديسين، مما وفر الأمل وراحة البال للناس أثناء أخذ قطعة قماش من ملابس القديس أو ماء مقدس الذي لامس عظمة من عظام القديس. كان يعتقد أن مثل هذه التعويذات توسع مجال نفوذ الشخص وفي وقت لاحق، سينطبق هذا النهج المفاهيمي أيضًا على الحاج. بالنسبة للبسطاء، كان القديس مصدرًا رئيسيًا للقوة؛ وكانت العناصر الأخرى في شخصيته القديس ثانوية بالنسبة لهم.

غالبًا ما أصبح مكان قبر القديس موقعًا للحج. خلال القرن الحادي عشر أثر النمو الديموغرافي، والإصلاحات الزراعية والتجارة على أفكار المجتمع وأدى ذلك الى وجود طرق حياة جديدة. أصبح عامة الناس متعطشين للإشباع رغباتهم بالحياة الجديدة والحريات. وكان من نتائج ذلك انتشار مواقع الحج وخصوصا في أهم ثلاث بلدان بالنسبة لحجاج العصور الوسطى: القدس، روما وسانتياغو دي كومبوستيلا. احدى الظواهر التي تطورت خاصة في أواخر القرن الحادي عشر، كانت الحصول على رمز رسمي تذكاري من احدى مواقع الحج، يحضره الحجاج إلى وطنه كتذكار وشهادة أنه أتم الحج. ويعتقد الحاج أن هذه الرمز الذي يرتديه أثناء رحلة، له قوى خاصة تحميه من المصاعب والمصائب. وأصبحت رموز الحج التذكارية دليلاً على أداء فريضة الحج، ولن يعود أي حاج إلى وطنه دون رمز تذكاري، والذي كان يضمن له الحماية بطريق العودة إلى بلاده من الجيوش المتحاربة، لصوص الطرق والتهديدات الأخرى.

خلال القرن الثاني عشر، بدأت الرموز التذكارية تكتسب أهمية دينية خاصة. كان الحاج يأخذ الرمز التذكارية من مكان مقدس أو قبر قديس ويؤمن الحاج أن القديس ينقل فضائله إلى الرمز. بعد عودة الحاج، كانت الرمز التذكاري يُعلق في منزله ايمنًا أنه يجلب الحظ ويحمي البيت من كل شر. بعض الحجاج، بعد موتهم قبروا الرموز التذكارية معهم، وآخرون ألقوا بها في تقاطع الأنهر، وخاصة في لندن. على الأغلب كانت الرموز التذكارية من المعدن، وتم العثور على رموز حج في بعض القبور، وتضمنت صلبان وبقايا معدات الحج الأخرى مثل صدف، عصى وحقيبة الحج.

سانتياغو دي كومبوستيلا ويعقوب بن زبدي الأكبر

خلال السنوات القليلة الماضية، في 8 حفريات إنقاذ أثرية من قبل سلطة الآثار عثر على 14 محارات صدفية من نوع البحر الأبيض المتوسط (Pecten Jacobaeus)، وصدفتين كبيرتين من المحار الأطلسي (Pecten Maximus). جميعها معالج بشكل نموذجي ومميز لأصداف الحجاج، أي مع ثقبين بفتحتين يستخدمان لتعليق الصدف أو لخياطتها على الثوب (الشكل 1).

في التقليد المسيحي، صدفة المشط هي رمز يعقوب بن زبدي أحد رسل يسوع، وفقا للأسطورة قبر رفاته في إسبانيا، ويحمل المكان اسمه "سانتياغو دي كومبوستيلا" (سانت يعقوب نجم الميدان). أصبحت كاتدرائية سانتياغو دي كومبوستيلا مركزًا دينيًا ذا أهمية عالية في العصور الوسطى، وكان الحجاج من جميع أنحاء أوروبا والجزر البريطانية يتوافدوا اليها، وارتدوا الحجاج العباءة والقبعة وزينوا ملابسهم بالصدف وحملوا العصى وحقيبة الحج، وهي السمات الأكثر شيوعًا عند يعقوب

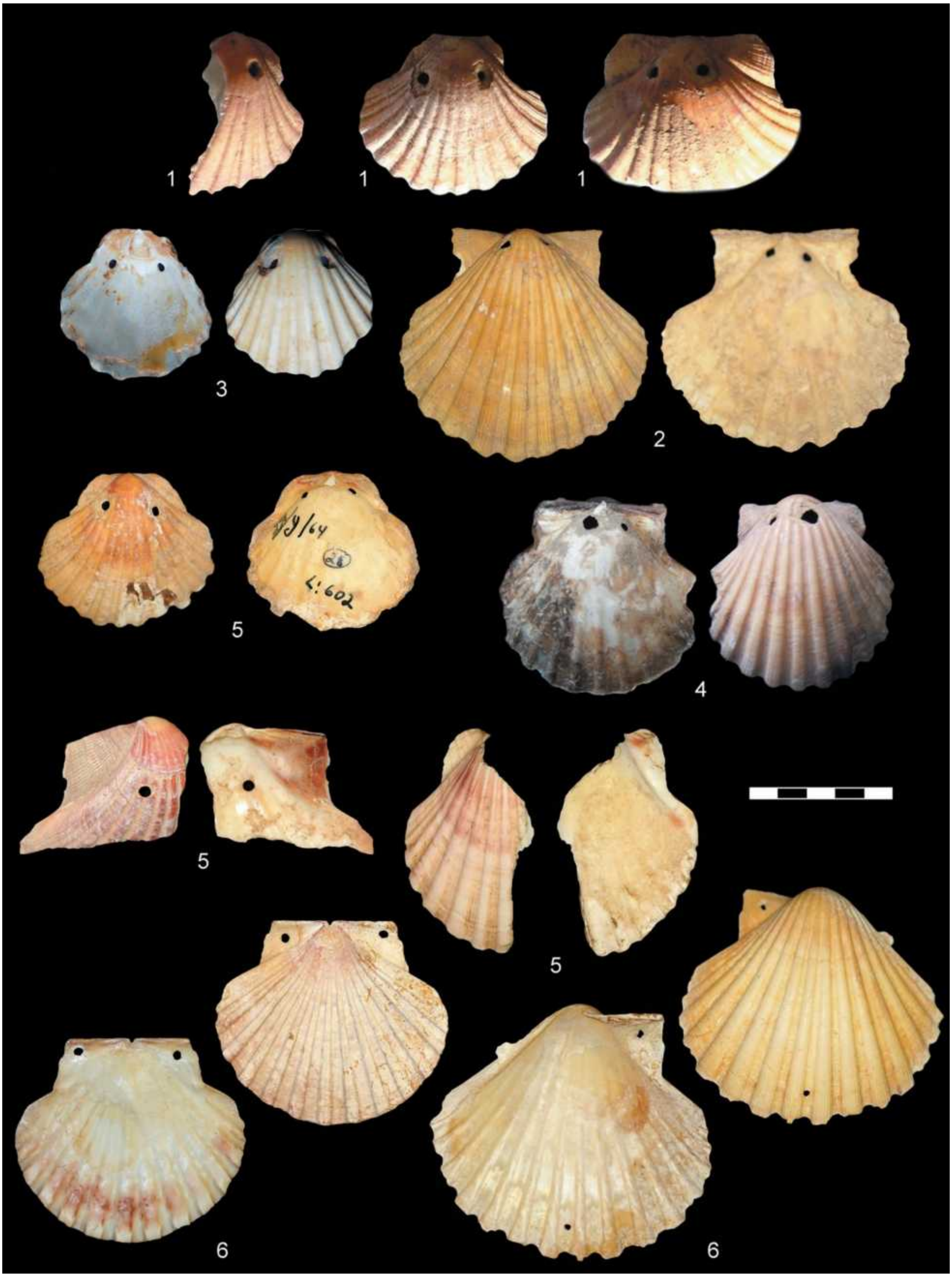

الشكل1 : 1. صدف مشط يعقوب من عكا، 2. مشط كبير من طبريا (تصوير ع. شتيرن)، 3. مشط يعقوب من وادي الشيخ (تصوير أ. برز)، 4. مشط يعقوب من خربة بورين، 5. مشط يعقوب من يافا (تصوير ص. جيلدور)، 6. مشط يعقوب من قبر داود (تصوير أ. نجر).

بن زبدي. وهذه هي المعدات الأساسية اللازمة للسفر لمسافات طويلة سيرًا على الأقدام. تم استخدامها على نطاق واسع من قبل الحجاج وأصبحت في النهاية رموزًا للحج. ولكن ما هي أهمية المحار ولماذا تم اختياره كواحد من الصفات الرئيسية ليعقوب بن زبدي؟

الشكل 2 . القديس يعقوب من: Codex Calixtinus، سانتياغو دي كومبوستيلا، 1320 - 1330، مكتبة جامعة سلمنكا.

الدليل الأول على أن المحار هو رمز القديس يعقوب موجود في كتاب دليل الحج (ليبي سانكتي جاكوبي)، الذي كتب في عام 1130 ميلادي. يُظهر الكتاب رسمًا توضيحيًا للقديس يعقوب على شكل فارس، وتزين صدفة المشط علمه (الشكل 2). يشير الكتاب أيضًا أنه يمكنك شراء الصدف ذو الثقوب من الحوانيت الموجودة حول ساحة الكاتدرائية. يروي الكتاب أيضًا عن شفاء فارس من مرضه بلمسه الصدفة. بدأت عادة رموز الحج في القرن الثاني عشر كتقليد لما يحدث في الحج إلى القدس. ترمز الصدفة كاملة بجزئيها إلى مبدأين في المسيحية: محبة الله وعامل الآخرين كما تحب أن يعاملوك. كان الصدف رمزًا للحج ويهدف لجذب المزيد من الحجاج إلى سانتياغو دي كومبوستيلا. يربط الرمز الإنسان العادي بالإله ويثمن القوة السحرية للقديس، كما أنه بمثابة تذكار ملموس وإثبات للحج.

تم شراء الصدف من قبل الحجاج في سانتياغو دي كومبوستيلا بعد الانتهاء من رحلتهم. لذلك نتوقع أنهم حملوا معهم صدف أصله من المحيط الأطلسي (مشط كبير) قريب من الموقع، ومع ذلك، فإن معظم الموجودات في بلادنا تنتمي إلى أنواع صدف البحر الأبيض المتوسط (مشط يعقوب). ما تفسير هذه الظاهرة؟.

استند جزء كبير من دخل الكنيسة في العصور الوسطى على بيع رموز الحج. وكان احتكار بيع رموز الحج عاملًا دائم للاحتكاك بين الكنيسة ونقابات التجار في المدن. سانتياغو دي كومبوستيلا جعلت رمز الحج سلعة حيوية، وفي هذه المدينة وقعت أول اشتباكات بين الكنيسة وتجار المدينة على عائدات بيع رموز الحج.

خلال القرن الثاني عشر لم تتدخل الكنيسة في بيع الصدف، ولكن في أوائل القرن الثالث عشر حاول رئيس أساقفة سانتياغو دي كومبوستيلا الاستيلاء على تجارة الصدف. عارضته نقابة التجار، وفي النهاية توصل الجانبان إلى اتفاق، يقضي بأن بيع الصدف سيبقى مع نقابة التجار، مقابل دفع رسوم سنوية للكنيسة. كانت سانتياغو دي كومبوستيلا أول مكان يعاني من تنافس بيع صدف غير القانوني. تم بيع صدف مزيف للحجاج على طول الطريق المؤدي إلى المدينة. كانت خمسة طوابع بابوية (رسائل البابا العامة) التي نشرة لحظر التزييف وكانت عديمة الفائدة.

في تاريخ التجارة بمنتجات رموز الحج، تمثل سانتياغو دي كومبوستيلا ظاهرة فريدة من نوعها. هذا هو المكان الوحيد الذي كانت فيه نقابة التجار قوية بما يكفي لمنع احتكار الكنيسة. سمح الاتفاق بين الطرفين للنقابة بممارسة الرقابة التي منعت بيع المنتجات المزيفة في المدينة. هذا يسمح لنا بتحديد أن الصدف المكتشف من نوع البحر المتوسط مشط يعقوب (مشابه للصدف الموجود في فلسطين)، تم شراؤه من خارج سانتياغو دي كومبوستيلا، وبالتالي لدينا رمز للحج "مزيف"، أي انهم لم يدفعوا الضرائب المناسبة لنقابة التجار والكنيسة.

بدأ معظم الحجاج رحلتهم في الأراضي المقدسة في ميناء عكا. من هناك، يمكن للحاج أن يختار طريق من طريقين:

واحدة تؤدي إلى بحيرة طبرية (بحر الجليل)، غور الأردن ومن هناك عبر السامرة وصحراء يهودا إلى القدس؛ والثانية من عكا جنوباً على طول الساحل ومن ثم إلى القدس. تم العثور على صدف الحاج في فلسطين في مواقع الحج المسيحية أو على طول طريق الحج (الشكل 3).

الشكل3 . خريطة طرق الحج في فلسطين في القرن الثاني عشر، والمواقع التي تم العثور فيها على صدف الحجاج. (بناءً على رايلي سميث 1991: 43).

أشار وجود هذا النوع من الصدف إلى أن هؤلاء الحجاج كان لديهم رحلتا حج على الأقل في حياتهم. الأولى، إلى سانتياغو دي كومبوستيلا، حيث اشتروا الصدف، والثانية إلى فلسطين. بما أنه كان من المعتاد أن يحمل الحاج شعار الحج طوال حياته وكان عادة يدفن معه، فمن المحتمل أن الحجاج أصحاب الصدف ماتوا في رحلتهم الأخيرة. كان الحجاج من طبقة اجتماعية واقتصادية متوسطة وما فوق، لأن الرحلة إلى فلسطين مكلفة، لذلك، اختار معظمهم شراء رموز الحج "المزيفة"، التي كانت ربما أرخص.

جدير بالذكر أن النساء كانت تزور الأضرحة المحلية بشكل متكرر، وكانت ميولهن أقل للذهاب في رحلات الحج الطويلة. أحد الاستثناءات يا مارجري كيمبي، تروي بعض الصعوبات التي واجهتها أثناء السفر لمسافات بعيدة لزيارة الأضرحة، وفي بعض الأحيان شعرت بأنها ملزمة بدفع نقود لحاج لمرافقتها وحمايتها وتأمين المؤن. كما أن هناك أدلة على أن بعض المزارات الكبرى ضد زيارة المرأة وخصوصا عندما يتعلق الأمر بالوصول إلى الآثار المقدسة. ومع ذلك، يبدو أن النساء كن على الأرجح توصي الرجال ليذهبوا للحج نيابة عنهم.

ملخص

الأضرحة الأماكن المقدسة الكبرى مثل تلك الموجودة في روما، والقدس وسانتياغو دي كومبوستيلا، كانوا في منافسة مباشرة مع بعضهم البعض لكسب الحجاج الذين يسافرون لمسافات طويلة للوصول اليها. على الرغم من أن بعض الحجاج، مثل مارجري كيمبي، قد زار المواقع الثلاثة، وزار فيليكس فابري الأرض المقدسة مرتين.

عادة ما يتعين على الحجاج اختيار الضريح الذي سيزورونه. تشير مكتشفات الصدف في العصور الوسطى إلى تنقلات الناس في البلدان، الحماس الديني، الصراعات الاقتصادية بين المؤسسات الدينية والتجار. تجمع بين الفرد والجماعة: على سبيل المثال، الدافع للذهاب إلى الحج هو فردي، وخلف كل اكتشاف لرمز الحج هناك قصة شخصية وفريدة لشخص ما. في المقابل، تمثل النتائج المادية والأدلة التاريخية أيضًا على عقلية جماعية مستمدة من الدين، الاقتصاد والسياسة في ذلك الوقت.

The City of Tiberias as a Multicultural Center in the Ninth Century CE: The Anchor Church as a Test Case

Yael D. Arnon - Zefat Academic Collage and Oranim Academic Collage

In the second quarter of the seventh century CE, a new religion emerged on the stage of history. Within 100 years, Islam spread out in vast territories, from south and central Asia in the east to the Straits of Gibraltar in the west. The encounter between the new religion and its culture, and the cultures of the conquered lands, gave birth to new visual media that combined Byzantine (Greco-Roman), Sasanian (Parthian and Achaemenes) and Arab traditions.

The Anchor church was built in the sixth century CE and decorated in the typical Byzantine style. Despite the Muslim conquest in the seventh century CE, the church continued to function until the earthquake of 749 CE. The building was destroyed in this event and a new church was built in its place. The new church functioned continuously until the thirteenth century CE when it was transformed into a residence. The long period of time in which the Anchor Church functioned under Muslim rule clearly attests to the good relationship between the Christian and Muslim communities, as well as to the economic state of the Christian community and its artistic influences.

A Tale of a Pilgrim Badge during the Crusader and Ottoman Periods

Inbar Ktalav - Israel Antiquities Authority

During the twelfth century CE, pilgrimage became a widespread phenomenon and people set out on long pilgrimages to visit and worship sites of religious significance. On visiting the holy places, the pilgrims acquired symbolic objects as proof of their visit. These objects provided their owners with safe passage, room and board. It was also believed that the pilgrims realized some of the sacred attributes of the saint associated with the holy site they have visited. One of the most important pilgrimage destinations in the twelfth and thirteenth centuries CE was Santiago de Compostela in Spain, the burial place of Saint James. Pilgrims who visited this site bought a scallop shell to honor their visit. Such bivalves have also been discovered in a few Crusader-period sites in Israel. Their discovery illuminates the practice of pilgrimage, aspects of communal identity, as well as a complex system of fraud and power struggles associated with pilgrimage.

Jerusalemite historian Mujīr al-Dīn (1496) refers to this minaret, writing: “In the place of the still remaining old minaret, Baybars ordered the building of the one which exists today.”

Mujīr al-Dīn refers to al-Nāṣir Muḥammad’s minaret from 1318 as “one of the wonders of the world in its shape and height.” It was probably its mixed style of Romanesque and Mamlūk architecture that made it so unique in the eyes of the travelers who described it as “one of its kind,” as rendered by the same historian.

Today, the question whether this was as a real minaret, or a military tower, is much debated. This paper argues that despite its military appearance and height (30 m)—which allowed for a panoramic view of the region, sometimes reaching as far as the Mediterranean Sea—it was founded as a *ma’dhana*, as it is referred to in the inscription. Its pseudo-military appearance conveys a message of Islam’s victory over “the infidels and polytheists.”

Twelve Seasons of Excavation in the City Center of Ancient Tiberias

Katia Cytryn - The Hebrew University of Jerusalem

This article summarizes twelve seasons of excavations in the ancient city center of Tiberias, on behalf of by the Hebrew University of Jerusalem, since 2009, under the direction of the author. Previous excavations at the site were conducted in the 1930s, but mainly since the 1950s.

The main aim of the project was to explore the already exposed remains of the congregational Mosque of Tiberias, which was thought to have been a Byzantine roofed market. The excavations revealed four construction phases: (1) a simple hypostyle structure (48 × 21 m) dating to circa the late seventh century CE; (2) a typical “Syrian” mosque (78 × 90 m), proportionally related to the Great Mosque of Damascus and other Umayyad mosques, consisting of three roofed parallel aisles crossed by a transept and a peristyle courtyard, apparently dating to the reign of Hishām b. ‘Abd al-Malik (724–743 CE); (3) constructional support to the roofed structure following the earthquake of 749; (4) a monumental building, most probably dating to the ninth century CE. During this last phase, stylobates in the roofed hall were raised, a western entrance was added or refurbished, and a minaret(?) was erected at its northeastern corner.

Several structures were explored: (1) the remains of a building complex related to the sugar industry and datable to the twelfth–early thirteenth centuries, contemporary with a Christian cemetery immediately to the west of the remains of the mosque, which apparently included a small chapel; (2) a cardo and shops, with their respective Roman and Islamic phases, exposed in the 1950s together with the “market” and bathhouse; (3) a Byzantine “cathedral” immediately to the north of the mosque, dating at least from the fifth through the tenth centuries CE; (4) a domestic quarter of the Early Islamic period; and (5) the remains of an Early Islamic building exposed while searching for the continuation of a stepped monumental structure (public/religious) partly exposed in 1935.

The new city developed around its main congregational mosque, the White Mosque, and its streets were planned to match the layout of the mosque and its surroundings. Unlike other historic cities, whose ancient remains are visible in the modern layout, the physical evidence of Early Islamic Ramla seems to have vanished into thin air. Only two standing monuments—the White Mosque and Birkat el-ʻAnaziyya (the 'Pool of the Arches')—are visible today, while all other remains of this large city remain hidden under modern buildings. This unpromising situation changed dramatically since the early 1990s when, following an accelerated development of modern Ramla, more than 250 salvage excavations were conducted throughout and around the town. These revealed fragmentary remains of the hitherto invisible ancient city and provided substantial archaeological data for the reconstruction of its topographical layout and chronological sequence. Large-scale excavations were carried out to the north and west of the Old City, and around the White Mosque. Other excavations were conducted in the southern and western outskirts of Ramla. Especially notable were a number of large excavations south of Ramla, in which evidence of the southward extension of the Early Islamic city and the existence of an outer residential and industrial quarter were revealed.

The plethora of excavations allowed for the reconstruction of the layout of both specific buildings and the residential quarters within the ancient city, forming a comprehensive picture of its urban components. The main finds from the excavations relate to the Early Islamic city, between 715 and 1099 CE. Ramla, like Fusṭāṭ, Baṣra and Kūfa, provided a unique contribution to the development of Early Islamic urbanism in the Near East, which was the outcome of the political situation in Palestine during the early eighth century CE. Unlike Jerusalem and Caesarea, which provided examples of gradual transformation and urban change typical of other Roman and Byzantine cities in the Near East and the Mediterranean area, Ramla was constructed from scratch and rapidly became a large and vibrant urban center that influenced the areas around it and contributed to the political and commercial innovations throughout the Near East.

The Three Minarets of Ramla

Katia Cytryn - The Hebrew University of Jerusalem

During the Mamlūk period, three minarets dominated the skyline of Ramla: (1) Baybars' (r. 1260–1277) minaret at the White Mosque, which was not preserved; (2) Sulṭān al-Nāṣir Muḥammad b. Qalāwun's (r. 1310–1341) minaret, built over the western door of the converted Crusader church (the Great Mosque, or al-ʿUmarī) in AH 714/1314 CE (replaced in the early twentieth century by a cylindrical tower); and (3) the famous "ma'dhana al-arbaʿīn" (AH 718/1318 CE), on the northern side of the White Mosque, still standing almost to its full height, only missing its original dome at its very top.

Baybars' minaret most probably stood above the White Mosque's entrance on the east, above an earlier Umayyad one, built by Hishām b. ʿAbd al-Malik (r. 724–743). The minaret's inscription, dating it to AH 666/1268 CE, was transferred to the Great Mosque, causing much misunderstanding concerning its original location. Documentation by archaeologists of the nineteenth century attests to its existence at the White Mosque in their time. Also, the

centers, and stretching from Nazareth and Cana in the west to Mt. Tabor and the Sea of Galilee in the east.

The Byzantine-period remains at Kafr Kama include not only the two chapels excavated by Saarisalo (a large church? cathedral?), but also the remains of private dwellings, including a room paved with a mosaic floor, excavated by Ben-Nachum (2007). These past discoveries, and the newly discovered church/monastery, lend support to Bagatti's suggestion that Kafr Kama should be identified as Helenopolis.

Industrial Area, Bathhouses and Water Plant from the Byzantine and Early Islamic Periods at the Foot of Tel Qaṭra

Alla Nagorsky and Itamar Taxel - Israel Antiquities Authority

Between January 2017 and August 2018 salvage excavations were carried out at the eastern foot of Tel Qaṭra, Gedera, on behalf of the Israel Antiquities Authority (IAA).

Tel Qaṭra was inhabited from Middle Bronze Age II until modern times. The large Arab village of Qaṭra occupied the southwestern slope of the mound until 1948. Byzantine finds covering the surface of the entire tell, as well as its surroundings, are vivid evidence that the settlement reached its peak during this period. In the present excavations, five archaeological strata dated to the Persian, Roman, Byzantine, Early Islamic and Mamluk periods were exposed; soil accumulations above bedrock contained potsherds, flint tools and stone vessels from earlier periods: prehistoric times, the Middle Bronze Age and the end of the Iron Age.

The area east of the tell was exploited for agriculture, industry and recreation. At the end of the Roman period, a pottery workshop was set in the area to the northeast of the tell, continuing in use, albeit with short gaps, at least until the beginning of the eighth century CE.

In the Byzantine period, the area east of the tell reached its peak, when in addition to the pottery industry, two bathhouses and dozens of plastered pools of various sizes were built. The pools were connected by a complex system of open and closed channels, and ceramic pipes. Indirect evidence was also found for the existence of workshops for the production of glass and metal vessels.

The agricultural, industrial and recreation areas of the ancient settlement shed light on its character and the range of activities practiced by its residents throughout history.

"The Most Beautiful of Cities": Ramla during the Early Islamic Period

Gideon Avni – Israel Antiquities Authority

The foundation of Ramla at around 715 CE set the tone for a new concept in the urban architecture of Palestine. While most large cities in the region were based on Hellenistic and Roman prototypes, Early Islamic Ramla was founded from scratch in an area surrounded by villages and farmsteads that formed the hinterland of Byzantine Lydda-Diospolis (Lod, Ludd).

installation is totally missing in cities which were occupied by people maintaining pagan beliefs, hence it turned out to be a significant definer of Jewish houses and sites.

Baalbek (Heliopolis) Temples

Arthur Segal - University of Haifa

Baalbek, ancient Heliopolis, is situated in the north of the Beqaa Valley (today in Lebanon). The Semitic name Baalbek preserves the name of the God Baal, in the sense of "Baal of the Beqaa." It served as a cultic site from the Bronze Age, reaching a peak during the Roman period, when the sanctuary was dedicated to the Heliopolitan Triad (Jupiter, Venus and Mercury). The site, as we know it today, combines three sanctuaries: the Jupiter Heliopolitanus sanctuary, the Bacchus (Dionysos) sanctuary and the Venus sanctuary.

The Sanctuary of Jupiter Heliopolitanus is the largest of the three. In front of the temple surmounting a high podium is a symmetrically arranged courtyard, two huge altars and an enormous three-story-high entrance gate (*propylaeum*). The fame of Jupiter Heliopolitanus' temple stems not only from its size, but from the exceptionally huge ashlars used in the construction of its podium.

The Temple of Bacchus (Dionysos) is located to the south of and in close vicinity to Jupiter Heliopolitanus sanctuary. Unlike its slightly larger counterpart, it is almost perfectly preserved. The quality of construction, and the exceptionally rich architectural decoration of the naos, indicate that contrary to Graeco-Roman cultic practice, the worshipers were encouraged to enter the temple's main hall (naos) rather than congregate in the courtyard in front of it.

The Temple of Venus was erected to the east of the other two temples. It is only partially preserved, comprising a small circular peripteral temple built on a high podium with a wide stairway at the entrance. The temple of Venus is an original structure of extraordinary plan and design, with no parallels in the architecture of the Graeco-Roman world.

Byzantine Church at Kafr Kama

Nurit Feig* and Mordechai Aviam**

*Israel Antiquities Authority, **Kinneret Institute for Galilean Archaeology, Kinneret College

A large triapsal church, with an atrium surrounded by rooms, and a well to its north, was unearthed about 300 m south of the ancient village center of Kafr Kama. Previous excavations in the village center uncovered the remains of a building with two apses facing east, a baptistery and a reliquary, as well as Greek inscriptions within mosaic floors (Saarisalo 1964). Given the large distance between the village and the newly excavated church, and the fact that no building remains, except for a few unexcavated tombs, were found between them, it seems that the church and the rooms surrounding it were the remains of a pilgrim monastery. The eastern Lower Galilee was a "sacred region" in the Byzantine period, dotted with holy pilgrimage

Three Nabatean Roadside Temples in The Negev

Tali Erickson-Gini - Israel Antiquities Authority

The presence of the Nabateans in the Negev in the Hellenistic and Roman periods is well-documented both historically and archaeologically, including the important Nabataean Incense Road that crossed the Negev Highlands. In the Early Roman period, Nabataean settlement commenced at Oboda (‘Avedat), where an impressive temenos (temple precinct) was constructed to house the temple of the deified king, Obodas (also called the Western Temple). Another, smaller temple, decorated with frescos and molded stucco, was probably dedicated to Aphrodite/el-Uzza. On the road connecting Oboda and the Nabataean town of Mampsis (Mamshit), a roadside temple was established at Ḥorbat Ḥaẕaẕa sometime between the early and mid-first century CE. Both the Obodas (Western) Temple and the roadside temple at Ḥorbat Ḥaẕaẕa are of the “broad-house” type, similar to the temple at the site of Muhhay in southern Jordan. Both the Obodas Temple and the temple at Ḥorbat Ḥaẕaẕa were built on a north–south axis and accessed via multiple entrances along their eastern wall. Their construction required extensive leveling and artificial extensions on the hilltops on which they were built.

The Ḥorbat Ḥaẕaẕa roadside temple was severely damaged by an earthquake early in the second century CE and it was only partially rebuilt. The Obodas Temple was renovated in the third century CE and its eastern facade was decorated with columns that supported statutes, such as those found at Palmyra and Apamea in Syria. The temple contained a “temple treasury” with bronze objects, including a bronze sphinx, similar to those discovered in the Temple of the Winged Lions at Petra.

The *Miqwa'ot* (Jewish ritual bath)

Ronny Reich - University of Haifa

The *Miqweh* (Jewish ritual bath) is a water installation which enables an observant Jewish person, who keeps the religious regulations, to ritually purify his or her body for various purposes such as entering the Temple Mount in Jerusalem. The religious principles for purifications are already expressed in the Hebrew Bible, in the Book of Leviticus, but only the interpretation of the text, made by the Pharisaic sages in the late Second Temple period enabled the construction of these installations. The earliest installations discovered in archaeological excavations date to the Hasmonean reign over Judea (2nd century BCE and onwards). Since then, this type of installation is in use by observant Jews until this very day. The water in the installation is usually rain- water which flow by themselves into it, but there are also *miqwa'ot* which are fed by flood waters (such as at Khirbet Qumran), spring waters (Jericho) and ground waters (Magdala). Specific regulations were set for the construction of the installation and for the waters assembled in it which make it different from waters held in any other installation. This gave the water in the *miqweh* the intrinsic power to purify. Today are recorded more than 800 such installations which were excavated throughout the country, in periods which are known to be occupied by Jews, in the late Second Temple (late Hellenistic and early Roman) period and the Mishnah and Talmud (late Roman and Byzantine) periods. This type of

Tel ‘Erani: Early Bronze Age IB Fortifications and Early Urbanization in the Southwestern Levant

Ianir Milevski*, Marcin Czarnowicz**, Dmitry Yegorov*,
Eli Cohen-Sasson*** and Yuval Yekutieli***
*Israel Antiquities Authority, **Jagiellonian University in Krakow,
***Ben Gurion University of the Negev

Several excavations, salvage and others, were conducted at Tel ‘Erani (Tell esh-Sheikh Ahmad el-‘Areyini) over the past six years by different archaeological teams. The results shed new light on the beginning of urbanization in the Southern Levant. The site is located on the border between the Mediterranean coastal plain and the Shephelah, opposite the modern city Qiryat Gat; the village of ‘Iraq el-Manshiya was located southeast of the tell. Fortification walls dated to Early Bronze Age IB were found in the southern part of the tell, alongside other buildings. These are discussed, together with the results of previous excavations at the site conducted in the 1950s and 1960s, in the light of the emergence of the first urban centers in the Southern Levant at the end of the fourth millennium BCE.

A Phoenician/Hellenistic Sanctuary at Ḥorbat Ṭurit (Khirbat eṭ-Ṭanṭur)

Walid Atrash, Gabriel Mazor and Hanaa Aboud - Israel Antiquities Authority

On the summit of a small hill at Ḥorbat Ṭurit were revealed the remains of a structure, presumably a cube-shaped altar or temple that was built over an elevated podium and surrounded by a temenos wall. The construction technique of the structure’s podium included compartments of alternating header-and-stretcher courses. This building technique is paralleled in fourth-century BCE Phoenician/Hellenistic sanctuaries throughout the Phoenician realm, the majority of which were built over similar well-constructed podia. Some of these edifices were adorned during the Hellenistic period (second century BCE) with semiround pilasters of the Greek Doric architectural order, as at Ḥorbat Ṭurit. The pottery assemblage from Ḥorbat Ṭurit dates to the fourth–second centuries BCE, contemporary with the occupation of the site. This is probably when the monumental complex, presumably a temple, was constructed; it ceased to function sometime before the Roman conquest of the region. It seems reasonable to identify the structure at Ḥorbat Ṭurit as a Phoenician/Hellenistic sanctuary that might have been connected to Ptolemais. Various sanctuaries excavated in Phoenicia were attributed to oriental and Greek deities. The identity of the deity that might have been worshiped in the Ḥorbat Ṭurit temple is unknown. A ring found at the site depicts a male figure, presumably bearded, seated on an elevated throne with his right hand raised in a gesture of adoration or holding an unidentified object; in front of him stands a club. The scene recalls the reverse depiction on coins minted under Alexander the Great from various cities in Phoenicia, in which Zeus or Heracles are seated on a throne. The scene on the ring may represent either Heracles-Melqart or Zeus, perhaps attesting to the deity that was worshiped both at Ḥorbat Ṭurit and Ptolemais.

Cornerstone

Magazine to ancient sites

Vol. 8 December 2021 – Jerusalem

Editor: Walid Atrash

Contents

Tel 'Erani: Early Bronze Age IB Fortifications and the Early Urbanization in the Southwestern Levant I

Ianir Milevski - Israel Antiquities Authority, Marcin Czarnowicz - Jagiellonian University in Krakow, Dmitry Yegorov - The Israel Antiquities Authority,
Eli Cohen-Sasson and Yuval Yekutieli - Ben Gurion University of the Negev

A Phoenician / Hellenistic Sanctuary at Horbat Turit (Khirbat et-Tantur) I

Walid Atrash, Gabriel Mazor and Hanaa Aboud - Israel Antiquities Authority

Three Nabatean Roadside Temples in The Negev II

Tali Erickson-Gini - Israel Antiquities Authority

The *Miqwa'ot* (Jewish ritual bath) - Ronny Reich - University of Haifa II

Baalbek (Heliopolis) Temples - Arthur Segal –University of Haifa III

Byzantine Church at Kafr Kama III

Nurit Feig - Israel Antiquities Authority and Mordechai Aviam –
Kinneret Institute for Galilean Archaeology, Kinneret College

Industrial area, Bathhouses, and water plant from the Byzantine and Early Islamic periods at the foot of Tel Qatra IV

Alla Nagorsky and Itamar Taxel - Israel Antiquities Authority

"The Most Beautiful of Cities": Ramla During the Early Islamic Period: An Archaeological Survey - Gideon Avni- Israel Antiquities Authority IV

The Three Minarets of Ramla - Katia Cytryn - The Hebrew University of Jerusalem V

Twelve Seasons of Excavation in the City Center of Ancient Tiberias VI

Katia Cytryn - The Hebrew University of Jerusalem

The City of Tiberias as a Multicultural Center in the 9th Century CE – The Anchor Church as a Test Case VII

Yael. D. Arnon - Zefat Academic Collage and Oranim Academic Collage

A Tale of a Pilgrim Badge During the Crusader and Ottoman Periods VII

Inbar Ktalav - Israel Antiquities Authority

Cornerstone
Journal of Archaeological Sites

Editor: Walid Atrash

Arabic Editor: Shukri ‘Arraf

English Editor: Rachel Kudish-Vashdi

Editorial Coordinator: Hanaa Aboud

Editorial Board: Hamudi Khalaily
Kamil Sari
Rafeh Abu Raya
Amani Abu Hamid
Omar Zidan

Cover Illustrations:
Arabic: Aerial view of the excavation at Tel Al-Sheikh 'Erani (Photography: Sky View)
English: Ramla, the minaret of the White Mosque (Photography: Katia Cytryn)

Typist: Ranen Farran

Typesetting, Layout and Production: Walid Atrash

Printing: Abu Rahmon ‘Akko

© 2021, The Israel Antiquities Authority
POB 586, Jerusalem 91004
ISSN 2790-7155

www.antiquities.org.il
hanaa@israntique.org.il

Tel-Hai College
الكلية الأكاديمية تل-حاي

سلطة الآثار
ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY

Cornerstone

Journal of Archaeological Sites

Volume 8 • December 2021

Cornerstone

Journal of Archaeological Sites

Volume 8 • December 2021

الكلية الأكاديمية تل-حاي

Tel-Hai College

سلطة الآثار

ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY